

اختفى
إنجيل
المسيح
حسنى يوسف الأطير
مكتبة النافذة

لماذا اختفى إنجيل المسيح

تأليف

حسني يوسف الأطير

الناشر

مكتبة النافذة

لماذا اختفى إنجيل المسيح

حسني يوسف الأطير

الطبعة الأولى 2011

رقم الإيداع: 10958 /2010

الترقيم الدولي: 4 _ 243 _ 436 _ 977 _ 978

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى

الثلاثينى (ميدان الساعة) - فيصل

Tel: 37241803 Fax: 37827787
Mob: 012 3595973
Email: alnafezah@hotmail.com



تقديم

هذه دراسة وجيزة عن «الإنجيل» كتاب المسيحيين المقدس، من حيث أصله ونشأته وموضوعه وتاريخ صوغه وتدوينه والاختلاف بشأنه بين أتباعه ومخالفيهم من المعتقدين بإنجيل للمسيح، وما جرى على أصول الإنجيل كما يدَّعيه المسيحيون من تطورات وأحداث، سواء على الأصل الذي قيل إن المسيح قد جاء به، أو على الأصول التي وضعها آباؤهم في العصور الأولى للمسيحية.

وترجع أهمية هذه الدراسة عن الإنجيل إلى كونه يمثل قضية خلافية كبرى بين ديانتين كبيرتين تستحوذان اليوم على نصف سكان العالم، تعترفان به، وتختلفان حول أصله ومضمونه، وأعني بهما الأمة المسيحية التي تنتسب بعقيدتها إلى المسيح الذي يُدعَى عندهم باسم «يسوع الناصري»، والأمة الإسلامية التي تنتسب إلى النبي محمد رسول الإسلام، وكتابه المقدس الموحَى إليه من الله تعالى باسم «القرآن»، والذي يُدعَى المسيح فيه باسم «عيسى ابن مريم».

ذلك أن المسيحيين يُعرِّفون «الإنجيل» بأنه ذلك الكتاب، أو الكتب، التي كتبها أتباع المسيح من تلاميذه، أو مَن سمع منهم، عن سيرته وأفعاله وتعاليمه، واعتقادهم بشأنه وأن ذلك الإنجيل، سواء كان بصيغة الإفراد هذه -كاسم جنس لسائر ما يحمل ذلك الاسم - أو بصيغة الجمع «أناجيل»، إنما كتب أو كتبت بعد نهاية المسيح، وأحداث القبض والصلب، وموته على الصيب موتًا حقيقيًا حسب

دعواهم، ثم قيامته بعد دفنه في اليوم الثالث؛ فانكشف بذلك على قولهم سرُّه الحقيقي، والذي كان مخفيًا عنهم أيام حياته، وهو أنه كان إلهًا، جاء متجسدًا في صورة بشر يُدعَى «يسوع الناصري» ليقدم الفداء عن خطيئة آدم في فجر الخليقة، وبذلك تسقط الدينونة عن آدم وذريته بهذا الفداء المزعوم، والذي تفتّقت عنه قريحة بولس، دون سند بحال من تعاليم المسيح الحقيقية، ويتحقق الخلاص بزعمه لمن يؤمن بهذا الاعتقاد!

ومن ثم فالغاية من الإنجيل أو الأناجيل هي الحديث عن المسيح كإله حقيقي، وحيث كان هذا السرّ على قول المسيحيين محجوبًا عن رسله وتلاميذه أيام وجوده بينهم، فلذلك لم يروه إلا مجرد نبي مرسل، فلما جرت أحداث القبض والصلب والقيامة التي يعتقدون بها في اليوم الثالث، انكشف لهم السرُّ، وعرفوا آنئذ أنه إله، فاعتقدوا بذلك من تلك الساعة حسب دعواهم، واتجهوا إليه بعبادتهم.

ومن ثم فالإنجيل كُتب بعد حياة المسيح، وبعد كل هذه الأحداث، بيد أتباعه، للقول له بالألوهية، وبيان الغاية من مجيئه ورسالته.

على أن قولهم هذا يستوجب ضرورة أن يكون الاعتقاد به موثقًا توثيقًا لا تبلغه الشبهة قط، وبدليل قاطع باتّ بصحة ما زعموه من أحداث القبض والصلب والموت والقيامة، وأنها وقعت فعلاً بالشخص يسوع الناصري الملقّب بالمسيح، وألا تتعلق الشبهة بحال بذلك كله بشخص أو باثنين آخرين لحقت بهما تلك الأحداث، وهو ما سوف نكشف عن بطلانه، بعون الله تعالى، في «سرّ المسيح» بعد هذا الكتاب.

كذلك يستوجب هذا الأمر وهو إلزام لنا عليهم لم يسبقنا إليه أحد أن يكون المسيح هو الذي قام بقوته الذاتية من الموت الحقيقي الذي لا اشتباه فيه وليس

بقوة طرف آخر هو «الآب» أي الله عز وجل، وهو ما تذهب إلى خلافه كتبهم المقدسة التي كتبوها بأيديهم، ففي خطابات بطرس في سفر الأعمال، بل وفي رسائل بولس، وسائر رسائل العهد الجديد أن الآب، أي الله الإله الواحد الحق هو الذي «أقامه» من الموت.

وعلى ذلك حتى لو جاريناهم في زعمهم بأن المصلوب قد مات موتًا حقيقيًا، ثم انبعث حيّاً في اليوم الثالث، فعندئذ لا يكون قد قام بقوته الذاتية، بل أقامه غيره حسب إقرار كتبهم وأوائلهم كما ذكرنا، وعندئذ لا يكون إلهًا بحال، لأنه لم «يقم» بذاته بل «أُقِيم» بقوة غيره، والبون شاسع بينهما إذن أكثر مما بين السماء والأرض!!

على أية حال، نخرج من دعواهم بشأن الإنجيل بأن الإنجيل لم يكن أيام المسيح، ولا جاء هو بشيء اسمه «الإنجيل»، بل الإنجيل هو ذاك الذي كتبه أتباعه عنه بعد رحيله، أو صلبه وموته وقيامته المزعومة، ليكشفوا السرَّ المحجوب، والذي انكشف بتلك القيامة التي يقولون بها.

أما المسلمون فقد أخذوا مفهومهم عن الإنجيل من القرآن، كتابهم المقدس، والذي ذكر على نحو واضح صريح، لا يحتمل أي لَبْس أو تأويل، أن الإنجيل إنما هو وحي من الله تعالى أوحاه إلى المسيح كنبي مرسل لا يزيد عن ذلك شيئًا، كما أوحى من قبل بعض الصحف إلى إبراهيم، ثم أوحى إلى موسى ما يسميه القرآن «كتاب موسى»، أو يسميه اليهود والنصارى باسم «الناموس»، وكما أوحى إلى داود ما يسميه القرآن «الزبور»، ويسميه اليهود والنصارى باسم «المزامير»، وكما أوحى «القرآن» من بعد المسيح إلى محمد خاتم أنبيائه ورسله.

وقد جاءت شواهد القرآن على أن الإنجيل هو ما أوحاه الله إلى المسيح في أربعة مواضع منه واضحة صريحة في حديثه عن المسيح، كما نراه في الآية

الثامنة والأربعين (٤٨) من سورة آل عمران، وفي الآيتين السادسة والأربعين (٤٦) والعاشرة بعد المائة (١١٠) من سورة المائدة، وفي الآية السابعة والعشرين (٢٧) من سورة الحديد؛ وكما سنرى سياقاتها فيما يلي من هذا الكتاب.

والقرآن بذلك حاسم جازم في توكيد أن الإنجيل كان أيام المسيح، أُوحِي إليه من ربه، وانطلق به لسانه بالتعليم والتلقين لتلامذته وأصحابه.

والمسيح على هذا هو في نظر القرآن مجرد نبي مرسل لا يزيد عن ذلك شيئًا: ﴿ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأُمُّهُ «صِدِّيقَةٌ» كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

هناك إذن تناقض واضح وصريح بين الإنجيل عند المسلمين والإنجيل عند المسيحيين.

وإذا كان الحال هكذا، فما هو الصحيح منهما، وأين الدليل، وما سبيل الخروج بينهما؟!

لا مخرج بين النقيضين، لأن ثبوت أحدهما يبطل الآخر بالكلية، فلا توسط هنالك ولا مساومة؛ والقضية في كليهما مصيرية بشأن عقيدة التوحيد، والتصور الصحيح للقضية الإلهية.

وكان بعض سفهاء المسيحيين قد خرجوا على المسلمين بدعوى باطلة، فحواها أن ذِكْر القرآن لاسم «الإنجيل» بصيغة الإفراد دون الجمع مع أن المسيحيين لهم أناجيل متعدّدة، منها الأربعة المعتمدة، إنما سببه -في نظر هؤلاء المسيحيين أصحاب تلك الدعوى- أنه كان في مكة قس نصراني يُدعَى «ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى» وكان من قريش قبيلة محمد، فأراد أن يصطنع من محمد نبيًا للعرب، وكان ورقة هذا على مذهب نصارى بني إسرائيل القائلين بأن عيسى مجرد نبي مرسل على سُنَّة موسى وشريعته، فلذلك اختار ورقة على قول هؤلاء

المسيحيين إنجيلاً لهؤلاء النصارى من بني إسرائيل يُدعَى «الإنجيل بحسب العبرانيين» وهو الإنجيل الوحيد الذي كانوا يعتقدون بصحته، ويعتقد به ورقة أيضًا لأنه على مذهبهم، وراح يترجمه، ويصوغ منه هذا القرآن الذي جاء به محمد؛ ولذلك تجاهل ورقة سائر أناجيل المسيحيين بخلاف هذا الإنجيل لأنه لا يعتقد بها، ومن ثم ذكر الإنجيل في القرآن بالإفراد دون الجمع لهذا السبب على قول أولئك الأقذار!

وقد رددنا على هؤلاء السفهاء في كتبنا من قبل بأن الإشارة إلى الإنجيل بصيغة الإفراد إنما كانت لأن القرآن قد حدّد اسم «الإنجيل» بأنه الوحي الإلهي الذي أنزله الله على ذلك المدعو في القرآن باسم «المسيح عيسى بن مريم»، ولم يرد به قط أدنى ذِكر أو إشارة بتنزيل بهذا الاسم لأحد من أتباعه؛ ومن ثم هو إنجيل واحد لا يتعدّد لأن المسيح الذي أُنزل عليه شخص واحد لا يتعدّد.

كذلك أثبتنا أن ورقة بن نوفل هذا كان وثنيًا قبل تنصره، وأنه قد بدأ يسعى إلى التعرّف على النصرانية ومحمد في الرابعة والثلاثين من عمره فسافر إلى الشام، وتنصَّر هناك، ولم يرجع إلا في الثامنة والثلاثين من عمر محمد، كما فصلناه في كتابنا : «نقض الاشتباه بتعلّم الرسول من ورقة بن نوفل».

كذلك أثبتنا، ومن مصادر دقيقة وموثقة وقريبة من عهد النبوة، أن ورقة بن نوفل هذا الذي يحتجون به لم يشهد قط لنبوة محمد، وأن أصحاب محمد كانوا يسبُّون ورقة هذا ويلعنونه على مسمع ومرأى من الرسول، ويعتبرونه من أهل النار، ولم يكن ذلك إلا لكونه لم يشهد بنبوة محمد، ولو شهد لمحمد بالنبوة، لما اجترأ أحد قط أن يعرض له بسبّ، لأن سباب المسلم فسوق عند المسلمين، إذْ يصير بشهادته لمحمد من المسلمين، لكنه لم يشهد، ولم يزد على قوله عندما كانت تسأله السيدة خديجة زوج محمد عما ألمّ به نقول لم يزد عن كلمة: «لا أدري»!

وقد أثبتنا ذلك أيضًا في كتابنا : «السرّ المكتوم بشأن الرسول وورقة بن نوفل: هل شهد ورقة للرسول»؟

وهكذا أثبتنا بطلان كل ما زعمه أولئك السفهاء من عَبَدة المصلوب، وما تورط فيه بعض المسلمين من خصوم الأديان باستغلال هذه الشبهة الباطلة من أولئك المسيحيين المأجورين ضدَّ الإسلام وكتابه.

والواقع أن البحث التاريخي، العلمي والموضوعي، لا يخدم الموقف المسيحي، بل يشهد ضدّه ويقاومه.

لذلك كان لابدّ لنا أن نعرض بإيجاز لقضية الإنجيل من خلال الكتابات الإنجيلية ذاتها في كتاب المسيحيين المقدس، ومن خلال نشأة المسيحية وبداياتها الأولى حتى ختام القرن الرابع، لنكشف، ومن خلال شهادة المسيحيين أنفسهم، كيف أنهم رفضوا كل تعاليم المسيح الحقيقية التي نقلها عنه أتباعه الأولون، فتناولتها الكنيسة بكل صور التعديل والتبديل، والحذف والإضافة، والتقوّل عليه وعلى تلاميذه بما لم يقل، وبما لم يقولوا بشأنه!

وكان مرجعنا في كل ذلك كتبهم، وشهادة باحثيهم، وعلماء دينهم.

إن المسيحية اليوم، في هذا الزمن الأغبر الذي شهد زعامة دولة مسيحية كبرى للعالم بأسره، تظن أنه قد جاءت الساعة التي يجب أن تقضي فيها على الحق والحقيقة ممثَّلين في الإسلام، كي لا تسود في العالم إلا ديانة الوثن المصلوب، وكي يجتاح الإلحاد كل المعمورة، وينقرض الجنس البشري، بسبب الإباحية والدنس اللذين تجاوزا كل الحدود في ظل الصليب، وبسبب عقيدة وثنية لم تأخذ من المسيح غير اسمه، متنكرة ورافضة لكل تعاليمه ووصاياه.

على أن الإسلام لن يموت، ولن ينقرض المسلمون وإن قهرتهم القوة الغاشمة، وتعقَّبهم جنود الشيطان. بل ستعلو رايته، وينهض من عثرته، وتشرق شمسه،

ويتبدَّد ظلام الشرك والوثنية بانبثاق ضياء الحق المغلوب على أمره، فتتقشع عنه أغشية الضعف الذي يكبّله، والأباطيل التي تفسد قسمات وجهه وملامحه.

فليكن هذا بيانًا لك أيها الفاضل الكريم فيما أنت مقبل على قراءته من صفحات هذا الكتاب المجمل الذي يقتضي منك تأملاً أكثر، وفكرًا واعيًا يقظًا فيما أوجزناه لك.

وقد جعلنا هذا الكتاب «لماذا اختفى إنجيل المسيح» من قسمين:

القسم الأول: وفيه عمدنا إلى دراسة مفصّلة بعض التفصيل للقضية الإنجيلية استهدافًا منا لكشف الحقائق المستورة، والتي تشهد بأن المسيح كان له إنجيل يلقّنه لأصحابه، وأنه هو نفسه الذي صكَّ هذا الاسم «الإنجيل» عنوانًا لتعليمه ومذهبه.

القسم الثاني: وكان في الأصل دراسة تطبيقية قدَّمنا بها لنشرتنا للنسخة العربية لكتاب «الدياطسرون» Diatessaron المنسوب إلى الفليسوف المسيحي «طاطيان» Tatain (أو: طيطيانوس) الذي وضع أصله الأول حوالي سنة ١٧٥م. وأردنا أن نثبت بنشرتنا لهذا الكتاب بالدليل العملي تزوير المسيحيين لكتبهم المقدسة، ونشر كتاب مزوَّر وضعوه في القرن الخامس على أنه نفس كتاب طاطيان الذي وضعه أواخر القرن الثاني، وليس فيه شيء قط مما كان في كتاب طاطيان الحقيقي، وإنما أخذوا منهج طاطيان في كتابه، ثم أسقطوا كل مضمونه، وألفوا كتابًا يرتكز على الأناجيل في صورتها بعد القرن الرابع، والتي هي أصل النسخ الحالية، والمخالفة كل المخالفة للأناجيل في القرن الثاني الذي وضع فيه طاطيان كتابه؛ ومع ذلك يزعمون أن هذا الذي وضعوه وزوَّروه تزويرًا عن عمد وإصرار في القرن الخامس هو «عين» كتاب طاطيان الذي وضعه أواخر القرن الثاني!!

وكان من الطبيعي بعد أن قاموا بهذا التزوير وبعد إحراق كتاب طاطيان وإبادته أن يدفعنا ذلك إلى البحث في نشأة الأناجيل، وعما إذا كان الأصل إنجيلاً واحدًا جاء به المسيح على قول القرآن، أم كان الأصل أناجيل متعددة كتبت من بعده بأيدي تلاميذه وأتباعه على قول المسيحيين، وحيث قدمنا الدليل على رجحان الموقف القرآني، وبشهادة الأناجيل، خاصة إنجيل مرقس؛ وبشهادة الباحثين في أصل إنجيل متى، وبشهادة ما كان عليه التلاميذ في العهد الرسولي من عقائد بشأن المسيح وتعاليمه، وكما ذكرها كُتَّاب الكنيسة أنفسهم. وأردنا بذلك أن نثبت أنه لم يكن هنالك في العهد الرسولي، عهد تلاميذ المسيح حتى السنة السبعين لميلاده، إلا تعاليم المسيح الصحيحة، والتي رفضتها الكنيسة من بعدُ وقامت بتحريفها تحريفًا خرج بها عن أصولها الأساسية، وأن تلاميذه هؤلاء في ذلك العهد لم يعتقدوا له قط بالألوهية، ولا حكوا عنه شيئًا قط يوهم بذلك. وأن قصة القيامة المزعومة كانت مجرد وهم باطل، كان التلاميذ خاصة كبار الرسل، على يقين قاطع بأنه لم يحدث ولم يكن له ظل من الحقيقة، وإلا لما اختلفوا مع بولس ورفضوا دعوته التي اعتمد فيها على خرافة القيامة هذه لتوثين المسيحية بتأليه المسيح، وإجهاض دعوته الحقيقية،والخروج بها عن أصولها، كيدًا له، ومنعًا لأي قبول لها من جانب اليهود بما يرون من الوجه الوثني الذي آلت إليه.

فلنسأل الحق تبارك وتعالى أن ينير الأبصار والبصائر، ويضيء لطلاب الحقيقة سبلهم، ويفرغ عليهم من لدنه حكمة وصبرًا، حتى يضعوا أيديهم على شواهد اليقين، وتطمئن قلوبهم به، فيهديهم الله ويهدي بهم، ويستذكروا وعده سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

حسني يوسف الأطير

القاهرة:

الأول من صفر ١٤٣٠هـ

الثلاثاء ٢٧ يناير ٢٠٠٩م

القسم الأول

البحث عن إنجيل المسيح

مجمل عام عن هذا الجزء من الكتاب

هذه إشارة وجيزة عن مجمل الدراسة في هذا الجزء، دون مراعاة لسياق العرض، أو تسمية الفصول وترتيبها:

شواهد وقرائن على وجود إنجيل كان مع المسيح يلقنه لتلاميذه عن مذهبه وتعليمه في إطار ناموس موسى .

إخفاء إنجيل المسيح كان لتعارضه مع تعاليم بولس والرومان لتوثين المسيحية بتأليه المسيح.

معضلات القضية الإنجيلية وأي الأناجيل أسبق مرجعها إخفاؤهم للأصول الصحيحة من إنجيل المسيح لوضع أناجيل تتوافق مع اتجاههم لتوثين المسيحية لتحقيق الاستقرار السياسي للإمبراطورية الرومانية بنزع فتيل التنافر بين المسيحية وعقائد روما الوثنية.

نماذج من الدسّ والتحريف في الأناجيل تضعها الكنيسة على لسان المسيح.

الأباطرة الرومان فرضوا الوثنية على المسيحية منذ سنواتها الأولى حتى تمَّ تشكيل قسماتها الحالية وصوغ أناجيلها في القرن الرابع.

إقرار الكنيسة بأن سلطانها فوق سلطان الإنجيل، ولها حق صوغه وتعديله وفق ما تراه.

الفصل الأول

منزلة الإنجيل في نظر الكنيسة وأثر ذلك في تدوينه

من الأخطاء الشائعة على أوسع نطاق بين المسلمين، حتى لا تكاد تستثني منهم إلا عددًا يسيرًا لا يتجاوزون العشرات أو المئات لو بالغنا ظنّهم أن إنجيل المسيحيين له نفس المنزلة والسلطان كما الحال في ناموس موسى أو التوراة عند اليهود (بصرف النظر عن خلافاتهم بشأن المشناة والتلمود ووحي الأنبياء من بعد موسى)، أو كما الحال في سلطان القرآن عند المسلمين (بصرف النظر عن المتهوّدين منهم من المفسرين وأصحاب الحديث)؛ بمعنى أن كُلاً من القرآن وكتاب موسى موحًى بهما من عند الله. فمن ثم يلتزم اليهودي والمسلم بنص كتابه، لا يعدّل فيه، ولا يبدّل شيئًا منه، ولا يضيف إلى مضمونه أو يحذف منه. بل يلتزم في الفهم والتفسير بمضمون النص المقدس، دون أن يكون للسلطة الدينية أي حق في تجاوز هذا المضمون بالإضافة أو الحذف؛ خاصة إن كان نصًا محكَمًا، حيث لا اجتهاد عند المسلمين في مضمون النص المحكم الواضح الصريح.

ومن ثم ظن المسلمون أن شأن الإنجيل عند المسيحيين كشأن القرآن عندهم، أو التوراة عند اليهود.

والسبب في ظن المسلمين هذا اعتقادهم بأن المسيح «عيسى بن مريم» قد آتاه

الله من لدنه وحيًا إلهيًا اسمه «**الإنجيل**». وهذا الأمر منصوص عليه فعلاً في القرآن الذي يبدو كأنه كان حريصًا على توكيد ذلك حيث كرر النص في أربعة مواضع منه بأن المسيح ابن مريم قد جاء بإنجيل معه في دعوته لبني إسرائيل :

فيقول بشأنه: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَ«الإِنجِيلَ» ﴾ [آل عمران : ٤٨].

ويقول : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ «الإِنجِيلَ» فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٤٦].

ويقول أيضًا: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَ«الإِنجِيلَ» ﴾ [المائدة: ١١٠].

وأخيرًا يقول: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ «الإِنجِيلَ» ﴾ [الحديد : ٢٧].

فتوكيد القرآن على أن المسيح جاء بوحي معه اسمه «**الإنجيل**» عقيدة قرآنية راسخة وهذه النصوص بشأنه محكمة صريحة تتجافى عن أي محاولة للتأويل، أو إخراجها عن ظاهرها.

أما المسيحيون فيرفضون قول المسلمين وعقيدتهم بإنجيل مع المسيح، ويقولون: إن الإنجيل هو ما كتبه تلاميذ المسيح وأتباعه الأولون عن تعاليمه وأخباره وسيرته. ومن ثم لم يتسلّموا «**إنجيلاً**» من المسيح، بل كتبوا «**الإنجيل**» عن المسيح!

والفرق شاسع بين الموقفين.

ولأن الكنيسة تولت كتابة الإنجيل «**عن المسيح**» ، وحسب رؤيتها الخاصة،

واعتقادها بشأنه، لذلك صار سلطان الإنجيل تاليًا لسلطان الكنيسة، وليس مقدمًا عليها شأن القرآن والتوراة عند أتباعهما. ومن ثم فالكنيسة عندما تدّعي الخضوع للإنجيل، فهي لا تخضع له ككتاب أو تعليم تسلمته من المسيح، بل تخضع له كإطار وضعته بمحض قصدها وإرادتها لتحديد نهجها ورؤاها العقائدية بشأن يسوع الناصري، تملك الحق عند الاقتضاء أن تراجعه وتعدّل فيه حسبما تراه أفضل وأجدى.

ومن ثم صار من حقها تقديس أشخاص على مستوى أو صعيد أرقى لم يسبق لهم من قبل في الإنجيل، كما فعلت مثلاً عندما نادت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية سنة ١٨٥٤م باعتقادها «**بولادة مريم بغير دَنَس** immaculate of Mary»؛ أي أن الحمل بمريم لم يكن عن علاقة بشرية حقيقية بين أمها حنة وأبيها يواقيم كما يعتقد الجمهور، والذين لا يعلمون علم الكنيسة المقدسة (!!) وإلا تكون قد وُلدت من بذرة بشر حامل لخطيئة آدم؛ بل كان الحمل على قولها عن تدخل مباشر من الله ذاته، كي لا تحمل دَنَس الخطيئة الموروثة، وحيث ستكون إناء مقدَّسًا للربّ المزمع أن يولد منها!!

لذلك نرى من كبار رجال ملتهم منذ القِدَم من قال عنها: إنها «ابنة الله»، وذلك «على ما نرى عند القديس أندراوس الكريتي المتوفى سنة ٧٤٠م، الذي زعم أن «مريم هي «ابنة الله»... على وجه خاص. فهيمن الله بوجه خاص على الحبل بها»[١].

ومن أقواله: «حبل حنة [يقصد أم مريم] مقدس»[٢] و«إن مريم هي ابنة

(١) د. متري هاجي اثناسيو (الأب): السلام عليك يا مريم «الموسوعة المريمية» - ص ٢٧٢ . ط ,١٩٨٢

(٢) نفسه : ص ٢٧٢ .

الـلـه»، لا لأنها ابنة الموعد، وثمرة قدرة الله تخصب عقم الشيخوخة فحسب، بل أيضًا، وبخاصة، لأنها الخزف يحيله الفنان الإلهي «جبلَة «إلهية» والخميرة المقدسة سرت فيها الحياة الإلهية»[١].

أما القديس تراسيوس بطريرك القسطنطينية المتوفى سنة ٨٠٦م، فقد كتب عن مريم أنها : «ابنة الله المثلى»[٢].

ومن ثم فإن الكنيسة تؤله مريم، وتتعبَّد إليها، ولم تكن دوَّنت ذلك من قبل في الإنجيل!!

كذلك مارست الكنيسة أيضًا حقها في الخروج على ما سبق تدوينه في الإنجيل عن إدانة اليهود بسبب صلبهم للمسيح، وسفكهم لدمه، وأن دمه عليهم وعلى سائر أجيالهم من بعدهم، فجاءت تلك الكنيسة الكاثوليكية، زعيمة الكنائس المسيحية، وصاحبة الكلمة الأقوى في تقرير الاعتقاد المسيحي في الوقت الحاضر، واتخذت قرارًا في مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥) أعطت بموجبه براءة لليهود من صلب المسيح، ومن سفك دمه، وقالت إن ذلك لا يلزم إلا فئة قليلة فقط من اليهود من معاصري المسيح الذين دبروا ذلك ضدَّه. وأن سائر اليهود في عصره، ومن بعده على امتداد أجيالهم لا دينونة عليهم بشأنه!!

الكنيسة إذن تنسخ ما كتبته من قبل في الإنجيل، وتعدل عنه لأنها ترى أن ذلك من حقها، حيث إن ذلك الإنجيل هو من عمل يديها، وثمرة فكرها وعقيدتها!

إلا أن الكنائس الشرقية والتي تعيش في محيط المسلمين، لا تجهر للعامة من أتباعها بما ذكرنا، وأن الكنيسة هي التي كتبت الإنجيل، وخضوع الإنجيل

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه : ص ٢٧٤ . وانظر السياق في ذلك المصدر ص ٢٦٩ - ٢٧٥؛ وانظر معه كتابنا: الشفاعة وأصول الوثنية العربية - ص ٣٠١ - ٣٠٢ - ط ٢ ٢٠٠٦ م - مكتبة النافذة.

لسلطانها؛ بل تعطي الإيحاء بأن الكنيسة تسلَّمت الأناجيل من تلاميذ المسيح مباشرة، وتخضع لما في تلك الأناجيل «المُوحَى» بها إليهم من الروح القدس؛ وذلك تجنبًا لاتهام المسلمين لهم بالتحريف. وسنثبت خلال سياقات هذا الكتاب شهادتهم هم أنفسهم، ومن أقدم مصادرهم وأوثقها عندهم، كوارث التحريف ومصائبه التي حاقت بأناجيلهم، خاصة في القرون الثلاثة الأولى.

وحتى نتفادى سوء الظن من جانب القارئ فيما ذكرناه، نقدم إليه بعض الشواهد من كتابات علمائهم ومؤرخيهم والباحثين من بني ملتهم:

يقول أحد هؤلاء المؤرخين كاشفًا خداع الكنيسة وتضليلها للمسيحيين عن صورة يسوع الحقيقي، وكيف وضعت له في الإنجيل صورة أسطورية لا أصل لها: «لقد افترضنا حتى الآن أن قصص الإنجيل تقدم إلينا معلومات كافية يعتدّ بها لكي نكشف على الأقل الإطار الصحيح للأحداث. غير أن بعض الباحثين يميلون إلى أن يتجاهلوا تمامًا كل القصص التي ذكرها «متى» و«لوقا» عن ميلاد المسيح.

«وقد اعتبروها قصصًا وضعتها الكنيسة الأولى في وقت لاحق، لتقدم يسوع في صورة الشخص كما أرادوه بعد أحداث الفصح الأول، وليس من نوعية الشخص الذي كان عليه بالفعل «يسوع التاريخي»[١].

لذلك نرى هذا الباحث يحذرنا من الانزلاق إلى تصديق كل ما ذكروه بتلك الأناجيل فيقول: «.. علينا أن نتذكر، وبصفة دائمة، أن أناجيلهم لم تكتب إلا بقصد المهمة الكرازية للكنيسة، وهي لم تكتب كسيرة ذاتية، أو تاريخ، أو حتى كمادة لاهوتية بالمعنى المألوف»[٢].

---

(١) جون.و. درين: يسوع في الأناجيل - ص ٥٥ . ترجمة : نكلس نسيم سلامة - دار الثقافة - ط ١ ١٩٩٩م.

(٢) نفسه : ص ٢٢١ .

يريد هذا الباحث أن يقول إن الأناجيل كتبتها الكنيسة كوسائل للتبشير، تستبيح فيها خداع الجماهير بدعاوى وتخييلات لا ظل لها من الحقيقة في سبيل غايتها لاكتساب أتباع لعقيدتها.

ويقول مؤرخ آخر بشأن الميلاد العذراوي الذي جاءت قصته في إنجيلي «متى» «ولوقا»، والتي تستثير شكوك المسيحيين الغربيين بقوة: « .. ومن يقرأ الأدلة التي يُدلي بها ناكرو الميلاد العذراوي يظن أن لوقا ومتى هما الشاهدان الوحيدان، كأنهما قد كتبا نظريات من عندياتهما لتؤمن بها الكنيسة. لكن [يجب أن] لا يغرب عن البال أنهما كتبا عقائد الكنيسة نفسها؛ وهذا محور الأمر كله.

«إن الكنيسة لم تؤمن بميلاد المسيح من عذراء لأن هذه الحقيقة قد كتبت في الإنجيل، ولكنها بالعكس: قد كُتبت في الإنجيل لأن الكنيسة آمنت بها. وكان وراء متى ولوقا الكنيسة كلها شهادة عاضدة ومؤيدة»[1].

وهذا المؤرخ يكشف الحقيقة التاريخية التي يسهو عنها أكثر المسيحيين وغيرهم في الظن بأن الأناجيل سجلات حقيقية لما كتبه تلاميذ المسيح، مخدوعين بالأسماء التي وضعتها الكنيسة على تلك الأناجيل لبعض تلاميذه وأتباعه، دون أن يفطنوا إلى أن الكنيسة لم تلتزم بما نقله رسل المسيح الحقيقيون، وتلاميذه الأولون، وإنما قامت بكتابة تلك الأناجيل بعد انقضاء العهد الرسولي لرسل المسيح وتلاميذه بعد دمار هيكل أورشليم سنة ٧٠ م؛ بل وحيث راحت تفحص ما كان لديهم من تعاليم شفاهية صحيحة عن المسيح، وإذا بها تتدخل بالاختيار والرفض، والتعديل والتبديل، والحذف والإضافة، والتصرف على أنحاء شتى في أقوال يسوع وأخباره، وما ارتبط به من وقائع وأحداث، بما يحقق غايتها في إضفاء صفة الألوهية عليه، إذْ سنرى في سياقات هذا الكتاب أن

(١) حياة المسيح: د. بترسن سميث - ص ٢٧ - ترجمة حبيب سعيد . ط ٣ .

الكنيسة لم تجد في تلك التعاليم الشفاهية أية دعوى منه بتأليه ذاته، ولا وجدت ذلك قط من أحد هؤلاء الأتباع الأولين، فاغتاظت لأمانتهم المفرطة في نقل تعاليمه نقلاً حرفيًا دقيقًا، دون أن يحاولوا أن يفيدوا من أقواله ومدهشاته في ادّعاء الألوهية له. لذلك تراءى للكنيسة أن هذا هو دورها الذي يجب أن تقوم به من خلال كتابة الأناجيل، بواسطة الذين اختارتهم لأداء هذه المهمة المقدسة، وأطلقت أيديهم في التغيير والتعديل والحذف والإضافة، وكل ما يتراءى لهم لإضفاء صفة الألوهية عليه. يقول أحد خدام الكنيسة في إيضاح هذا المعنى:

«.. إن الأناجيل «**تصرفت**» في بعض أقوال يسوع وأعماله، حيث إنها «**أضفَتْ**» عليها القصد «**اللاهوتي**» الذي كان يقصده كل إنجيلي. كما أنها «**تصرفت**» في: «**ترتيبها**» و«**عرضها**». وهذا ما لم تجرؤ أن تفعله الجماعات المسيحية الأولى في رواياتها الشفاهية، لشدّة أمانتها **لحرفية ما قاله يسوع وعمله**»[١].

فأنت هنا ترى كاتب الكنيسة يحدثك عن التزام رسل وتلاميذ المسيح في ذلك العهد الذي امتدَّ منذ رحيله حتى دمار الهيكل سنة ٧٠ م. بالتعاليم الحرفية التي أدلى بها إليهم، وأمانتهم فيما أخبروا به من أعماله ومدهشاته. واستمروا على ذلك قرابة أربعين سنة حين تشتتوا من فلسطين بسبب دمار الهيكل، واضطهاد الرومان لليهود، وهؤلاء كانوا منهم، وهنالك انتعشت دعوة بولس الوثنية لتأليه يسوع ضربًا لدعوته، وتقويضًا لتعاليمه، وتنفيرًا لسائر اليهود من أتباعه من تصديقه، والاعتقاد به.

لذلك بعد أن تشتت تلاميذه الحقيقيون أخذت الكنيسة الأممية التي أسسها بولس تلك التعاليم والمدوَّنات وفعلت بها ما ذكرنا، حتى تلاشت تمامًا وانطمست

---

(١) الأب فاضل سيداروس اليسوعي: تكوين الأناجيل . ص ٤٧ - سلسلة دراسات الكتاب المقدس.

كل الأصول الحقيقية لتلك التعاليم والمدوّنات، وصارت أمامنا تعاليم غريبة صاغتها الكنيسة فيما أسمته «الأناجيل» التي لم تعد معبرة عن حقيقة يسوع في شخصه وتعاليمه، ولا تشكل مصدرًا أمينًا في تقييمه والتعرف على عمله وحقيقته . لذلك يقول خادم الكنيسة: « . . ولكن النتيجة في نهاية الأمر ضئيلة لمعرفة «الكلمات نفسها» التي تلفّظ بها يسوع. ولكن ليست هذه المعرفة هي الأهم. فلن نعرف أبدًا ما قاله يسوع بالحرف الواحد - إلا في حالات نادرة - بسبب تعدّد الروايات الشفاهية التي استند إليها الإنجيليون، وبسبب قصدهم «اللاهوتي» الخاص في ضوء القيامة..»[1].

والواقع أن التعليل الحقيقي لعدم معرفة ما قاله يسوع على وجهه الصحيح ليس بسبب تعدد الروايات الشفاهية التي استند إليها الإنجيليون كما يدّعي ذلك الخادم، وإنما هو في عبارته الأخيرة عن منهج كتبة الإنجيل لتأليه يسوع، أي في قوله: «بسبب قصدهم «اللاهوتي» الخاص في ضوء القيامة» . فهذا هو السبب الحقيقي الوحيد والرئيس الذي في سبيله استباحوا طمس كل تعاليمه وأخباره، والكذب عليه، واختلاق ما لم يكن من قوله وعمله. وليس هذا قولنا نحن، بل قول علامة كبير ضخم في ديانتهم هو «أوريجانوس» Origen، المولود سنة ١٨٥، والمتوفى سنة ٢٥٤ حيث تحدث عن كتبة الأناجيل هؤلاء، ومسالكهم في سبيل غايتهم فقال: «.. إنه لا يجب إدانة بعض الإنجيليين حتى ولو عدّلوا بعض الأشياء. كانوا يتكلمون عن شيء حصل في مكان ما وكأنه حصل في مكان آخر، أو عن أمر حدث في زمان ما وكما لو أنه حدث في وقت آخر. أو يدخلون بعض التغييرات في الكلمات التي نطق بها [المسيح] فعلاً. كان قصدهم قول الحقيقة بوجهيها المادي والروحي. وفي حال استحالة ذلك، كانوا يفضلون قول الوجه الروحي.

(١) الأب سيداروس : تكون الأناجيل ص ٥٢ .

«والحق يقال: بأن الحقيقة الروحية كانت تنقل أحيانًا بما يسمى الكذب المادي»[١].

«وهذه الشهادة من أوريجانوس بالغة الخطر لأنها تثبت على الأغل عدة أمور:

«١ - الإقرار باختلاف مناسبات أقوال المسيح في الأناجيل عن مناسباتها الحقيقية.

« ٢ - الإقرار باختلاف مواطن إلقائه لتلك التعاليم في الأناجيل عن مواطنها الأصلية.

« ٣ - الإقرار بإدخال بعض التغييرات في الكلمات التي نطق المسيح بها فعلاً.

« ٤ - الإقرار بما أسماه إيثار الجانب الروحي على الجانب المادي، ويعني بذلك أنهم لم يكونوا حريصين على التزام القالب النصي للتعليم الأصلي، إذا بدا لهم أنه يقصّر عن تحقيق التأثير القوي الذي يتطلعون إليه. ومن ثمة كانوا يستبيحون لأنفسهم أن يغيّروا في الأصل، أو يضيفوا إليه، ما يحقق تلك الغاية وفق ظنونهم.

«وهذه الشهادة من أوريجانوس مرة أخرى تنطوي على أمرين على أبلغ قدر من الخطورة:

«الأمر الأول: أن كتبة الأناجيل «كذبوا» في ذكر المناسبات والمواطن التي أدلى فيها المسيح بتعاليمه ، أو أجرى فيها مدهشاته.

«إنه لم يصف ما فعله كتبة الأناجيل بأنه «خطأ» ، بل وصفه بأنه «كذب»، وهذا يعني أنهم كانوا عارفين وعالمين بالمواطن والمناسبات الحقيقية التي فعل

---

(١) ف. كيزيتش: المسيح في الأناجيل - أو الكنيسة والنقد الكتابي الحديث - ص ٤٧ - تعريب الأب: ميشال نجم - منشورات النور.

المسيح فيها ذلك من أقوال وأفعال، ولكنهم صَدَفوا عن ذلك عمدًا لأسباب تعنيهم.

«الأمر الثاني: أنهم انسياقًا مع هذا الكذب المتعمد اندفعوا إلى «تزوير» أقوال معلمهم وتعاليمه، حسبما بدا لهم من وجوه المصلحة، أو جلبًا للمنفعة، وبالتالي علينا أن نتوقع تطلعهم إلى الوثنيين، واستعدادهم للمساومة»!![1].

إذن الناتج من ذلك كله هو استحالة الوصول إلى أصل صحيح عن المسيح وتعاليمه، وحقائق أخباره وسيرته، للقول بإنجيل كان معه!!

ولكن.. ألا يجوز احتمال الخطأ على أحد الجانبين: المسلمين أو المسيحيين في موقف كل منهما من الدعوى بإنجيل كان مع المسيح؟!

يجب أن نمضي بهدوء لمعرفة الحقيقة، واثقين أن هنالك سبيلاً ما، مهما انطمست معالمه أو حُجبت بوسائل الخداع والتضليل!

---

(١) انظر كتابنا : شبهات مسيحية معاصرة حول الإسلام - ص ١٤٥ - ١٤٦ - ط ١ ٢٠٠٥ م مكتبة النافذة.

الفصل الثاني

نحن نسألهم: ألم يأت ذِكر «الإنجيل» على لسان المسيح في أناجيلهم؟ فما دلالة ذلك؟

ونقول: إنه يستحيل ألا نجد مخرجًا على نحو من الأنحاء من هذه المتاهة التي اصطنعوها، ولو بخيط رفيع من الضوء مهما كان خافتًا يهدينا إلى أثر عن المسيح يؤكد أنه قد عرف فعلاً شيئًا اسمه «الإنجيل»، كما يدعي المسلمون بشأنه. حتى لو سمى المسيحيون ذلك باسم آخر خلاف التسمية له بلفظ «الإنجيل»!

ونمضي إلى ذلك منذ البدايات قبل تدوين الأناجيل التي يقول بها المسيحيون.

ولنبدأ برأس الفتنة، وقرن الشيطان الذي ذرَّ بين رسل المسيح وتلاميذه في العهد الرسولي، فأثار غبارًا كثيفًا، وبلبل الناس بشأن المسيح ودعوته، وأعني به «شاول الطرسوسي»، المدعو عندهم باسم «بولس الرسول»!!

إن كتابات بولس، ورحلاته التبشيرية، سابقة على الأناجيل التي يقول بها المسيحيون؛ ومن ثم فعلّنا نجد لديه شيئًا فيما يختص بالإنجيل، ومن أين جاء هذا الاسم، أو مصدره.

بولس يعترف بإنجيل للمسيح

إننا في رسالة «غلاطية» التي كتبها بولس، نجد إشارة إلى شيء سماه بولس «إنجيل المسيح»، وقد جاء ذلك في سياق عتابه للغلاطيين الذين تراجعوا عن تعليمه السابق لهم بتأليه المسيح، وإنكار ناموس موسى والختان، بعد أن جاءهم رجال من كنيسة أورشليم، كنيسة رسل وتلاميذ المسيح الحقيقيين، والتي تنكر تأليه المسيح، وتراه مجرد نبي مرسل على سنة موسى وخلفائه، ومن ثم تجمع في تعليمها بين التوراة والإنجيل معًا، وترفض دعوى بولس، وتراه خارجًا عن تعاليم الإنجيل وتعاليم المسيح الحقيقية، وتمنعه من التعليم بمذهبه لليهود ونصارى بني إسرائيل؛ فيغضب بولس عندما يعلم بوصولهم إلى الغلاطيين، وإبطال تعليمه لهم، ويقول للغلاطيين هؤلاء: «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى «إنجيل» آخر. **ليس هو آخر**، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم، ويريدون أن «**يحولوا**» «**إنجيل المسيح**» [غلاطية ص ١ : ٦ - ٧].

فما هو «**إنجيل المسيح**» هذا الذي يشير إليه بولس، ولم يكن أحد من رسل المسيح وتلاميذه قد كتب شيئًا بعدُ اسمه «**الإنجيل**»؟ ولماذا يصرُّ بولس هكذا في هذه العبارة على التوكيد على أنه إنجيل واحد لا يتعدّد «**ليس هو آخر**» ، وإنما هناك من يريدون أن «**يحولوا إنجيل المسيح**» ، أي يغيّروا فيه، ويبدّلوا أشياء منه، ويصنعوا إنجيلاً آخر يتخذ سبيلاً مخالفًا في الغاية والاتجاه لإنجيل المسيح الذي يتحدث عنه بولس؟!

إن «**تحويل**» الإنجيل أبشع كثيرًا من **تحريفه**؛ لأن التحريف يعني عدم الاستقامة الكاملة على الاتجاه الصحيح للإنجيل، لكن المرء يمضي على أية حال في نفس الاتجاه، حتى لو مال يمينًا أو يسارًا أو اضطرب بينهما؛ أما «التحوّل»

فهو الانكسار التامّ عن الاستقامة والاتجاه، والسلوك على طريق مختلف تمامًا عن الطريق الأول واتجاهه.

إن بولس يقذف خصومه من رجال كنيسة أورشليم معقل رسل وتلاميذ المسيح الحقيقيين في العهد الرسولي، عهد النقل الحرفي لتعاليم المسيح، بالخروج تمامًا على «إنجيل المسيح»، سواء أصاب أو أخطأ في هذا الاتهام.

وهنا نتساءل: عمن أخذ بولس هذا «إنجيل المسيح» الذي يتحدث عنه، وهو لم يؤمن أيام المسيح، ولا كان له لقاء به ؟

إن هذا الوصف لإنجيل ما بأنه «إنجيل المسيح»، وفي السياق الذي ورد به، حيث أكد أنه واحد لا يتعدَّد، يمنحنا يقينًا أوليًا بأن هنالك شيئًا ما تركه المسيح أتاح لبولس أن يسميه «الإنجيل»، وأن ينسبه بالخصوصية والتحديد إلى المسيح وحده دون سواه. وبالتالي يصير النزاع بينه وبين مخالفيه محصورًا لا في وجود هذا الإنجيل أو عدم وجوده إذْ وجوده مسلَّم به حسب قوله، بل في فهمه وتأويله، واختلاف الموقف بينه وبينهم في هذا النطاق وحده لا غير.

هذا إذن إقرار أول بوجود شيء اسمه «إنجيل المسيح» من أول وأقدم كتبة العهد الجديد للمسيحيين، وأعظمهم شأنًا واعتبارًا في نظرهم، ألا وهو بولس الرسول!

ولا ينبغي المشاحّة في هذا الإقرار من بولس بعد أن سجله بقلمه، لأن كل مسيرته من بعدُ مع مخالفيه ستتعلق بمضمون هذا الإقرار. ومن ثم كان من حقنا طرح هذا التساؤل الذي قدمناه عمن يكون المصدر أو المرجع الذي عن طريقه تعرّف بولس على «إنجيل المسيح» هذا.

إن من الطبيعي فيمن ينتسب إلى دين أو مذهب لم يكن عليه من قبل أن يتعرف عليه ممن سمع عنه من أهله أو غير أهله، ثم يستيقن بشأنه من أهله

ومعتنقيه، والعالمين بأصوله وحقائقه. ومن ثم يلزم من ذلك أن بولس لكي ينتسب إلى تعاليم المسيح أو مذهبه، ويستيقن بها، أن يبدأ باستسقاء اليقين بذلك من أتباع المسيح أنفسهم، خاصة رسله وتلاميذه.

لذلك نجد بولس، بسبب غيظه من مخالفيه، وثورته عليهم، يتورط في الخطأ والمناقضة عندما يمضي في نفس السياق الذي أشار فيه إلى ما أسماه «إنجيل المسيح» فيزعم أن الإنجيل الذي يبشر به لم يأخذه عن إنسان **«بل بإعلان يسوع المسيح نفسه»** [غلاطية ص ١ : ١١ - ١٢]؛ وإذا به لا يلبث أن يعترف بأنه لم يقم بأي دعوة أو تبشير إلا بعد أن التقى ببطرس، ومكث عنده خمسة عشر يومًا، ثم التقى بيعقوب أخي يسوع فيقول: «ولكن لما سرّ الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه **«فيَّ» لأبشر به بين الأمم،** للوقت لم أستشر لحمًا ودمًا، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلقت إلى العربية، ثم رجعت أيضًا إلى دمشق. ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرَّف ببطرس، فمكثت عنده خمسة عشر يومًا. ولكنني لم أرَ غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الربّ. والذي أكتب به إليكم هو ذا قدام الله أني لست أكذب فيه. وبعد ذلك جئت إلى أقاليم سورية وكيليكية. ولكني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح. غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً يبشّر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه. فكانوا يمجدون الله فيَّ». [غلاطية ص ١ : ١٥ - ٢٤].

ولنا هنا وقفة استدراك على بولس:

فإن كان يقصد بإعلان المسيح، وهو ما جاء في قوله: «وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان، ولا عُلِّمته، بل بإعلان يسوع المسيح» [غلاطية ص ١ : ١١ - ١٢] إن كان يقصد بذلك أن يشير إلى حادثة دمشق التي ذكرها سفر الأعمال ثلاث مرات: الأولى من

تلخيص لوقا [ص ٩ : ٣ - ٩]، والثانية رواية بولس الأولى [ص ٢٢ : ٦ - ١١]، والثالثة روايته الثانية لنفس القصة [ص ٢٦ : ١٢ - ١٨] فكان ينبغي أن يفصح عن مضمون هذا «الإعلان» ، وأن أحدًا من الناس ليس له يَدٌ فيه، بينما واقع الحال في تلخيص كاتب سفر الأعمال لتلك القصة، والمستمدّ أصلاً من رواية بولس الأولى يقول بخلاف مزاعمه، إذْ هي عند التحقيق لغير صالح دعواه بأنه لم يقبل الإنجيل من عند إنسان، وأن الذي علّمه إياه ولقنه هو يسوع المسيح نفسه؛ إذْ تكشف تلك الرواية أن يسوع الذي زعم بولس أنه قد ظهر له في طريق دمشق لم يعلّمه شيئًا، بل أحاله إلى أحد أتباعه ليعلّمه ويكلّفه بما يقوم به. يقول بولس:

«فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق، أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم. فسقطت على الأرض، وسمعت صوتًا قائلاً لي: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فأجبت: مَن أنت يا سيد؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني.

«فقلت : ماذا أفعل يا ربُّ؟

«فقال لي الربُّ: قم، واذهب إلى دمشق، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتّب لك ان تفعل» [أعمال ص ٢٢ : ٦ - ١٠] .

وهنا في هذه العبارة الأخيرة على لسان يسوع ترى أيها الفاضل الكريم أنه ليس هنالك شيء من تعليم أو تلقين إنجيلي نطق به يسوع الذي زعم بولس ظهوره له؛ بل كل ما فيها مجرد أمر منه له أن يتلقى التعليم والتكليف من أتباعه في دمشق.

وسنرى فيما بعد في الرواية الثانية لنفس القصة معاناة بولس من مشاعر التدنّي والتضاؤل بسبب هذه القصة بجانب أتباع يسوع الحقيقيين، فيحاول أن يعدّل فيها، فيصطنع الرواية الثانية، ويقع في كذب شنيع.

لكن دعنا نستكمل أولاً هذه الرواية الأولى لنرى ماذا حدث له بعد أن اتجه إلى دمشق حسب الأمر الذي أُمر به، وحسب إقراره أيضًا.

يقول بولس: «وإذْ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور، اقتادني بيدي الذين كانوا معي، فجئت إلى دمشق» . [ص ٢٢ : ١١].

ثم انظر أيها الفاضل الكريم ماذا سيقول بعد ذلك، وتمعَّن فيه بدقة، لأنه سيكون برهان كذبه في دعواه بأنه قد تلقى الإنجيل من المسيح نفسه، ولم يتعلمه من بشر سواه . يقول:

«ثم إن «حنانيا» رجلاً تقيًا حسب «الناموس»، ومشهودًا له من جميع اليهود السكان، أتى إليَّ، ووقف، وقال لي: أيها الأخ شاول: أبصر! ففي تلك الساعة نظرت إليه، فقال: إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته، وتبصر «البارّ»، وتسمع صوتًا من فمه، لأنك ستكون له شاهدًا لجميع الناس بما رأيت وسمعت. والآن، لماذا تتوانى؟ قم، واعتمد، واغسل خطاياك، داعيًا باسم الرب» . [سفر الأعمال ص ٢٢ : ١٢ - ١٦].

نحن هنا إزاء نص من كلام بولس يدين بولس، سواء في دعواه بشأن الإنجيل الذي يدَّعي أنه قد أُعلن له من يسوع بغير واسطة من إنسان، أو بشأن ناموس موسى الذي يدعي بولس إبطال يسوع له، أو بشأن حقيقة وطبيعة المسيح نفسه.

التلاميذ علّموا بولس إنجيل المسيح وفق شريعة موسى

فأما بشأن الإنجيل الذي ادعى أن يسوع أعلنه له مباشرة بغير وسيط فلا بيِّنة على ذلك بحال من هذا النص الذي رواه هو نفسه، إذْ هو خالٍ تمامًا من أي تعليم أو تلقين إنجيلي من يسوع لبولس؛ وإنما الذي قام بتعليمه -مبتدئًا ذلك بردِّ الإبصار إليه- كان رجلاً تقيًا من أتباع يسوع من نصارى بني إسرائيل، فهذا هو الذي قام بتعليمه وتلقينه إنجيل المسيح، وهو الذي أمره بمباشرة مهامه مبتدئًا ذلك بتعميده لغسل خطاياه، بعد أن استوفى تعليمه وتلقينه، ليصير مؤهلاً لمهمته في الدعوة «باسم الربِّ إله آبائنا» ، أي الإله الواحد الذي أرسل موسى بالناموس، وأرسل المسيح بالإنجيل.

وليس من المعقول أن يقوم بتعميده وتكليفه بالشهادة للمسيح قبل أن يعلّمه كل ما يختص بدعوته وأخباره؛ وإلا فكيف يخاطب الناس بأمور لا يعلمها، ويدعوهم إلى المسيح والإنجيل وهو لا يدري من أمرهما شيئًا؟!

ثم إن ذلك الرجل حنانيا كما وصفه بولس نفسه يبدو حازمًا حكيمًا، وكل الناس يشهدون له بالحصافة والتقوى؛ ومثل هذا الرجل لا يفوته ذلك بحال، حتى ولو ادَّعى بولس أنه يعلم ذلك من قبل. ومن ثم يعني ذلك أن بولس قد قضى عنده أيامًا لا نعلمها، لأنه لم يصرح بها، حتى استوعب عنه بالقدر الذي يرضى عنه ذلك المؤمن التقي الذي اختاره يسوع، دون سواه، معلِّمًا لذلك الشيطان المارد لعله يرتدع، حتى ولو لم يتحقق مراد يسوع وتابعه الأمين!

نحن هنا إذن أمام معلِّم أول لشاول الطرسوسي حيث لقنه إنجيل المسيح!

وقد حرص ذلك الداهية أن يتجنب تمامًا أية تفاصيل بشأن حنانيا هذ
خلاف تلك الإشارة العابرة، والتي تبدو وكأن الأمر لم يستغرق ساعة من نهار!!

فانظر كيد عبيد الشيطان كيف يحتالون لأمورهم في خداع الآخرين!!

ثم سنعلم من بعدُ شأن بطرس ويعقوب أيضًا معه. وقد يكون هناك آخرو
أيضًا مثل «برنابا» لم يشأ أن يذكرهم ويذكر فضلاً لهم، تنكُّرًا لهم واستخفا
بهم. وكم كان شرسًا عقورًا ضد ذوي الفضل منهم كما فعل مع كل من بطر
وبرنابا. وما سكت عنه التاريخ قد يكون أنكى وأدهى!!

أما شأن «الناموس» فإن ذلك النص يصف ذلك التابع العظيم للمسيح بأ
كان «تقيًا حسب الناموس»، أي كان ملتزمًا بشريعة موسى حسب تعاليم المس
بذلك لأتباعه. ومن ثم لم يكن حنانيا مناقضًا لها، أو قائلاً بسقوطها بمج
المسيح والإنجيل كما سيدعي ذلك بولس من بعدُ.

أما بشأن المسيح وطبيعته فإن هذا النص يصف ذلك الذي تراءى لبولس ع
أنه «المسيح» بلفظ «البارّ» في قوله: «إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته، وتبص
«البارّ»، وتسمع صوتًا من فمه»؛ والمراد بلفظ «البارّ» هو يسوع، بمعنى الطب
والمستقيم، تورية عن طبيعته البشرية الخالصة. وقد سمع بولس فعلاً صو
يسوع، لو كان صادقًا فيما يدعيه من تلك القصة، حين أمره باتباعه، والاتجاه إ
حنانيا هذا ليتلقن منه، ويتلقى مهامّ العمل والتكليف في خدمة الدعوة.

فإن كان هذا هو الإعلان الإنجيلي الذي يدَّعيه بولس فهو ضده، لأنه قد أو
إلى أتباعه ليعلموه ويكلفوه، وينقاد لما يأمرونه به، وفق تعاليم المسيح الحقيقية!

بولس يتعمد الكذب لإنكار تعليم التلاميذ له!

أما إن كابر، وكان يريد ما ذكره في الرواية الثانية بعد عشرين عامًا من الأولى [ص ٢٦ : ١٥ - ١٧] حيث يقول : «فقلت: من أنت يا سيد؟

«فقال: أنا يسوع الذي أنت تضهده. ولكن قم، وقف على رجليك، لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادمًا وشاهدًا بما رأيت، و«بما سأظهر لك به»، منقذًا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا، ونصيبًا مع المقدسين» [الأعمال ص ٢٦ : ١٥ - ١٨].

فنقول: لو أراد ذلك فالروايتان متناقضتان، وبالتالي يصير كاذبًا في إحداهما:[1]

ففي الأولى استعلى يسوع عن تعليمه وتكليفه، وأوكل تعليمه وتكليفه إلى أحد تلاميذه من الملتزمين بناموس موسى الذي لا يقبل بتبشير الأمم؛ بينما هو في الثانية يقوم بتكليفه، وليس ذلك فحسب، بل يأمره بتبشير الأمم، أي بما يقتضي نقض تعاليم المسيح من قبل لأتباعه بالتزام ناموس موسى، والذي كان من أهم مزايا حنانيا الذي اختاره ليرسله إليه، وأوكل إليه تعليمه وتكليفه طبق ما جاء في الرواية الأولى، وهو نفس الناموس الذي التزم به يسوع أيام دعوته، وألزم أتباعه

(١) انظر كتابنا: عقائد النصارى الموحدين - ص ٨٠ - ٩٠ في كشف تناقضات بولس في الروايتين الأولى والثانية وفي تلخيص كاتب سفر الأعمال - ط ٢ - ٢٠٠٤ م - مكتبة النافذة.

به من بعده، وتحقق ذلك فعلاً منهم، وبخاصة في العهد الرسولي الذي عاصره بولس.

ومن ثم إذا صدقناه في إحدى الروايتين فهو كذاب لا محالة في الثانية!

أما عبارة : «وشاهدًا بما رأيت، و «بما سأظهر لك به»، فهو كذب صراح، فلماذا يؤثره هو بالظهور المستمرّ، ولم يسبق منه وعد بذلك قط لأحد من رسله الصادقين، وتلاميذه المخلصين، وهم أحق وأولى، بدليل إذلاله في الرواية الأولى بإحالته إلى أحد هؤلاء التلاميذ المغمورين ليتولى أمره، ويقوده، ويسود عليه؟!

على أية حال، فإنه مع وجود بولس مع حنانيا في دمشق وفق الرواية الأولى، وهي الأقرب إلى القبول، وقد عوّل عليها كاتب سفر الأعمال، فإن حنانيا كان يأذن له بالتقاء تلاميذ المسيح فيها؛ قال في سفر الأعمال: «. . فمضى حنانيا، ودخل البيت، ووضع عليه يديه، وقال: أيها الأخ شاول : لقد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر، وتمتلئ من الروح القدس.

«فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور، فأبصر في الحال، وقام، واعتمد، وتناول طعامًا فتقوى. وكان **شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أيامًا**» [ص ٩ : ١٧ - ١٩].

ومعنى ذلك أن شاول وجد نفسه في محيط من الاستذكار المستمرّ لتعاليم يسوع وأخباره التي لقّنه إياها ذلك المعلم حنانيا. وبصرف النظر عن طابع المبالغة في اختصار الوقت الذي توحي به هذه الرواية من سفر الأعمال، وهي أصلاً من رواية بولس، إلا أن المرتكز الأساسي فيها قول الكاتب: **«وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أيامًا»**؛ أي هو مع المعلم حنانيا، ومع رفاقه وأتباعه في وقت واحد، يتلقونه باهتمام واحتفاء، ويقضون الوقت معه في الحديث عن يسوع وأخباره كأمور مقدسة تقتضيها المناسبة، وتحبذها الرغبة في تعريف الأخ

الجديد بعقيدتهم، وكذكريات طيبة مباركة تبتهج لها أرواح المؤمنين.

ثم لم يقف الأمر عند هذا الحدّ، فقد سافر إلى أورشليم بصحبة أحد هؤلاء التلاميذ العظام وهو «برنابا» الذي سيختاره رسل المسيح رسولاً مثلهم فيما بعدُ، ليشهد له عندهم. يقول في الأعمال: «ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافون، غير مصدّقين أنه تلميذ. فأخذه برنابا، وأحضره إلى الرسل، وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق، وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع. فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم، ويجاهر باسم الربّ يسوع» [ص ٩ : ٢٦ - ٢٨].

ولا شك أن رفقة برنابا له من دمشق إلى أورشليم، ثم لقاؤه بالرسل والتلاميذ، كانت كلها جميعًا تدور في نفس الدائرة من الحديث والاستذكار، وشتى صور الحوار، في هذه الأمور.

هذه إذن مراحل وتطورات وأحوال تكشف أن أتباع المسيح كانوا حول بولس في حديث متصل لا يملُّون منه، ولا يزهدون فيه، عن تلك الأمور المقدسة بشأن المسيح والإنجيل، فيستوعب، ويهضم، ويتمثل، وتكون له تأملات وأفكار. وكل ذلك يصمه بالكذب المتعمد عندما يدعي أنه لم يتلق إنجيل المسيح من إنسان!

إن بولس حتى لو حاول أن يتجنب استيعاب ما كان رسل المسيح وتلاميذه يذكرون على مسامعه، فلن يستطيع بحال أن يلغي سمعه وعقله ووعيه عما يجري ويقال، وضرورة المشاركة لهم في ذلك، على الأقل لستر تدبيره المزمع ضد المسيح ودعوته!

إقرار بولس بمقابلة بطرس ويعقوب ليسمحا له بالتبشير

على أننا لو رجعنا إلى كلام بولس الذي نقلناه عنه من قبل من «غلاطية» [ص ١ : ١٥ - ٢٤]، لوجدناه يزعم في عبارات تعمّد أن يجعلها مبهمة وغامضة، أنه بعد أن عزم على اتباع يسوع، انطلق إلى «العربية» ثم عاد إلى دمشق، ثم بعد ثلاث سنوات ذهب إلى أورشليم ليتعرف ببطرس، وقضى معه خمسة عشر يومًا، والتقى أيضًا بيعقوب أخي يسوع، ثم بعد ذلك رجع إلى أقاليم سورية وكيليكية، وعندئذ بدأ يبشر بالإيمان الذي كان يتلفه من قبل.

والمسيحيون يفسرون «العربية» التي أشار إليها بأنها تقريبًا جزء من شبه جزيرة سيناء المصرية، وحيث جبل حوريب الذي كان موسى يتلقى به الشريعة.

كذلك يزعمون أنه إنما قضى الثلاث سنوات التي أشار إليها في ركاكة وغموض بتلك الأرض «العربية» وليس بدمشق كما توهم عبارته المشبوهة، ثم بعد انقضاء الثلاث سنوات هنالك، ذهب حسب قوله إلى أورشليم ليتعرف ببطرس كبير الرسل، وبعدها عاد إلى دمشق، لينطلق بالدعوة إلى سائر أقاليم سورية وما جاورها.

والواقع أن هذا الخبر عن اعتزاله ثلاث سنوات فيما أسماه «العربية» لا أصل له في رواية سفر الأعمال، وهي الرواية الوحيدة والمنتظمة، والتي تمضي في تسلسل مقبول، حيث يظهر له يسوع في طريق دمشق، وعندما يصلها، ويستقر بها، يأتيه حنانيا، ويعلمه ويعمّده، ويكلفه بالمراد منه، ويقضي هنالك معه ومع

رفاقه وتلاميذه «أيامًا» حسب تعبير سفر الأعمال، ويعني بها فترة غير محدودة ولا قصيرة، ثم بعدها يتجه إلى أورشليم لمقابلة الرسل، ويشهد له «برنابا» نائبًا عن التلاميذ في دمشق.

هذا الخبر إذن عن اعتزاله ثلاث سنوات بالعربية يجب أن يكون موضع شك كبير، وإلا يعدو كونه أكذوبة أخرى أراد أن يخفي بها شيئًا ما، كما فعل في روايته الثانية عن حادث ظهور المسيح له في طريق دمشق، وحيث جاء بمزاعم تناقض تمامًا ما ذكره في الرواية الأولى، مستهدفًا بذلك دفع إلزام عليه من جانب الرسل والتلاميذ الحقيقيين بأن الدليل على كونه أدنى منهم شأنًا واعتبارًا، ووجوب خضوعه لتعليمهم عن المسيح، ما ذكره هو نفسه في الرواية الأولى حيث أحاله إلى أحد تلاميذه لتعليمه وتكليفه، ومن ثم اضطر أن يرتكب تلك الأكذوبة في الرواية الثانية بإخفاء دور حنانيا تمامًا ودور رفاقه وتلاميذه، ليجعل المسيح نفسه هو الذي يقوم بتكليفه بالدعوة والتبشير!!

فالكذب من بولس، والتعديل منه في أقواله، ليس بجديد!!

ومن ثم فوراء زعمه بثلاث سنوات قضاها في العربية هدف ما يحاول به نفي أو إنكار شبهة تحطّ من شأنه، وتكشف كيده لدعوة يسوع، لكن للأسف نجح أنصاره في إخفائها!!

على أننا لو أخذنا بقول المسيحيين بأن مسيحهم قد رحل عن ثلاث ثلاثين سنة، وأضفنا إلى ذلك أنه قد ذهب إلى الرسل والتلاميذ بعد ثلاث سنوات مدّعيًا أنه يؤمن بالمسيح، ويعتقد بدعوته، فإن هذا سيكون إذن في السنة السابعة والثلاثين، أي في السنة التي مات فيها طيباريوس قيصر امبراطور روما الذي كان متعصبًا لفكرة تأليه المسيح، التي كان ينادي بها بعض يهود الشتات المخالطين للوثنيين، والمتأثرين بهم، وكان بولس يتبنى فكرهم؛ خاصة وأن يسوع

كان قد نادى بمحبة الرومان، ودفع الجزية لقيصر، ولم يتهم الوالي الروماني بيلاطس البنطي الذي زعموا أنه قام بصلبه وقتله. ورأى القيصر الوثني أن يفيد في الجانب السياسي من فكرة ظهور هذا الإله اليهودي في الدعوة لنفسه كإمبراطور صالح، وأن ذلك الظهور دليل الخير والبركة والسلام لروما، حيث تظهر الآلهة في عهده راضية عنه، مغتبطة به. ومن ثم رفع تقريرًا إلى مجلس الأعيان لإحصاء هذا المصلوب واحدًا من آلهة روما.

فلما تجاهلوا طلبه، ثارت ثائرته، وتبنى دعوة المسيحيين من عابدي ذلك المصلوب، وهدد من يقاومهم؛ وكل ذلك وفق ما ذكره مؤرخ الكنيسة أوسابيوس القيصري المتوفي سنة ٣٤٠ م في «تاريخ الكنيسة»، وعرضنا له من قبل في كتابنا «عقائد النصارى الموحّدين»[١].

وكان من الطبيعي أن يبحث القيصر الجريح في كرامته وكبريائه عمن يحقق غايته بالترويج لذلك المعتقد في أرجاء الامبراطورية، ثأرًا من معارضيه، وتنفيسًا عن غيظه وغضبه. وكان بولس قد تنصّر فعلاً في الرابعة والثلاثين، أي ساعة وقوع تلك الأحداث، ووفق ذلك الاعتقاد. وبالتالي لم يكن ببعيد أن يكون ذلك عن رغبة من أنصار الإمبراطور، وكان بولس يتمتع بالرعوية الرومانية وراثة عن أبيه، أو لأنهم وجدوه على نفس المعتقد فجندوه لتلك المهمة!!

ومن ثم لا نستبعد أن أحدًا من رسل المسيح وتلاميذه قد كشف عن ذلك، وعيّره به، فاصطنع قصة الثلاث سنوات التي اعتزلها في العربية كنوع من درء الشبهة عنه!

لكن الواقع أن توثين المسيحية قد تمّ على يد اثنين محدّدين من أباطرة روما:

---

(١) أوسابيوس قيصر: تاريخ الكنيسة ك ٢ ف ٢ . وانظر كتابنا عقائد النصارى الموحدين - ص ١٧٣ - ١٧٨ ط ٣ - ٢٠٠٤ م مكتبة النافذة.

الأول: هذا الجهول المدعو طيباريوس قيصر المتوفي سنة ٣٧ .

أما الآخر: فهو الداهية الأكبر قسطنطين الذي توفى سنة ٣٣٧، والذي استدرج المسيحيين حتى صار هو صاحب الكلمة الحاسمة بشأن عقائدهم، وصار رئيسًا للكنيسة في الوقت الذي هو فيه كاهن الوثنيين أيضًا، والذي في عهده عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥، وقام هو نفسه فيه بالدعوة إلى تأليه المسيح، وانتهى المجمع بصوغ ذلك المعتقد حسب رأيه وأمره، وأعيد صوغ الإنجيل وفق هذا التطور الخطير، وأعمل سيفه في قتل من يخالف ذلك الاعتقاد، خاصة النصارى الموحدين من يهود بني إسرائيل، وأمر بقطع أي ارتباط بين المسيحية واليهودية، ومن حينها مضى الأمر على ما أراد [1]، حيث نجح تمامًا في نزع فتيل التنافر بين المسيحية والوثنية. وكل ما قام به كان على حساب المسيحية دون أن يعرض بشيء قط من التغيير والتعديل في عقائد الوثنيين، ورفض التنازل حتى ساعة موته عن لقب «**كاهن الوثنيين**» غير مبالٍ بشأن المسيحية والمسيحيين إلا على الطريق الذي رسمه!!

على أية حال، نرجع مرة أخرى إلى نفس النص من بولس في الرسالة إلى الغلاطيين، لنستكمل حديثنا عما كان بينه وبين بطرس حين ذهب إليه في أورشليم. ونستميح القارئ الكريم أن نستعيد النص مرة أخرى. يقول بولس: «ولكن لما سرّ الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته، أن يعلن ابنه فيّ «**لأبشر به بين الأمم**»، للوقت لم أستشر لحمًا ودمًا، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلقت إلى «**العربية**» ،ثم رجعت أيضًا إلى دمشق. ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرّف ببطرس، «**فمكثت عنده خمسة عشر**

---

(١) انظر: أوسابيوس قيصر: حياة قسطنطين ك ٣ ف ١٨، ١٩، وكتابنا «عقائد النصارى الموحدين» ص ٦٥ - ٦٦ .

يومًا»، ولكنني لم أرّ غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الربّ. والذي أكتب به إليكم هو ذا قدام الله أني لست أكذب فيه. وبعد ذلك جئت إلى أقاليم سورية وكيليكية. ولكنني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح؛ غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً، يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه. فكانوا يمجّدون الله فيّ». [غلاطية ص ١ : ١٥ - ٢٤] .

ونحن نتساءل: لقد أقرّ بولس في هذا النص الذي يستشهد الله عليه أنه عندما صعد إلى أورشليم ليتعرّف ببطرس قضى «عنده» خمسة عشرة يومًا. فماذا كان يصنع عنده أو معه في هذه الخمسة عشر يومًا:

أكان يتسلى معه بصيد السمك بصنّارة على شط أحد الأنهار، أم كان يلعب معه «الشطرنج»، أم يمارس بعض الألعاب الرياضية استعدادًا لمباراة تحرز الكأس ليسوع، أم كان شاول غريبًا عن أورشليم، جاهلاً بمعالمها وآثارها، فراح يصطحبه رفيقًا ومرشدًا في جولته السياحية هنالك، يخبره بتاريخها وعجائبها، أم كان يحكي له «حواديت» جدتي؟!

إن كل أخبار يسوع وتعاليمه لا تستغرق أكثر من يومين أو ثلاثة مهما تروّينا في الحديث، لأن مدته كانت قصيرة لا يستكمل بها المبالغ مهما تحذق واصطنع أربعة أعوام، إذ كانت على زعمهم ثلاثة أعوام مع شهرين أو ثلاثة، وانخفض بها بعضهم إلى عام واحد فقط لا غير اعتمادًا على إنجيل يوحنا!!

لم يبق إذن إلا أنه قد قضى تلك الأيام يتلقّن من بطرس أخبار المسيح وتعاليمه، ويستقصي الدواعي والأسباب، ويطرح ما يعنّ له من أسئلة عن شخص يسوع في سائر شأنه، وما أحاط به من ملابسات وأحداث، وردود أفعاله من أقوال وتعاليم، أو عجائب ومدهشات، أو ما كان منه في جملة سلوكه وأحواله.

ثم إنه بعد ذلك، قد ازداد أيضًا تثبيتًا من هذا بما سمعه من يعقوب المدعو أخًا ليسوع (من يوسف النجار زوج مريم).

حتى إذا استوفى ذلك كله، أذنوا له بالمشاركة في الدعوة والتبشير، فابتدأ كما ذكر من أقاليم سورية وما جاورها منطلقًا حيث شاء.

نحن إذن حسب إقرارات بولس أمام ثلاثة تولَّوْه بالتعليم والتلقين قبل المشاركة في الدعوة والتبشير:

الأول: حنانيا كما أظهرنا أمره من رواية بولس في سفر الأعمال.

الثاني: بطرس، كما ورد في هذا النص من رسالة غلاطية.

الثالث: يعقوب أخو يسوع، والذي اختاره الرسل والتلاميذ زعيمًا لهم في أورشليم.

عودة بولس للإقرار بإنجيل المسيح مع بطرس والتلاميذ

على أنه رغم هذا النص السابق ذكره من كلام بولس، إذا بنا نفاجأ به في الإصحاح الثاني من نفس الرسالة يخبرنا أنه بعد أربع عشرة سنة قد ذهب إلى أورشليم ليبلغ الرسل والتلاميذ بأنه قد قام منذ فترة بتبشير الأمم بسبب «إعلان»، أي «رؤيا» تراءت له أن يخبرهم بذلك وليس عن رغبة أو اهتمام من جانبه للاستئذان منهم في هذا الأمر الذي مضى فيه، غير قابل للنقاش والمراجعة فيقول: «ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضًا إلى أورشليم مع برنابا، آخذًا معي تيطس أيضًا. وإنما صعدت بموجب «إعلان»، وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم. ولكن بالانفراد على المعتبرين، لئلا أكون أسعى، أو قد سعيت باطلاً». [غلاطية ص ٢ : ١ - ٢] .

وهو أيضًا يعترف أن الرسل لم يشيروا عليه بشيء، إلا أن ذلك كان هو الداعي أو المناسبة في نظره لوضع ما أسماه **«يمين الشركة»** بينهم وبينه، حيث تركوا له أن يبشر الأمم الوثنية كيف شاء، على ألا يكون له شأن أو دخل بأمر الدعوة بين اليهود والأقاليم التي يعمل فيها أتباع بطرس وكنيسة أورشليم فيقول: «فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا عليّ بشيء؛ بل بالعكس، إذ رأوا أني اؤتمنت على **«إنجيل الغرلة»** كما بطرس على **«إنجيل الختان»** ،فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيّ أيضًا للأمم. فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا **«يمين الشركة»** لنكون نحن للأمم،

وأما هم فللختان» [غلاطية ص ٢ : ٦ - ٩] .

هنا إذن نجد بولس قد بشر الأمم دون استئذان الكنيسة الأم في أورشليم.

وهنا أيضًا، ولأول مرة، نجد اتفاقًا بين الفريقين على أن هنالك إنجيلين لا إنجيلاً واحدًا: «**إنجيل الغرلة**»، أي إنجيل يختص بغير اليهود ولا يأمر بالختان، ويختص به بولس في سائر الأمم؛ «**إنجيل الختان**» أي الذي يختص باليهود ويأمر بالختان، وهذا يختص به بطرس وسائر كنيسة أورشليم.

حصل افتراق إذن في صورة الدعوة ومضمونها؛ ومن ثم جاء ما يسمى «**يمين الشركة**» بين بولس والرسل.

إذن حسب كلام بولس يصير بذلك ناقضًا لما أسماه «إنجيل الختان»، أي الإنجيل الذي يلتزم به الرسل والتلاميذ وفقًا لما تلقوه من تعاليم المسيح؛ وبالتالي يلزمه تعمد الكذب عندما قال بشأن الإنجيل إنه إنجيل واحد لا يقبل التعدّد، متهمًا خصومه بأنهم يصطنعون إنجيلاً آخر، فإذا به هو الذي يصطنع هذا الإنجيل الآخر ليستقل به عن إنجيلهم!!

لكن هنا يأتي تساؤل: هل يعترف بولس بإنجيل الختان أنه صحيح، أم هو حقًا منكر لأصله عن المسيح؟

لا أدري إن كان بولس قد سَهَا، فأفلتت منه الحقيقة، أم أنه قد تعمّد أن يجهر بها، مؤكدًا صدق وصحة إنجيل بطرس وسائر الرسل والتلاميذ الذين اتهمهم من قبل بأنهم «يحوّلون إنجيل المسيح» ، وذلك حيث قال: «**فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان، عمل فيّ أيضًا للأمم**»؛ فهو هنا يجعل الذي أعطى بطرس والتلاميذ «إنجيل الختان» هو الذي أعطاه أيضًا إنجيل الأمم: ترى لو كان الذي أعطى بطرس والتلاميذ إنجيل الختان هو الشيطان أكان يجعله هو الذي أعطاه أيضًا إنجيل الأمم، أو كان يقر أنه يوحَي إليه من الشيطان؟

أليس هذا إقرارًا صريحًا بيقينه بصحة وصدق إنجيل الختان عن المسيح نفسه، ومن ثم يحاول أن يستمدّ بهذا الإقرار سببًا لتأسيس دعواه بأنه قد أعطاه أيضًا كما أعطاهم؟! بل أليس هذا إقرارًا صريحًا أيضًا منه بأنه كذاب فيما اتهمهم به من قبل بتحويل إنجيل المسيح، لعلهم يقرون بإنجيله الزئف الذي يأنفون من مثله، ولا يقرّون له بأصل أو أساس؟!

لو كان بولس صادقًا، وعلى يقين بأن ما عند بطرس وإخوانه ليس بإنجيل المسيح، لما اجترأ قط على هذا الادعاء بأن الذي عمل في بطرس هو الذي عمل فيه أيضًا حسب زعمه؟!

لكن بولس حيث يأخذه الغرور بما زعم قد تورط في تناقضات قاتلة:

فلا يجوز أن يكون المسيح صادقًا، صاحب دعوة واحدة، وفي نفس الآونة يعلّم بإنجيلين متناقضين كل التناقض، كما هو الحال بين إنجيلي بطرس وبولس:

ولا يجوز أن يكون صادقًا في إنجيل الختان أنه مجرد نبي مرسل، وبشر فحسب، وعلى سنة موسى وشريعته، يلتزم بها طوال أيامه، ويلزم بها أتباعه من بعده، ومؤكدًا دوام الناموس إلى انقضاء العالم، بينما يأتي في إنجيل بولس مدَّعيًا للألوهية، آمرًا بإبطال الناموس وإدانة من يلتزمون به ممن أوصاهم بذلك من قبل!

كذلك لا يجوز أن يكون صادقًا في إنجيل الختان حيث ينهى عن تبشير الأمم، بينما في إنجيل بولس يأمر بتبشيرهم، ويحرّض عليه، ويدين من ينكر على بولس نهجه ودعوته!

كذلك لا يجوز أن يكون صادقًا في إنجيل الختان حيث يأمر بالتزام الوصية العظمى بحرفيتها في سفر التثنية [ص ٦ : ٤]، وحسب إنجيل مرقس [ص ١٢ : ٢٨ - ٣٤] إذ يؤكد بصرامة ووضوح على عقيدة التوحيد المطلق لله سبحانه،

بينما في إنجيل بولس يسقط ذلك، ويؤله ذاته، ويؤله الروح القدس الذي يزعم أنه ينفذ حتى أعماق الله!

إن بولس عندما يدَّعي أن الذي عمل في بطرس والرسل قد عمل فيه أيضًا يرتكب الخطيئة العظمى في حق الله والمسيح، ولا يكون ذلك قط من مخلوق في قلبه ذرة من إيمان!!

إن بولس بما ذكره، لا يكذب قط، بل يقدم برهان كذبه، ويقيم البيِّنة على عداوته للمسيح وأتباعه الصادقين!

خلاصة كلام بولس إذن أنه مرَّ بمرحلتين:

الأولى: اصطنع فيها المضيّ معهم وفق «إنجيل المسيح».

الثانية: كشف فيها عن فكره الحقيقي، وبسببها اندفع إلى التبشير بهذا الفكر دون مبالاة بالمراجع الأساسية في كنيسة أورشليم المؤتمنة على إنجيل المسيح.

كان هنالك إذن «إنجيل للمسيح» اعترف به بولس نفسه حسب تلك القرائن من كلامه وشهادته لصالح بطرس المؤتمن على ذلك الإنجيل بقوله بأن الذي عمل في بطرس قد عمل فيه، وأن ذلك الإنجيل كان قائمًا في العهد الرسولي الذي كتب خلاله بولس كلامه هذا وسائر رسائله. وبالتالي كان الخلاف بينه وبين خصومه أول الأمر، حسب دعواه، هو في كيفية الفهم والتفسير لذلك الإنجيل. ثم انتهى الحال به بعد ذلك إلى المواجهة بينه وبينهم، بما آل بالفريقين أن صار هنالك إنجيلان، نزولاً على رأي بولس واقتراحه:

الأول: إنجيل الختان، أي الأصل الصحيح لإنجيل المسيح، وتلتزم به كنيسة أورشليم وسائر النصارى الموحِّدين من بني إسرائيل، ومن سلك على نهجهم.

الثاني: إنجيل الغرلة، أي إنجيل بولس الذي اصطنعه لتبشير الأمم، ويمثل فكره الخاص، أو ما هو مكلف به من الرئاسات العالمية!!

شهادة ثالثة من بولس بإنجيل للمسيح كان يعلمه لتلاميذه

على أن هناك شاهدًا آخر جاء به بولس أيضًا، يثبت أن المسيح كان يستخدم لفظ «**الإنجيل**» في الإشارة إلى تعاليمه، وهو ما يدحض دعوى المسيحيين بأن الإنجيل هو ما كتبه تلاميذه وأتباعه عنه بعد رحيله، وبعد القيامة المزعومة، ويؤكد أن الإنجيل الصحيح هو ما نطق به، ولقَّنه لأتباعه، فيقول بولس:

«ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون؟ الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح؟ هكذا أيضًا **أمر الربُّ: أن الذين ينادون «بالإنجيل» من «الإنجيل» يعيشون**» [كورنثوس الأولى ص ٩ : ١٣ - ١٤].

فأين إذن قال «**الربُّ**»، وهو يسوع الذي يعنيه بولس بهذه الصفة، تلك الوصية، أو ذلك التعليم: «**أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون**»؟

لقد جاء هذا النص فعلاً في تعاليم يسوع في إرساليته للاثنى عشر للتبشير بدعوته في إسرائيل، وسجلها «متى» وحده، حيث جاءت على لسان يسوع في سياق توجيهه لهم بشأن المهمة التي كلفهم بها على هذا النحو: «لا تقتنوا فضة ولا ذهبًا ولا نحاسًا في مناطقكم، ولا مزودًا للطريق، ولا ثوبين، ولا أحذية، ولا عصا. **لأن الفاعل مستحق طعامه**» [متى ص ١٠ : ٩ - ١٠].

إذن هذه العبارة من كلام المسيح «**لأن الفاعل مستحق طعامه**» هي ما يشير إليه بولس بقوله: «هكذا أيضًا أمر الربُّ [يسوع] : **إن الذين ينادون بالإنجيل**

من الإنجيل يعيشون»، وهذا يعني أن بولس قد علم يقينًا باستخدام المسيح لفظ «الإنجيل» في وصف دعوته وتعاليمه؛ وهو أمر بالغ الأهمية والخطر في إثبات إنجيل جاء به المسيح، ولقّنه لأتباعه.

وحتى لو لم يكن المسيح قد استخدم لفظ «الإنجيل» حرفيّاً، وهو أمر نشك فيه لما سنكشفه من تحريف إنجيل متى الحالي، إلا أن بولس قد فهم أن «إنجيل المسيح» هو تعاليم المسيح، وهذا عين المقصود باسم «إنجيل المسيح».

ولم تكن الأناجيل التي يقول بها المسيحيون اليوم قد كتبت بعدُ. كما أنه يمتنع تمامًا أن يكون إنجيل متى بصورته الحالية قائمًا آنذاك، أو أن بولس قد قصد أن يشير إليه، إذ إن رسائل بولس سابقة على كتابة سائر الأناجيل، فضلاً عن كونه يسمى تعاليمه في رسائله: «إنجيلي»، «الإنجيل»، «إنجيلنا». وكان هذا القول عن يسوع: «لأن الفاعل مستحق طعامه» معلومًا قبل كل من كتابات بولس وإنجيل متى على السواء.

لكن عبارة بولس تفيدنا أن لفظ «الإنجيل» كان الاسم الذي اختاره المسيح لتعاليمه، والتي أمر رسله وتلاميذه أن ينادوا بها في إسرائيل.

فنحن إذن، تأسيسًا على كلام بولس هذا، نتعرف بذلك على الأصل الأول والمصدر الحقيقي لهذا الاسم «الإنجيل» ، وأنه قد كان فعلاً من تسمية المسيح نفسه لقوله وتعاليمه.

شواهد من الأناجيل بتسمية المسيح لتعاليمه باسم «الإنجيل»

بل نشفع هذا أيضًا بشواهد من الأناجيل الحالية، تثبت، وعلى نحو قاطع، وجود إنجيل مع المسيح، ووصفه لتعاليمه بأنها «**الإنجيل**»:

من ذلك مثلاً، ما ذكره عن الفتن التي ستحدث بعده، والاضطهادات التي ستلحق بأتباعه، فقال لهم حسب إنجيل مرقس: «وينبغي أن يُكرَز أولاً «**بالإنجيل**» في جميع الأمم» [ص ١٠ : ١٠]، فهو هنا يصف تعاليمه بأنها «الإنجيل»؛ بصرف النظر عن عبارة «جميع الأمم» التي أضيفت في عصور متأخرة، خاصة في القرن الرابع.

بل إنه أحيانًا ما يشير إلى هذا الإنجيل كشيء شاخص، ذي وجود مستقل معه، يؤديه إليهم على نحو خاص، وذلك مثلما نراه عندما علَّق على ما فعلته المرأة التي سكبت عليه قارورة الطيب، فيقول حسب إنجيل مرقس: «الحق أقول لكم: حيثما يُكرز «**بهذا الإنجيل**»، في كل العالم، يُخَبَّر أيضًا بما فعلته هذه، تذكارًا لها» [ص ١٤ : ٩].

فهذا أمر من يسوع لأتباعه بألا يسقطوا خبر هذه المرأة التي سكبت الطيب عليه، حين يبشرون «**بهذا الإنجيل**»، أي بما يلقنهم إياه من سلوك وتعليم. ولفظ الإشارة في هذه العبارة: «**بهذا الإنجيل**» قاطع بأن الإنجيل شيء قائم معه ومن خلاله يسمعونه، على نحو أو طقس معيَّن، مشتملاً أخباره وتعاليمه التي يوصيهم بها.

وقد تكرر هذا النص ذاته في إنجيل متى، الذي كان كاتبه حريصًا ألا يذكر وجود إنجيل مع المسيح، لأسباب سنعلمها من بعدُ، فإذا به ينقل هذا الخبر هكذا: «الحق أقول لكم: حيثما يُكرز **«بهذا الإنجيل»**، في كل العالم يُخْبَر أيضًا بما فعلته هذه، تذكارًا لها». [ص ٢٦ : ١٣].

ونكتفي الآن بهذه الشواهد ريثما نذكر شواهد أخرى من كلام المسيح، أشدّ وضوحًا وقوة، لا تحتمل أي جدال أو تأويل.

كان المسيح إذن يستعمل لفظ **«الإنجيل»** في وصف كلامه وأخباره وتعليمه.

ويترتب على ذلك كله أن نقول بوجود ما يسمى **«إنجيل المسيح»**، قبل وجود أي إنجيل من أناجيل المسيحيين التي يعتقدون بها، ويحاولون لأجلها إنكار إنجيل جاء به المسيح، وكان معه كشرط لتصديقه والإيمان به، لأسباب سنعلمها من بعدُ.

الفصل الثالث

معضلات القضية الإنجيلية

أولاً: مشكلة تدوين الأناجيل عند المسيحيين

من أهم وأكبر المشكلات التي يواجهها المسيحيون بشأن عقائدهم قضية تدوين الأناجيل الأربعة المعتمدة، وترتيب تدوينها تاريخياً.

وكان التقليد عندهم منذ القِدَم أن إنجيل متى هو أول تلك الأربعة تدويناً.

ثم جاء تيار قوي عند المحدثين والمعاصرين بأن الأسبق تدويناً بين الأربعة هو إنجيل مرقس، وأن كُلاً من متى ولوقا قد أفادا منه، وحوَّرا في المنهج والمعنى بما يضفي الألوهية على مسيح الناصرة، الأمر الذي تجافى عنه إنجيل مرقس حسب إقرارهم، حيث التزم كاتبه مرقس بحرفية كلام بطرس ومواعظه فيما كان يذكر من أخبار المسيح.

وحقيقة الأمر أن أصل المشكلة الإنجيلية إنما يكمن في عناد المسيحيين وذعرهم من البوح بالأسباب الحقيقية، إذ رغم إقرارهم بأنه ليس بإمكانهم القول بالوجود، أو الحصول على أية نسخة صحيحة، أو كاملة، أيّاً كان مضمونها، لأي إنجيل من تلك الأربعة المعتمدة قبل القرن الرابع، أي قبل أواخر ذلك القرن

بالتحديد، والذي كان قرن المجامع المقدسة التي حددت ملامح وأصول عقائدهم الحالية، حسب اقتراح الأباطرة الوثنيين؛ إلا أنهم مع ذلك يتجاهلون تمامًا معظم التطورات التاريخية التي ألَمَّت بالدعوة المسيحية قبل ذلك القرن، ومنذ بداياتها، حتى أوائل ذلك القرن الرابع من صنوف الاضطهاد والإبادة لكتبهم المقدسة، وما كان من تشويه وإفساد مفرطين في كتابة الأناجيل حسب المذاهب والفرق التي احتدم بينها التعارض والخلاف، وكما هو مثبت وموثَّق في أصولهم التاريخية والعقائدية، مما سنعرض لبعضه خلال هذا الكتاب على نحو مختصر.

إن الأمر يحتاج من هؤلاء المسيحيين إلى وقفة مع النفس في تجرد وحَيْدة وموضوعية، إن كانوا حقاً مخلصين في طلب الحقيقة، والأصول الصحيحة لديانتهم.:

فما من إنجيل من تلك الأناجيل الأربعة المعتمدة إلا وقد تكررت كتابته عدة مرات يطرأ التغيير والتحريف أو يزداد في كل مرة منها عما كان من قبلُ، قبل أن يستقرَّ أواخر القرن الرابع على أصل هذه الصورة التي يعرفونها الآن عن كل واحد منها. وخلال تلك الرحلة الطويلة من تطورات وتعديلات في صور الأناجيل ومضمونها، نصير أمام وضع يمتنع معه الوصول إلى معيار يخضع لتلك النظريات المتهافتة والمخادعة التي يرهقون بها أنفسهم، ويضِلُّون بها العامة والدارسين على السواء، ثم لا ينتهون منها إلى يقين، أو أمر يرتاح إليه بال؛ وهو أمر طبيعي لمن يتخذ تلك المسالك المظلمة. ولكنهم لا يقبلون الاعتراف بهذا الواقع التاريخي الذي كان، ويريدون أن ينظروا إلى تلك الأناجيل كأنها ظلت على صورة واحدة لم يتطرق إليها تغيير قط، وهو ما يناقض مبادئ العقل، ومعطيات الواقع والتاريخ، والذي سجلته كتابات آبائهم ومعلميهم الأولين.

فهم مثلاً : حسب التقليد يزعمون أن إنجيل متى كان أول إنجيل دُوِّن عندهم. ولهم فروض شتى حول تدوينه منذ السنة الخمسين حتى ما قبل دمار الهيكل

بأورشليم سنة ٧٠ .

ورغم ذلك ففي تواريخهم أيضًا أن كُلاً من إنجيلي مرقس ولوقا قد دُوِّنَا في الفترة ما بين السنة الستين والسنة السبعين ، وحيث تمَّ تدوينهما من مواعظ كل من بطرس في إنجيل مرقس، وبولس في إنجيل لوقا؛ وإن كان إيريناوس Ire-naeus، وهو من كبار أساقفتهم ومؤرخيهم العقائديين، وتوفي حوالي سنة ٢٠٠، يؤكد أن كلاً من مرقس ولوقا قد نشرا إنجيليهما بعد وفاة بطرس وبولس، فيما بين سنة ٦٨ وسنة ٧٠؛ أي لم يكن نشرهما في حياة أي منهما.

فإذا سألتهم: أين هو أصل إنجيل متى؟ أجابوك : لا ندري!

وإذا سألتهم: بأي لغة كتب متى هذا الإنجيل؟ قالوا: بالآرامية بحروف عبرانية.

وإذا سألتهم: عن السبب في فقد وضياع ذلك الأصل العبراني الأول لمتى؟ أجابوك أيضًا: لا ندري!

وربما حاول بعضهم، خاصة من المعاصرين أن ينكر وجود أصل عبراني، وأن الأصل يوناني فحسب؛ ورغم أنه في ذلك يرتكب ضمنًا جريمة صريحة بالتكذيب لكل مصادرهم القديمة التي أكدت وجود أصل عبراني أول لذلك الإنجيل!!

وربما حاول بعضهم الزعم بأن متى بعد كتابة الإنجيل بالعبرانية، إذ كان يتجه به إلى اليهود، عاد فكتبه باليونانية، أو أمر بترجمته إلى اليونانية، ليبشر به الأمم الوثنية أيضًا، فبقي الأصل اليوناني، وضاع العبراني!

فإذا عدت تسألهم: كيف كانت صورة ذلك الأصل الأول الذي كتبه متى بالعبرانية: أكان مجرد تدوين فحسب «لأقوال» المسيح، كما توحي بذلك تسميته في الأصل باسم «الأقوال»، أم كان على نسق الرواية، والسيرة التاريخية، كما نراها في صورته الحالية؟ كان جوابهم: لا ندري! واختلفوا في الأمر اختلافًا لم

يفلحوا معه أن ينتهو، إلى يقين!

والواقع أن مصدر المشكلة الإنجيلية هو من جانبهم هم؛ فهم متحفزون دائمًا للصراع ضدً أي رأي يقول بأن أصل إنجيل متى الذي كتبه بالآرامية العبرانية كان مجرد تدوين **«لأقوال»** المسيح، دون ذكر الموطن والمناسبة والتسلسل الزمني أو التاريخي لتلك **«الأقوال»**، وأنه لم تكن به قصة الميلاد، أو أقوال وأحداث، ومعتقدات، يزعمون أصالتها فيه، لأنك بهذا تذهب إلى صورة تختلف عن الصورة التي بين أيديهم الآن، ولا يريدون ، ولا يقبلون بأي رأي يكون فيه مساس بقداستها!!

الأصل الأول لإنجيل متى

على أن الواقع التاريخي يؤكد أن إنجيل متى العبراني، في أصله الأول الذي كتبه متى بقلمه، كان مجرد **«أقوال»** فقط للمسيح، سجلها عنه، دون أن يقرنها بذكر الموطن والمناسبة والتسلسل التاريخي، ولم يكن به شيء قط عن ميلاد المسيح، وسائر ما ألحقنا إليه من إضافات جاءت من جانبهم. فقد أقرَّ علماؤهم: «بأن هنالك أصلاً لإنجيل متى كتبه بالعبرانية، بناء على شهادة «بابياس Pa-pias» أسقف هيرابوليس، والمتوفى حوالي سنة ١٥٥م والذي كتب يقول: «وقد كتب متى **«الأقوال»** Logia بالعبرانية، **ثم ترجمها كل واحد إلى اليونانية** حسب استطاعته»[١].

وهذه الشهادة من بابياس بالغة الخطر، وواضحة أيضًا بغير خفاء. فهو لم يقل إن متى كتب **«الإنجيل»**، بل قال: «إن متى كتب **«الأقوال»** Logia، وهو يعني هنا **أقوال»** المسيح لأن بابياس هذا، قد ذكر هذا النص في كتابه الذي أسماه: «تفسير **«أقوال»** الربِّ» ويعني به المسيح. وهو كتاب كان من خمسة أجزاء، وأورد ذلك في الجزء الرابع منه، حسب شهادة إيريناوس التي أوردها أوسابيوس في كتابه «تاريخ الكنيسة»[٢].

إن إيريناوس أسقف ليون المتوفى حوالي سنة ٢٠٠، والذي نقل ذلك عن

(1) Fausset's Bible Dic. art. Mat. Gospel of, Quoted by Euseb. (1) 439.

(٢) أوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة – ك ٣ : ف ٣٩: ١ ، ١٦ . ترجمة مرقص داود.

بابياس بشأن متى، قد كتب هو أيضًا تلك العبارة على هذا النحو: «وقــد وضع متى «إنجيلاً» للعبرانيين كتبه بلغتهم»[1] وقد ذكر ذلك في كتابه المشهور: «ضدّ الهرطقات».

وهنا نلحظ الفارق في التسمية بين بابياس وإيريناوس حيث يعمل الزمن عمله في التفرقة بين الاسمين : **«الأقوال» و«الإنجيل»**:

فبعد ظهور إنجيل مرقيون Marcion الذي وضعه قبل منتصف القرن الثاني كإنجيل خاص به ومعتمد لمذهبه الذي ترفضه الكنيسة، شعرت هذه الكنيسة بالحرج، وضرورة أن تواجه ذلك بإنجيل، أو عدة أناجيل، كإطار خاص لتصورها بشأن المسيح في أقواله وأفعاله، وسائر ما تدَّعي له من أخبار وأحداث. ومن ثم تحقق لها ذلك بعد منتصف القرن الثاني بالأصول البدائية التي وضعتها واعتمدتها كأصول ومصادر للعقيدة المسيحية، وسمتها **«الأناجيل»** ووضعت على كل إنجيل اسم شخص زعمت أنه كاتبه على ما نراه في النسخ الحالية.

وبالتالي عندما جاء إيريناوس المتوفى آخر القرن الثاني، ووضع كتابه «ضدّ الهرطقات» حوالي سنة ١٨٥، أضرب عن ذكر ما كتبه متى أصلاً باسم **«الأقوال»**، وتابع الكنيسة في تسمية ما نسبته إلى متى باسم **«الإنجيل»** فقال كما رأينا «وقد وضع متى «إنجيلاً» للعبرانيين..»!

وهكذا فعل الزمن فعله، وتغيَّر ما وضعه متى من «أقوال» إلى «إنجيل»!

على أية حال، فقد ذهب فريق من الباحثين إلى أن ذلك الأصل الأول الذي وضعه متى باسم «الأقوال» كان فعلاً عن صورة تجميع لأقوال المسيح على غير نسق تاريخي، «وفسروا ذلك باحتمال أن يكون اللفظ اليوناني Logia الــذي استخدمه بابياس بمعنى Oracles أي الوحي، أو الكلام الإلهي، إنما أراد أن

(1) J. D Douglas : The New Bible Dic. art. Gospels.

يشير به إلى أن إنجيل متى العبراني كان مجموعة من الأقوال Discourses. حسب الترجمة الحرفية للفظ Logia أكثر من كونه سيرة تاريخية بالمعنى المعروف. ذلك أن إنجيل متى هو الوحيد بين الأناجيل الأربعة الذي يورد فعلاً «أقوال» المسيح على نحو متكامل»[١].

والعبرة من هذا أن نتنبّه إلى أن متى لم يستبح لنفسه تسمية ما جمعه من أقوال المسيح باسم «الإنجيل» ربما استشعارًا لجلالة الاسم وسموه، أو لكونه كان يستشعر أنه لم يستجمع كل أقوال المسيح، حتى يمكنه إطلاق هذا الاسم المقدس على كتابه وعمله؛ بينما استباحت الكنيسة ذلك بكل بساطة ويسر!!

بل إنك لترى من بعض مصادرهم الوثيقة أن متى وإخوانه من كَتَبة ما يسمونه الأناجيل الأربعة لم يستبح واحد منهم أن يضع اسمه على ما كتب، إجلالاً وتقديسًا من الرسل والتلاميذ الأولين أن يوضع اسم الواحد منهم على كتاب يستجمع أقوال المسيح وأخباره. فقد ذكروا أن تلك الأناجيل كانت كلها غُفْلاً من تلك الأسماء، وأن «واحدًا من جملة الأناجيل الأربعة لم يكن يحمل قط اسم كاتبه. وأن أول إشارة عن كل من «متى» و«مرقس» كإنجيليين إنما جاءت عند بابياس أسقف هيرابوليس في النصف الأول من القرن الثاني. ففي تقريره الذي أسنده إلى سلطة الشيوخ يذكر أن «مرقس مترجم بطرس قد سجل بدقة كل أقوال وأفعال الربّ التي ذكرها بطرس دون تسلسل وترتيب..»، وهو بالفعل إشارة إلى الإنجيل الثاني. أما كلامه عن تجميع متى «للأقوال» Logia ففيه غموض كبير، ولا يزال موضع نزاع إن كان يشير به إلى إنجيلنا الأول، أم إلى مجموعة من أقوال يسوع، أم إلى سلسلة من النبوءات المسيانية، أم إلى شيء آخر.. »؟![2].

---

(1) Fusset's Bible Dic. P. 458.

وانظر كتابنا : عقائد النصارى الموحدين ص ١١٤ - ١١٥ - ط ٣ .

(2) The New Bible Dic . P. 488.

وإذا كان متى لم يسمِّ ما كتبه باسم «الإنجيل»، فإن مرقس أيضًا قد تجنب وضع ذلك الاسم على كتابه الذي سجله من ذكريات بطرس ومواعظه؛ فيقول إيريناوس: «ثم إن مرقس تلميذ بطرس ومترجمه قد سلَّم إلينا «تدوينًا» بعد رحيلهما [يعني بطرس وبولس] بخلاصة بشارة بطرس»[1].

فأنت هنا أيضًا لا تجد اسم «الإنجيل» على «التدوين» الذي سجله مرقس عن بطرس، سواء جاء منسوبًا إلى بطرس أو مرقس.

بل إن لوقا تلميذ بولس قد تجنب هو الآخر وضع لفظ «الإنجيل» على الكتاب الذي سجله من كلام بولس ومواعظه بشأن المسيح، فيقول إيريناوس: «.. كما دوّن لوقا رفيق بولس، الإنجيل الذي بشَّر به ذلك الرسول في «كتاب». . »[2].

فلفظ «كتاب» هنا يشير إلى أن لوقا أيضًا لم يضع الاسم «إنجيل» على ذلك الكتاب الذي يسمونه الآن «إنجيل لوقا»، وإنما تحرَّز من تلك التسمية سواء منسوبة إليه أو إلى بولس.

ودلالة ذلك إذن أن تلاميذ المسيح وأتباعه الأولين الذين أفاد من منقولاتهم الشفاهية كتبة الأناجيل كانوا يتحرجون من ذكر أسمائهم على أقوال وأخبار المسيح تعظيمًا لشأنه، ودرءًا لأية شبهة، وتواضعًا منهم الا يظن ظانٌ بأن لهم شيئًا فيما نقلوا عنه، فجاء كتبة الأناجيل من بعدهم يتجنبون مثلهم ذكر أسمائهم على تلك الأناجيل.

بل إن يوستينوس الشهيد Justin Martyr المتوفى حوالي سنة ١٦٥م قد دوَّن في كتاباته أن «. . ذكريات الرسل Memoirs of the Apostles التي تسمى «الأناجيل» كانت تتلى في الطقوس المسيحية..»[3].

---

(1) Ibid: P. 488 . (2) Ibid.

وانظر كتابنا : البدايات الأولى للإسرائيليات ص ١٠٣ - ط ٢ مكتبة النافذة.

(3) Ibid: P. 195.

فنرى يوستينوس يسمي ما كتبه رسل المسيح وتلاميذه من تعاليمه الشفاهية باسم «ذكريات الرسل»، ويتجنب أي تسمية لها من جانبه باسم «الإنجيل»، حتى جاءت الكنيسة، ووضعت هذا الاسم على ما كتبه مؤلفوها الذين كلفتهم بتوظيف تلك التعاليم والأخبار حسب توجيهاتها العقائدية.

نحن إذن بصدد تسمية منقولات الرسل والتلاميذ الأولين عن المسيح نجد أننا أمام «الأقوال» Logia، أي أقوال الوحي الإلهي للمسيح عند متى في الكتاب المنسوب إليه باعتباره أحد رسل المسيح.

وأمام: «ذكريات بطرس» عن أخبار المسيح من أفعال وأقوال، والتي سجلها مرقس.

وأمام: «كتاب» يضعه لوقا عما كان يبشر به بولس بشأن المسيح، والذي تلقى تعليمه الأول، وتعميده وتكليفه في دمشق على يد حنانيا، أحد تلاميذ المسيح، ثم قضى بعد ذلك خمسة عشر يومًا عند بطرس في أورشليم، يستوعب منه أقوال المسيح وأخباره، ليلتقي بعد ذلك بيعقوب أخي المسيح، ثم يمضي بعد ذلك مبشرًا به، ويسمي كل ما يدَّعيه من ذلك: «إنجيل المسيح»، «إنجيلي»، و«إنجيلنا»؛ ولكن لوقا في نهاية الأمر لا ينسب إلى اسمه هو شيئًا باسم «الإنجيل»، وإن نسبت الكنيسة ذلك إلى اسمه فيما بعدُ!

وأخيرًا نحن عند يوستينوس الشهيد نجد هذا المسمى: «ذكريات الرسل»، وكأنه يسخر من التسمية التي أطلقتها الكنيسة عليها قبيل وفاته فيقول: «التي تُسمى «الأناجيل»، يريد أنها تسمى هكذا في عرف الكنيسة!! ولا عجب أن تعتبره الكنيسة فيما بعدُ منحرفًا عن تعاليمها!!

ونقول إن من المسلَّم به عند الكنيسة أن العهد الرسولي لتلاميذ المسيح الحقيقيين قد امتدَّ بعد رحيله إلى وقت دمار الهيكل سنة ٦٧ - ٧٠ . وعن ذلك

العهد فإنها تعترف بانتشار التعاليم الشفاهية الحرفية الدقيقة لتعاليم المسيح، وحيث وُجدت أيضًا بعض وحدات مدوّنة من الرسل والتلاميذ لبعض تلك التعاليم الشفاهية أو جملتها، والتي لم يكن بها أي ادّعاء بتأليهه لا من جانبه، ولا من جانب الرسل والتلاميذ وسائر أتباعه في ذلك العهد، والذين عايشوه، وتلقوا عنه مباشرة بغير وسيط. وكان كاتبو هذه المدوَّنات لأقواله وأخباره يتحرجون من ذكر أسمائهم عليها، إجلالاً وتقديسًا لوحي المسيح.

المصدر الأول المفقود هو مدوّنات التعاليم الشفاهية من إنجيل المسيح

وهنا نرى الباحثين المحدثين والمعاصرين يشيرون إلى ما يعتبرونه مصدرًا أول مفقودًا، يرمزون إليه بالحرف Q من اللفظ الألماني Quelle، الذي يعنون به دلالة اللفظ الإنجليزي Source، وكلاهما بمعنى الأصل أو المصدر الذي استقى منه كُتَّاب الأناجيل في رواياتهم الإنجيلية.

ولأنهم عبيد الكنيسة، رغم ما يدَّعونه لأنفسهم كذبًا من كونهم أمناء وموضوعيين متجرِّدين لكشف الحقائق، فإنهم يتجنبون دائمًا أن يعتبروا تلك التعاليم الشفاهية التي تناقلها رسل المسيح وتلاميذه الأولون، ودوَّنها بعضهم، بحرفيتها، بأمانة ودقة، نقول إنهم يتجنبون اعتبارها «إنجيل المسيح»، دون أية مبالاة بدلالة تلك الحرفية والأمانة البالغة في النقل الشفاهي والتدوين. مع أنه لو لم تكن تلك التعاليم هي «إنجيل المسيح»، ولو لم يستشعروا منه هو نفسه الحرص الشديد في التزام الدقة فيما يعلمهم منها، واتخاذ طقس أو مسلك معين في أداء ذلك إليهم كوحي مقدس، لأمكنهم أن يتصرفوا فيما يقول لهم، أو يتكذبوا عليه بما لم يكن منه؛ خاصة وأن الكنيسة نفسها تعترف أن رسل وتلاميذ المسيح وسائر أتباعه، لم يكونوا قبل أحداث القبض والصلب يدركون إلهيته التي تدَّعيها الكنيسة، وأنهم حسب تخرُّصاتها لم يدركوا إلهيته تلك إلا بعد القيامة؛ فنسألهم: إذن هو قبل القيامة لم تكن له سمة الألوهية، وهو أيضًا لم يأمر بالكتابة والتدوين لما يقول، فما الذي منعهم من التصرف والاختلاف في نقل أقواله وأفعاله، خاصة بعد القيامة المزعومة التي كشفت لهم عن إلهيته حسب

ادّعاء الكنيسة، ولو أنهم فعلوا ذلك لكان أقرب إلى القبول والتبرير، وهو أمر متوقع من البعض على الأقل في مثل هذه الأمور، ولما ضاقت الكنيسة لشدة تزمّتهم في النقل الحرفي الدقيق لتعاليمه في تلك المرحلة الشفاهية؟!

لا يبقى إذن إلا أن هؤلاء التلاميذ والأتباع الأولين قد أدركوا طابع القداسة لوحي إلهي كان يتنزّل عليه، كما كان يتنزّل مثله على أنبياء من قبله في بني إسرائيل؛ فمن ثم التزموا تلك الدقة في نقل ذلك عنه نقلاً حرفيّاً، كما ينبغي في الرعاية لوحي مقدس؛ وعليه يصير الشك لاحقًا بدعوى القيامة ودعوى الكنيسة بشأنه لا بوجود إنجيل جاء به المسيح!

ونخلص من ذلك إلى أن المصدر الذي يزعمون افتقاده كان موجودًا فعلاً، وحقيقة واقعة، بشهادة أولئك التلاميذ الأمناء في العهد الرسولي الذين تناقلوا تلك التعاليم الشفاهية، وهو ذلك الذي تمنع الكنيسة عملاءها من ذكره بمسماه الصحيح آنذاك، وهو «إنجيل المسيح»!

وقد ذكرنا في سياق متقدم بعض الشواهد من بولس وإنجيلي مرقس ومتى بأن المسيح كان يسمي تعاليمه باسم «الإنجيل»، فضلاً عما سنذكره في الشق الثاني من هذا الكتاب من أقوال واضحة صريحة وصارمة للمسيح يدعو فيها لإنجيل كان معه.

وهكذا حرصت الكنيسة على تجريد العهد الرسولي من استخدام لفظ «الإنجيل» بشأن تعاليم المسيح وأقواله، لتسميها «تعاليم شفاهية»، لكي تنكر أنه كان معه إنجيل أصلاً، أو أن رسله وتلاميذه الأولين قد استخدموا اسم «الإنجيل» في الحديث عن أقواله وتعاليمه، لتدّعي أن الإنجيل إنما هو فقط ما كتبته هي عنه فيما بعدُ لإظهار إلهيته حسب زعمها، والتي عميت عنها أبصار كل الرسل والتلاميذ، واقتنصتها الكنيسة فقط بعينها الوثنية الجاحدة!!

الكنيسة تنفي الإنجيل مع المسيح لتقول بإلهيته وأنه لم يكن مجرد نبي مرسل!

إننا لم نسمع قط من الكنيسة أنه قد وُجد خلال العهد الرسولي أي «إنجيل» لأي من رسل المسيح وتلاميذه الذين لم يستبح أحدهم لنفسه أن يضع هذا الاسم مقرونًا باسمه على ما دوَّنه من أقوال المسيح إلا ما كان من دسيس الشيطان المدعو عندهم باسم بولس الرسول؛ لأن الإنجيل في عرف الكنيسة أو حسب تعريفها يجب أن يقول بالإلهية للمسيح، وأنه قد قام من الموت، فمن ثم لا يجوز في منطقها وتدبيرها أن تقول بوجود الإنجيل قبل القيامة المزعومة وإنما يكون بعدها، وبأيدي أتباعه الذين شهدوا القيامة، وكتبوا الإنجيل ليشهدوا بذلك، ولا يكون بيد المسيح أو قوله قبل ذلك!!

أساليب الكنيسة في تحريف كلام المسيح

وحيث إن ما حدث في العهد الرسولي أنه كان مجرد الترديد الشفاهي لتعاليم المسيح كما كانت قبل القيامة المزعومة وكأنهم لم يشهدوا القيامة المزعومة أي لم يقولوا بها، ولم يشهدوا كتابياً بذلك، فإن القول بوجود «إنجيل» آنذاك سيعني في نظرها أنه «إنجيل المسيح» والذي يهمها إخفاؤه وإبادته لتحقيق دعواها له بالألوهية.

لذلك يقول أحد كُتّاب الكنيسة: «الإنجيل يروي أقوال يسوع المسيح وأعماله وأحداثه مرتبطة بالقصد «اللاهوتي»

«الإنجيل عبارة عن شهادة إيمانية، بمعنى أن الدافع الذي يدفع الإنجيلي إلى كتابته هو إيمانه بشخص يسوع المسيح «ابن الله» ، «الحيّ» بعد موته..».[1]

ولم يتحقق ذلك قط إلا من خلال بولس وحده بشير الوثنيين، والحفيّ بدعوتهم لتأليه يسوع!

ولأن ذلك التأليه للمسيح لم يكن بتلك التعاليم الشفاهية في العهد الرسولي، لذلك نرى كاتب الكنيسة يقول: «نشأت بين الجماعات المسيحية الأولى روايات شفاهية لأقوال يسوع وأعماله، والأحداث المرتبطة به، كما أن بعض الوحدات [يعني المدوَّنات] تجمعت فيها. فتسلّمها الإنجيليون، وجمعوا هذه المعطيات السابقة: «فنظموها»، و«أضافوا إليها،» كل واحد بحسب أسلوبه الشخصي،

---

(١) سيداروس : تكوين الأناجيل ص ٤٢ .

ومقصده «اللاهوتي»، وميزات الجمهور الذي يكتب إليه».[١]

فانظر في هذا النص عبارته الأخيرة: «.. **فتسلمها الإنجيليون، وجمعوا هذه المعطيات السابقة، فنظموها، وأضافوا إليها، كل واحد حسب أسلوبه الشخصي، ومقصده اللاهوتي. . »**.

فهنا قضية الإنجيل الحقيقية، وهنا الإقرار الواضح الصريح، بالتصرف من جانب كَتَبَة الإنجيل بعد العهد الرسولي في كل ما قال المسيح أو عمل، وفي سائر الأحداث والأخبار المتصلة به، لفرض عقائد خاصة تقول بها الكنيسة لم تكن في تلك الأصول، ولا تحملها على أي نحو من التأويل؛ لذلك ضاقت الكنيسة بها ذرعًا، فأطلقت أيدي مؤلفيها لتحقيق غايتها بأي سبيل، ومن ثم يقول ذلك الكاتب بغير حياء:

«إن الأناجيل **«تصرفت»** في بعض **«أقوال»** يسوع وأعماله، حيث إنها **«أضفت»** عليها **«القصد اللاهوتي»** الذي كان يقصده كل إنجيلي. كما أنها تصرفت في ترتيبها وعرضها. **وهذا ما لم تجرؤ أن تفعله الجماعات المسيحية الأولى في رواياتها الشفاهية، لشدة أمانتها لحرفية ما قاله يسوع وعمله»**[٢].

وهكذا صارت أمانة التلاميذ والأتباع الأولين في نقل تعاليم المسيح مصدر إدانة لهم من جانب الكنيسة!!

أما عن **«ذكريات الرسل»** فيقول الكاتب إياه: «ففي البيئات الحياتية المختلفة، مثلاً عندما كان الرسل يعلّمون الشعب، أو يعلنون بشارة المسيح، أو يعدّون للعماد، ويمارسون كسر الخبز، كان المؤمنون يسألون الرسل ما قاله يسوع أو فعله. **فكان الرسل «يتذكرون أقوال يسوع وأعماله»** التي عايشوها».[٣]

---

(١) نفسه ص ٢٤ . (٢) نفسه : ص ٤٧ .

(٣) نفسه : ص ٢٥ .

هناك إذن فوارق واختلافات خطيرة وشديدة بين أقوال المسيح وتعاليمه الصحيحة، حسبما نقلها تلاميذه الصادقون وبين الأناجيل التي كتبت من بعدُ حسب رؤية الكنيسة وتوجيهها، حيث تمَّ التصرف والتعديل والتغيير والإضافة والإسقاط بشتى الصور لكل تلك الأصول الصحيحة.

لذلك تعترف الكنيسة أن أية محاولة للوصول إلى تلك الأصول الصحيحة وأقوال المسيح كما نطق بها لا جدوى منها، وستبوء بالفشل والإخفاق، يقول كاتبها: « .. ولكن النتيجة في نهاية الأمر ضئيلة لمعرفة «**الكلمات نفسها التي تلفَّظ بها يسوع**». ولكن ليست هذه المعرفة هي الأهمّ [!!]، «**فلن نعرف ابدًا ما قاله يسوع بالحرف الواحد**» - إلا في حالات نادرة - بسبب تعدّد الروايات الشفاهية التي استند إليها الإنجيليون، وبسبب قصدهم اللاهوتي الخاص في ضوء القيامة»[١].

والواقع أن السبب الحقيقي والوحيد في إخفاق أي محاولة للوصول إلى أصل صحيح لشيء من أقوال يسوع وأعماله مرجعه هو ذلك السبب الأخير، أي: «بسبب قصدهم «اللاهوتي» الخاص في ضوء القيامة»!!

فالكنيسة قد تبنَّت -منذ البداية- خرافة بولس بأن يسوع الناصري قد قُبض عليه فعلاً، وصُلب فعلاً، ومات فعلاً على الصليب، ثم قُبر، ثم قام حيّاً في اليوم الثالث؛ ومن ثم بنى على ذلك دعواه بتأليه المسيح!!

---

(١) سيداروس : تكوين الأناجيل - ص ٥٢ .

ولاء الكنيسة لميراثها الوثني منعها من البحث عن حقيقة المصلوب!!

ولم تبذل الكنيسة جهدًا قط للتأكد من كون المقبوض كان هو فعلاً يسوع الناصري، أو من كون المصلوب كان هو أيضًا يسوع الناصري!!

ولم يكن ذلك عن جهل من الكنيسة، أو عجز منها عن إدراك الحقائق التاريخية الصحيحة عن كل من المقبوض والمصلوب، لو أنها أرادت ذلك، واجتهدت بشأنه. وإنما كان من العسير عليها أن تفارق ميراثها الوثني، وتنظر إلى يسوع على أنه مجرد نبي مرسل على نهج موسى وشريعته، وأن إنجيله وتعاليمه لا يخرجان عن إطار التوراة، وتعاليم خلفاء موسى من أنبياء بني إسرائيل!

إن ولاء الكنيسة لميراثها الوثني قد أعفاها من ذلك كله، ولم يكلفها إلا مجرد تغييرات طفيفة في الأسماء والطقوس يتقبلها الوثنيون بيسر وترحاب؛ والدليل على ذلك ما فعله قسطنطين وخلفاؤه في القرن الرابع، وحيث كان هو «كاهن الوثنيين والمسيحيين» في وقت واحد!!

وهكذا استباحت الكنيسة أن تطمس وتبيد كل الأصول الصحيحة لأخبار المسيح وإنجيله، لتصنع مسيحًا، أو يسوعًا آخر وفق رؤيتها الوثنية العريقة، والتي تكسب لها ودّ الوثنيين وإقبالهم عليها، وتقبّلهم لهذا الإله الجديد الذي رأوا فيه ملامح آلهتهم الوثنية التي يعتقدون بها، ويشبع وجدانهم بإيقاظ خرافات وأساطير ضاربة عندهم في سراديب الزمن، وحيث لا ينضب لها معين!!

إبادة الكنيسة لأصول الأناجيل
قبل القرن الرابع لفرض عقيدتها

وهنا السبب في أنك لا تجد أصلاً واحدًا في صيغته الأولى لإنجيل من تلك الأناجيل التي تحمل أسماء كل من : متى ومرقس ولوقا، أو حتى أصلاً لذلك الإنجيل الوثني الذي يحمل الآن اسم يوحنا؛ أي لا تجد لأي منها أصلاً قط ينتمي إلى العهد الرسولي، أو القرن الأول.

فإنجيل متى مثلاً في أصله العبراني الأول إن كان كُتب قبل دمار الهيكل (٦٧ - ٧٠م)، أي في العهد الرسولي أيام الرسل والتلاميذ، فهو إذن كان مجرد تجميع لأقوال المسيح، يتّسم بسمات التعاليم الشفاهية التي كانوا يتناقلونها عنه في ذلك العهد، من أمانة ودقة، وحفاظ على حرفية أقواله وتعاليمه؛ ومن ثم سماها «**الأقـــوال**» Logia، وبالتالي كان على الكنيسة أن تفعل بها ما فعلته بسائر الوحدات التي وجدتها مدوَّنة في ذلك العهد لتلك التعاليم الشفاهية من طمس وتشويه.

وهكذا اختفى كتاب «**أقوال المسيح**» التي سجلها متى عنه في تلك الصورة الأولى، لتصنع الكنيسة بعد ذلك «**إنجيلاً**» باسم متى هذا حسب عقيدتها.

وبإخفاء وإبادة «أقوال» متى، اختفى أهم وأوثق أصل لصورة من «إنجيل المسيح»!

إنجيل متى إذن في نصه الأصلي الأول عن متى لم يكن على نسق الرواية، أو السيرة، أو الصورة الحالية؛ بل كان مجرد «أقوال» للمسيح قامت الكنيسة بعد

ذلك بتوظيفها لصالحها بما يتماشى مع رؤيتها العقائدية دون مبالاة بالجوهر والأصول.

ومن ثم اختفى ما سمته الكنيسة من بعدُ باسم «إنجيل متى العبراني»، وتعني به ذلك الأصل الأول الذي كان يسمى «الأقوال» وتمَّ لها ذلك قبل نهاية القرن الأول، ليتمَّ بذلك إبادة أي أصل كتابي يقود إلى «إنجيل المسيح» الحقيقي، والذي ظهر بعد ذلك عند منتصف القرن الثاني باسم «إنجيل متى» مصوغًا باللغة اليونانية، ووفق تعاليم بولس والكنيسة، والذي كان بمثابة صيغة بدائية لإنجيل متى الحالي، والذي سيخضع بدوره بعد ذلك لتعديلات وتهذيبات، وإسقاطات وإضافات، كل فترة من الزمن، ومن إقليم إلى إقليم، حتى يستقرَّ أواخر القرن الرابع على الأصل الذي تمضي عليه نسخته الحالية.

وقد شهد كل من أوريجانوس وترتوليان بأن: «النص [في إنجيل متى] كان يتغيَّر بتعدُّد النسخ، واختلاف الترجمات» حتى وقت وفاتهما في القرن الثالث.[١]

كذلك فإن بابياس Papias أسقف هيرابوليس، والمتوفى فيما بين سنة ١٢٥ و١٥٥ عندما قال قبل ذلك: «وقد كتب متى «الأقوال» Logia بالعبرانية، ثم ترجمها كل واحد إلى اليونانية حسب استطاعته»[٢]، فإنه لم يكن يعني هنا الترجمة الحرفية للأقوال، بل كان يقصد توظيف تلك الأقوال في اصطناع نسق روائي، أو سيرة ذاتية، تمهد للصورة الحالية لإنجيل متى.

«فشهادة بابياس تؤكد تعدد واختلاف الترجمات اليونانية لإنجيل متى العبراني حتى زمنه، وكانت وفاته حوالي منتصف القرن الثاني.

---

(1) Fausset's Bible Dic. art. N. T. P. 507 .

وانظر كتابنا البدايات ص ١٠٨ - ط ٢ - ٢٠٠٤ - مكتبة النافذة.

(٢) البدايات - ص١١٤ .

«وشهادة ترتوليان وأريجانوس تؤكد استمرار التعدد والاختلاف في الترجمات لنفس الإنجيل إلى زمنهما. وكانت وفاة أوريجانوس بعد منتصف القرن الثالث.

«والمحصلة النهائية إذن استمرار تعدد واختلاف الترجمات اليونانية لإنجيل متى العبراني حتى منتصف القرن الثالث».[١]

«وقد ذكر علماؤهم أن الدسّ والتحريف وتغيير النصوص في إنجيل متى هذا وغيره، قد بلغت درجة من السوء يتعذر معها تمييز الأصل من الدخيل..»[٢]

ونفس الحال قد جرى بشأن مرقس فيما قام به من تسجيل **«ذكريات ومواعظ»** بطرس، لأن ما ذكره بطرس عن المسيح كان مجرد نقل وإخبار بما كان منه، إلا أن نصيب الأحداث والأفعال والمناسبات كانت أكثر من نصيب الأقوال، وبالتالي هو أقل في نقل الأقوال من متى في أصله العبراني «الأقوال». لذلك ليس لبطرس -عند التحقيق حسب رؤيتنا نحن- إلا مجرد الرواية فقط للأحداث والمناسبات أكثر من الأقوال، وكذلك شأن مرقس الذي سجل عنه ذلك.

وذلك أيضًا هو ما جرى بشأن لوقا فيما سجله من أقوال بولس. لأن بولس كما ذكرنا من قبل، لم يخرج إلى الدعوة والتبشير إلا بعد أن التقى أولاً بحنانيا في دمشق، وتلقّن منه، وتعمّد على يديه، وأخذ منه التكليف بالدعوة للمسيح، وأرسله بصحبة برنابا إلى الرسل في أورشليم ليشهد لهم بذلك عنه، وحيث قضى بعد ذلك خمسة عشر يومًا في بيت بطرس يستوعب منه أخبار يسوع وتعاليمه، ثم التقى أيضًا بيعقوب أخي يسوع، ثم ترافق كل من بطرس وبولس بعد ذلك أيامًا طويلة للدعوة في أنطاكية. فاستوعب بولس واستظهر كل ما سمعه من أخبار المسيح وأقواله. وبالتالي يصير بوليس كذابًا عندما يدّعي أنه لم يتلقَّ

---

(١) البدايات : ص ١١٥ - ١١٦ ، مع المصادر السابق ذكرها.

(٢) نفسه: ص ١١٦ .

إنجيل المسيح عن إنسان، متجاهلاً كل تلك الحقائق، كما سبق بيانه من قبل.

لكن هذه الأصول الأولى: «الأقوال» لمتى، «ذكريات بطرس» لمرقس، أخبار بولس عن المسيح للوقا، لم تبق على ما كانت عليه في أصولها الأولى؛ إذْ كان لا بدَّ أن تتناولها الكنيسة جميعًا بالتغيير والتعديل وفق رؤيتها العقائدية، وصوغها في مراحل متعددة صياغات متعددة أيضًا حسب التطورات والأحداث في رؤية الكنيسة وثقافتها وعلاقتها بالأوساط العالمية.

ثانيًا: مشكلة الأسبق في التدوين
إنجيل متى أم إنجيل مرقس؟

وهنا ننتقل إلى المشكلة الأساسية التي تؤرق المسيحيين وسائر الدارسين منهم ومن غيرهم بشأن القضية الإنجيلية، والتي يتصارعون في معركة لا تنتهي عن أي الإنجيلين كان أسبق من الآخر : إنجيل متى أم إنجيل مرقس؟

فالتقليد عندهم أن إنجيل متى هو الأسبق.

وأغلب المحدثين والمعاصرين أن إنجيل مرقس هو الأسق.

وعندي أنك تستطيع القول بأن الرأيين جميعًا صحيحان، أو أنهما جميعًا خاطئان!!

وقبل أن تأخذك الدهشة، وتسيء الظن، فكّر فيما قدمنا لك من سياقات هذا الكتاب.

نظريتنا: توظيف ذكريات بطرس في مرقس ولوقا لتحويل «الأقوال» إلى «إنجيل متى»!

لقد ذكرنا أن الأصل في إنجيل متى أنه كان مجرد تجميع «لأقوال» المسيح، اعتمادًا على رواية بابياس، والذي كتب يقول: «وقد كتب متى **«الأقوال»** بالعبرانية، ثم ترجمها كل واحد إلى اليونانية حسب استطاعته».

وهم يعترفون بأن متى كتب «الأقوال» قبل دمار الهيكل في أورشليم، أي قبل سنة ٧٠م.

ودلالة ذلك إذن أنه كتب تلك «الأقوال» في العهد الرسولي، عهد الأمانة والدقة في النقل الشفاهي لتعاليم المسيح بواسطة رسله وتلاميذه، دون تدخل من جانبهم في مضمونها، حسب إقرار الكنيسة نفسها بذلك فيما استشهدنا به من قبل من كتب أتباعها:

فتسمية متى لكتابه باسم **«الأقوال»** كإشارة إلى نصوص الوحي على لسان المسيح، يعني أنه لم يتدخل من جانبه قط بإضافة أو بيان عن الموطن، والمناسبة، والتسلسل الزمني؛ بل سجلها مجردة من ذلك، وطبق ما فاه به المسيح، وتناقلها عنه الرسل والتلاميذ وسائر الأتباع.

فإذا حدث بعد ذلك، وبعد وفاة كل من بطرس وبولس أن ظهر كتاب لمرقس عن «ذكريات بطرس» كما أدلى بها في مواعظه عن المسيح، وما أشار إليه من «أقواله» وأفعاله، فعندئذ **يتوافر عنصر جديد كان مفقودًا تمامًا من «أقوال» متى، حيث يصبح «القول» هنا قد صار في مرقس مقرونًا بأسبابه ومناسباته**

ومــوطنـه، ولو على نحو قريب من الصحة، من لسان أكبر الرسل والتلاميذ، وأقدمهم صحبة للمسيح ومعرفة به وبتعاليمه.

كذلك يخبرنا إيريناوس ، كما سبق أن أشرنا من قبل، أن لوقا، مرافق بولس، قد سجل أخباره عن المسيح وتعاليمه في «كتاب»، هو ما سمي فيما بعدُ باسم «إنجيل لوقا».

وحيث قد علمنا من قبل يقينًا، ومن كلام بولس نفسه في رسالته إلى «الغلاطيين» وغيرها من رسائله أنه قد أمضى في بيت بطرس خمسة عشر يومًا يتلقى منه أخبار المسيح، ثم التقى بيعقوب، ثم اصطحبا معًا بطرس وبولس في أنطاكية فترة طويلة يتذاكران ذلك، ويعظان به، فضلاً عن دور حنانيا معه في دمشق قبل ذلك كله؛ فيترتب على ذلك أن **ذكريات بولس التي سجلها عنه لوقا في إنجيله ترتدُّ بدورها إلى بطرس نفسه، وكل من حنانيا ويعقوب كأصول أولى لها، مقرونة أيضًا في كل «قول» أو أعجوبة، بالسبب والموطن والملابسات آنذاك.**

هنا إذن يصبح لدينا مصدران على أبلغ قدر من الأهمية والخطر يعوِّضان ما فات متى أن يقوم به:

ذكريات بطرس في مرقس، ورواية بولس التي ترتد في أصلها إلى بطرس وآخرين في لوقا.

وهنا أيضًا يصبح بإمكان أصحاب متى أن يفيدوا مما ورد ذكره من أسباب ومناسبات لكل قول من «الأقوال» التي سجلها، وإن يعيدوا صوغ «أقوال» متى هذه في إطار جديد يقترن فيه «القول» بالسبب والمناسبة بقدر الإمكان من خلال ذكريات بطرس بخاصة، ثم سائر الرسل والتلاميذ في إنجيلي مرقس ولوقا.

كذلك يصبح بمكنة أنصار بولس أن يفيدوا من نفس المصدرين مرقس ولوقا

في صوغ صورة جديدة لعمل متى تتوافق مع مذهبهم ودعواهم بتأليه المسيح، وقصة القيامة، والتي سنعرف في كتابنا «سرُّ المسيح» أن بطرس ويوحنا وبعض المعتبرين كبارًا من الاثنى عشر لم يعترفوا بقبض المسيح أو صلبه، ومن ثم لم يعترفوا بأسطورة القيامة التي راجت بين العامة، وكانت تتعلق برجل آخر غير المسيح صلبوه رغمًا عنه على أنه هو ولكنهم صمتوا عن الجهر بسرها، حفاظًا على حياة المسيح، وإفادة منها في تحريض الشعب ضد السلطة الدينية التي قاومت دعوته، وسعت إلى صلبه وقتله.

لكن للأسف، لم يثبت لنا أن أنصار متى من النصارى الموحِّدين من بني إسرائيل، ويسمونهم النصارى المتهوِّدين، أو اليهود المتنصرين، أو حتى الأبيونيين والناصريين الذين كانوا من فِرَق هؤلاء النصارى الموحِّدين، نقول لم يثبت لنا بدليل موثق أنهم قد أفادوا من هذين المصدرين إلا ظنًا نحن في حِلٍّ من الضرب في شعابه في هذا السياق، مع افتقاد الجدوى من الوصول إلى شيء له قيمة واعتبار يستحق التنويه به.

أما الذين أفادوا، واستغلوا غفلة أصحاب متى، فكانوا أتباع بولس، حيث سطوا على المصدرين مرقس ولوقا ، واستعانوا بأخبارهما في صوغ «أقوال» متى في إطار روائي يحكي قصة المسيح على نحو يوافق دعواهم بتأليهه!

إذن سَبْق متى على مرقس صحيح حين كتب «الأقوال» مجردة من الذكريات والأسباب. لكن في نفس الوقت فإن سَبْق مرقس «بذكريات بطرس» فيما عرف بعدُ باسم «إنجيل مرقس» على إنجيل متى اليوناني الذي كتبه أنصار بولس بعد أصله الأول «الأقوال» الذي ضاع وأُبيد بأيديهم هو أيضًا صحيح، لأنه لولاه لما تمكنوا من إخراج تلك النسخة اليونانية على النحو الذي حقق لهم كسب المعركة ضدّ النصارى الموحِّدين؛ وبطبيعة الحال أفادوا من عمل لوقا تلميذ بولس، حسبما بيناه من قبل عن تعلم بولس من بطرس ورفاقه.

وبذلك تحقق لأنصار بولس نسخة من الإنجيل ينسبونها إلى متى، لكن وفق مذهب بولس وأصحابه.

وهكذا تتحلُّ تلك المشكلة أو المعضلة كما يتصورونها، والتي حرصوا ، ويحرصون دائمًا، على تجنب المواجهة الصريحة بشأنها لتثبيت الخرافة والأسطورة التي ينشرونها بين أتباعهم بأن إنجيل متى الحالي هو عين الإنجيل الذي كتبه بالعبرانية في أصله الأول. وكذلك يزعمون بلا حياء بشأن غيره من أناجيلهم المعتمدة!

ترجمة الإنجيل تعني عندهم: تأليفه في نسق روائي!

والواقع أنه ما من إنجيل من تلك الأناجيل التي يسمونها «المعتمدة» إلا وقد تكررت كتابته وتعديله عدة مرات، وحيث كانوا يدسُّون فيها آثارًا من قراءاتهم وسماعاتهم لم يذكرها المسيح، ولكنهم تصوروها نافقة للدعوة؛ فأطلقت الكنيسة ليدها الحرية الكاملة للعبث بتلك الأناجيل، وإخضاعها للمراجعة والتعديل وفق أهوائها ، حسبما يطرأ من أحداث وتطورات!

إن شئت فاقبل، وإن شئت لا تقبل!!

ولكن هكذا صنعوا!!

على أية حال، لعلنا الآن بعد الذي ذكرنا قد كشفنا أسباب التشابه بين تلك الأناجيل الثلاثة: متى. مرقس. لوقا، التي يسمونها المتوافقة Synoptics.

على ألا يفوتنا أمران يتعلقان بهذه القضية:

الأول: قول بابياس عن إنجيل متى : «وقد كتب متى «الأقوال» بالعبرانية، ثم «ترجمها» كل واحد إلي اليونانية حسب استطاعته».

الثاني: قول چيروم Jerome المتوفى سنة ٤٢٠م: «إن الذي «ترجم» متى من «العبرانية إلى اليونانية» غير معروف».

فهاتان الشهادتان تؤخذان عندهم بمعنى واحد؛ خاصة، وأن چيروم، وهو من قادة الكنيسة ومخالب الشرّ فيها، قد صاغ العبارة على نحو يوهم بأن الذي ترجم

متى مجرد شخص واحد، وحيث دسَّ تلك العبارة: **«من العبرانية إلى اليونانية».**

لكن الواقع أن ترجمة متى من العبرانية إلى اليونانية، أي توظيف «أقوال» متى التي كتبها أصلاً بالعبرانية وتحويلها إلى نسق روائي، لم تقتصر على «ترجمة» واحدة، أي تأليف واحد، لشخص واحد، بل تعددت الترجمات، أي التأليفات، والأشخاص الذين قاموا بذلك، حسبما أخبرنا بابياس بقوله: «ثم ترجمها كل واحد إلى اليونانية - **حسب استطاعته»**؛ فقوله هنا: «حسب استطاعته» لا يعني به مجرد إتقان اللغة في الترجمة كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، بل يريد: حسب معارفه واطلاعه، ومقدرته في الكتابة والتأليف، وتوظيف تلك «الأقوال» على نحو يتماشى مع توجيهات الكنيسة وعقيدتها.

وقد رأينا من قبل شهادة كل من ترتوليان وأريجانوس في القرن الثالث بتوكيد هذا المعنى، وتعدد ترجمات، أي تأليفات «أقوال» متى، وكثرة النَّسْخ والتغيير بين بعضها وبعض.

ومن ثم لا يجوز لخادم الكنيسة هذا، المدعو چيروم، الذي توفي في القرن الخامس، وعاصر الصياغة الأخيرة للأناجيل الأربعة أواخر القرن الرابع، قرن المجامع المقدسة، التي قررت مصير الإنجيل والمسيحية، على يد الأباطرة الوثنيين، خاصة قسطنطين ومن خلفوه من بعده، نقول لا يجوز له أن يرتكب تلك الأكذوبة القرعاء بأن «الذي ترجم متى من العبرانية إلى اليونانية غير معروف»؛ فلم يكن المترجم، أي المؤلف، واحدًا، ولا يجوز أن نكذّب كل من ذكرنا ومن لم نذكر من السابقين لچيروم وهم أكثر منه أمانة وجراة، لنصدقه بأنها كانت مجرد ترجمة واحدة، أي تأليف واحد، قام به شخص واحد، وأنها كانت بالنقل من العبرانية إلى اليونانية حسب زعمه.

ولا مخرج لهذه العبارة، إذا افترضنا لها أصلاً صحيحًا عن چيروم يحمل سمة الأمانة والصدق، إلا أن تكون هكذا: «إن الذي ترجم متى غير معروف»؛ أي بإسقاط عبارة: «من العبرانية إلى اليونانية»؛ وهنا يكون مراده، إن كان صادقًا، أن الذي صاغ متى في صورته النهائية أواخر القرن الرابع بالتحديد، والتي هي أصل النسخة الحالية، غير معروف.

وعندي أن هذا هو الأرجح.

ومن ثم، لو كانت عبارة چيروم في أصلها على هذا النحو الذي افترضناه، فإنها بصورتها الحالية تكون قد تعرضت للدسّ والإضافة من جانب الكنيسة وعملائها، بهدف التعمية والتضليل الذي هو نهجهم من قديم!!

الفصل الرابع

شواهد من متى
تكشف صوراً من التحريف والتشويه!

وقد يدهش القارئ لما نقول عما طرأ على إنجيل متى من وجوه التعديل والتشويه، أو يتردَّد في قبول ذلك، وله عذره. ولكننا سنكتفي فقط بأمثلة قليلة مما طرأ على بعض نصوص من متى فيما بين أواخر القرن الأول حين أُخفيت نسخة «الأقوال» وأُبيدت، وأواخر القرن الرابع عندما وُضعت أصول النسخة الحالية، ليرى وجوهًا من التعديل والإضافة لا يمكن أن تتفق مع «الأقوال» كما كتبها متى في العهد الرسولي، حيث لم يكن هنالك بين رسل المسيح وتلاميذه من حكوا عنه أنه ادَّعى الألوهية، أو ادَّعاها له أحد من أولئك الصفوة الأطهار. وحيث لم ينطق قط بشيء يرفعه فوق موسى أو غيره، ولا ادعى بحال أنه جاء ناسخًا لناموس موسى وخلفائه من الرسل والأنبياء.

سنكتفي بذكر تلك الشواهد ومقابلها في النسخة الحالية التي وُضعت أواخر القرن الرابع. أما الشرح والتعليق على أسباب ذلك التعديل والتغيير، فليأذن لنا القارئ الكريم أن نحيله إلى فصل بعنوان: «شواهد قديمة من الإنجيل تشهد بتحريفه» من كتابنا: «عقائد النصارى الموحدين».

وهذه الشواهد مجرد عيِّنة من التعديلات والتغييرات لم تكن بالوحيدة، أو

الأولى، أو الأخيرة؛ بل إحدى الصور التي ألمح إليها من قبل كل من ترتوليان وأوريجانوس وغيرهما، عما تعرض له إنجيل متى من وجوه التشويه والإفساد.

لذلك نرجو أن يتمعَّنها القارئ بهدوء، ويسأل نفسه عن مدى الثقة التي يمكن أن يوليها لهذا الإنجيل عندهم منذ القِدَم، والذي ألقت الكنيسة بكل ثقلها عليه، لتحمُّله أبشع التناقضات فيما ادَّعت خلاله على لسان المسيح وتلاميذه.

والواقع أن كتاب «الدسقولية - تعاليم الرسل» الذي ننقل منه هذه الشواهد، يجري الحديث فيه على لسان تلاميذ المسيح حسب زعمهم، رغم إقرار علمائهم أنه يحمل آثارًا واضحة للقرون الثلاثة الأولى، أي لما كان بعد زمن المسيح وتلاميذه بأكثر من قرنين. وهم مع ذلك يعتبرون ذلك الكتاب تاليًا في الأهمية والخطر لكتبهم المقدسة، أي لتلك الأناجيل ورسائل الرسل، المسماة عندهم باسم «العهد الجديد».

نحن إذن نأتي بهذه الشواهد من مصدر من أوثق مصادرهم وأقدمها، ومن أشدها أثرًا في فكرهم وعقائدهم، بما يستوجب الرويَّة والأناة، ودقة الفحص والنظر، عند مطالعة هذه النصوص، لدفع سوء الظن والتفسير من جانب المسيحيين فيما يعلِّقون به على ما نكتب، وما يتجنَّون به علينا من أباطيل، هم أول من يعلم أنهم فيها كاذبون!

شاهد أول
الناطق بالناموس في الأنبياء

جاء في مقدمة كتاب «الدسقولية - تعاليم الرسل» نشرة حافظ داود، ثم القمص مرقس داود، النص التالي، بالاقتباس المباشر من الإنجيل:

«لأن المسيح يقول في الإنجيل المقدس، في أحد الفصول، ويثبِّت ويكمل العشر الكلمات التي للناموس:

«مكتوب في الناموس: لا تزن!

«وأنا أقول لكم: **إني أنا الذي نطقت بالناموس من فم موسى.**

«وأنا الآن أقول لكم: إن كل من نظر إلى امرأة «صاحبه» ليشتهيها، يزني بها في قلبه».

وورد هذا النص أيضًا في نشرة وليم سليمان قلادة هكذا:

«لأن المسيح قال في الإنجيل المقدس، في بعض الفصول، محققًا ومكملاً العشر كلمات التي للناموس:

«لأنه مكتوب في الناموس: لا تزن!

«وأنا أقول لكم هذا: **إني أنا الذي نطقت بالناموس من جهة موسى.**

«وأنا أيضًا أقول لكم: إن كل من نظر إلى امرة «صاحبه» ليشتهيها، فقد فرغ من الزنا بها بقلبه».

والتطابق واضح بين النسختين.

ولكن هذا النص يرد في إنجيل متى الحالي هكذا:

«قد سمعتم انه قيل للقدماء: لا تزن!

«وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه». [متى ص ٥ : ٢٧ - ٢٨].

وبالمقارنة بين النص القديم والنص الحالي نرى هذه الاختلافات:

١ - جاء في النص القديم قوله: **«مكتوب في الناموس»**؛ ومعلوم أن «الناموس» هو الاسم الذي يطلق بالتحديد على كتاب موسى، بينما النسخة الحالية تسقط تمامًا مصدر القول الذي يشير إليه القائل، ولا تذكر الناموس؛ وإنما تستعيض عن ذلك بالقول: **«سمعتم أنه قيل للقدماء»** دون تحديد القائل.

٢ - جاء في النص القديم قوله: **«إن كل من نظر إلى امرأة «صاحبه» ليشتهيها . . »**، فحدَّد بلفظ «صاحبه» مجال التحريم، بينما يسقط هذا اللفظ تمامًا في النسخة الحالية.

٣ - جاء في النص القديم قوله: **«وأنا أقول لكم: «إني أنا الذي نطقت بالناموس من فم (جهة) موسى . . »**، وهذا الجزء ساقط تمامًا في النسخة الحالية.

هذه بضع ملاحظات نكتفي بذكرها، محيلين إلى كتابنا السابق ذكره لمعرفة الملابسات والأسباب لهذه الاختلافات، على أن نراعي في فحص هذه الملاحظات أن واحدة منها ليست بهيِّنة أو يسيرة.

ولكني أرجو ألا ينسى القارئ الكريم قول الشخص الذي اقتبس من النسخة القديمة لإنجيل متى التي ورد فيها هذا النص قوله عن المسيح، حين نطق بهذا

النص حسب زعمه: «ويثبِّت» و«يكمل» العشر الكلمات التي للناموس»؛ فهذا إقرار صريح حتى تلك المرحلة خلال القرنين الثاني والثالث، وحيث يزعمون أن الدسقولية هذه قد كُتبت في آخر القرن الثالث، أن القول بالتزام المسيح وتلاميذه بناموس موسى كان لا يزال معلومًا ومسلَّمًا به، حتى عند الذين كانوا يحرِّفون «أقوال» المسيح آنذاك!!

شاهد ثان
في الموعظة على الجبل

هذا النص أنموذج رائع لمحاولات التجويد، والتوشية اللفظية، وتهذيب النص الأصلي، والإضافة إلى مضمونه.

وهذا في الواقع يكشف عما يضمرونه من استشعار بأن كلام المسيح جافٌّ فاتر، تعوزه كل تلك الأمور التي تفضلوا هم بإضفائها عليه!!

جاء في الباب الرابع والعشرين من الدسقولية - نشرة داود - هذا النص:

«فلأجل هذا قال الربُّ:

«تشبهوا بطيور السماء، فإنها لا تزرع ولا تحصد، ولا تخزن في الأهراء؛ وأبوكم السماوي يقوتها؛ ألستم أنتم أفضل منها؟ فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكل، وماذا نشرب، لأن أباكم عارف بحاجتكم إلى هذا كله».

وتكرر نفس النص في نشرة قلادة في الفصل الثامن عشر هكذا:

«لأجل هذا قال الربُّ:

«تأملوا طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد، ولا تخزن في الأهراء، وأبوكم الذي في السماوات يعولها، ألستم أنتم بالحريّ أفضل منها؟ فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكل، أو ماذا نشرب، لأن أباكم عارف بما تحتاجونه كله.

والتطابق واضح بين النسختين في إيراد النص.

فإذا رجعنا إلى هذا النص في النسخة الحالية، وجدناه في إنجيل متى، وقد جاء هكذا:

«انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد، ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها؛ ألستم أنتم بالحريّ أفضل منها؟

«ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعًا واحدة؟ ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، لا تتعب ولا تغزل، ولكن أقول لكم: إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور يُلبسه الله هكذا، أفليس بالحريّ جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟ فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكل، أو ماذا نشرب، **أو ماذا نلبس؟** فإن هذه كلها تطلبها الأمم، لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون هذه كلها» [متى ص ٦ : ٢٦ - ٣٢].

أعتقد أن عنصر اللباس الذي أضيف في النسخة الحالية، والذي يبلغ حجمه ضعف النص الأصلي، يسترعي نظر القارئ بوضوح ليتساءل عن مصدر تلك الإضافة وأسبابها في إنجيل متى. ومن ثم لو ذكرنا ما سبق أن أشرنا إليه من أنهم عندما أرادوا صوغ **«الأقوال»** في صورة إنجيل بعد القرن الأول كان اعتمادهم على مصدرين هما إنجيل مرقس وإنجيل لوقا، واللذين كان الأصل فيهما ذكريات بطرس التي سجلها عنه مرقس في إنجيله، وفيما أخذه بولس عن بطرس عندما قضى عنده خمسة عشر يومًا يتلقّن منه تعاليم المسيح وأخباره في أورشليم، وتكرر ذلك في صحبتهما في أنطاكية والدعوة بها، فمن ثم يجب أن نتوقع باحتمال أنها قد عبرت من بطرس إلى لوقا عن طريق بولس، حتى ولو أغفلها مرقس، حيث لم تكن مواعظ بطرس وذكرياته خاضعة للتسلسل الزمني للأحداث حتى يستقصي كل أقوال المسيح وأخباره، وكان فضلاً عن ذلك مقلاً في

رواية «أقوال» المسيح.

وبالفعل جاءت الإشارة إلى عنصر اللباس في إنجيل لوقا على لسان المسيح حيث نراه يقول:

«تأملوا الزنابق كيف تنمو، لا تتعب، ولا تغزل، ولكن أقول لكم: إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان العشب الذي يوجد اليوم في الحقل، ويطرح غداً في التنور، يلبسه الله هكذا، فكم بالحريّ يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان»؟ [لوقا ص ١٢ : ٢٧ - ٢٨].

إذن أنت الآن قد علمت من أين اقتبس كاتب متى هذا العنصر -عنصر اللباس- الذي لم يكن في نصه الذي نقلته الدسقولية في القرنين الثاني والثالث.

وبذلك يتأكد لك، وبشاهد كتابي وثيق من أقدم وأهم مصادرهم، كيف استسقى السابق من اللاحق الذي جاء بعده، بخلاف ما كانوا يخادعون به جمهورهم ودارسيهم منذ القِدَم، ولا يزال بعضهم يأخذ به حتى الآن من أن الأصل هو في متى، وأن كُلاً من مرقس ولوقا قد أخذا عنه.

وحتى المحدثون والمعاصرون الذين زعموا أن متى ولوقا قد أخذا من مرقس، لو افترضنا.حسن الظن بهم، إلا أنهم لم يفطنوا قط إلى ما ذكرناه من صنيعهم بتلك «الأقوال» التي سجلها متى، وباحتمال اقتباس السابق من اللاحق، ثم اقتباس تلك الأناجيل اللاحقة بعضها عن بعض، خلال الصياغات الكثيرة والمتضاربة فيما بين القرنين الثاني والرابع، حيث صاغوا النسخ الحالية لأناجيلهم «المعتمدة»!!

فانظر، وتدبر، واعجب لنهج المخالف في اللجاجة والخلاف، لصرف الأنظار عن الحقيقة التاريخية التي تدمغهم بتعمد الكذب والتزوير، وسبل الخداع والتضليل، بما كان منهم في تحريف كتبهم وعقائدهم!!

شاهد ثالث

أنموذج أول

لتمزيق نص قديم في النسخة الحالية

جاء في الفصل الثالث والثلاثين من الدسقولية - نشرة قلادة- هذا النص:

«ولأجلهم حذَّرَنا الرب وأوصانا قائلاً:

«إنه سيأتي إليكم رجال بلباس الخراف، وداخلهم ذئاب خاطفة. من ثمارهم اعرفوهم!

«احذروا منهم، لأنه سيقوم مسيحون كذبة، وأنبياء كذبة، ويُضلُّون كثيرين».

وواضح أن هذا النص يمثل وحدة واحدة، في سياق متكامل ومتصل.

لكننا إذا رجعنا إليه في النسخة الحالية لا نجده إلا في إنجيل متى، ولكنه يأتي مشطورًا إلى شطرين، في موضعين متباعدين تمامًا.

فالشطر الأول يرد في موعظته على الجبل، حيث كان يطوف مبشرًا في مجامع الجليل، وقد جاء هكذا:

«احترزوا من الأنبياء الكذبة، الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم». [مت ص ٧ : ١٥ - ١٦].

أما الشطر الثاني فقد ورد في حديثه إلى تلاميذه عقب خروجه من الهيكل في أورشليم، حيث اتخذ مجلسه على جبل الزيتون الواقع شرق أورشليم، في

ولاية اليهودية، وهي الولاية الجنوبية التي تفصلها عن الجليل في الشمال ولاية السامرة، التي تتوسط بينهما. وكانت فلسطين مقسمة آنذاك إلى ثلاث ولايات، يحكمها ثلاثة ولاة مستقلّ بعضهم عن بعض، تحت السيادة الرومانية.

وقد ورد هذا الشطر هكذا:

«لأنه سيقوم مسحاء كذبة، وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب، حتى يُضلُّوا - لو أمكن -المختارين أيضًا». [متى ص ٢٤ : ٢٤].

وأصل هذا الشطر الأخير في مرقس، وقد جاء هكذا:

«لأنه سيقوم مسحاء كذبة، وأنبياء كذبة، ويعطون آيات وعجائب، لكي يضلُّوا -لو أمكن- المختارين أيضًا.. » [مرقس ص ١٣ [٢٢].

وهكذا تمزق النص القديم في النسخة الحالية، وتوزَّع بين ولايتين متباعدتين في فلسطين، وفي مناسبتين جدّ مختلفتين، إذْ كان في الموعظة على الجبل في بدء رسالته مبشرًا في الجليل، وهو موطنه الأصلي، بينما في جلسته على جبل الزيتون كان عقب خروجه من الهيكل في أورشليم، وحيث ابتدأ يعطي كلماته الوداعية لتلاميذه. وفي هذا يقول إنجيل متى الحالي:

«ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها، قال لتلاميذه: تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان يسلّم ليصلب». [متى ص ٢٦ : ١].

فشتان بين المناسبتين، وبين المكانين.

وهنا في الواقع تبرز المشكلة: أيهما الصحيح، النص القديم الذي اقتبسته الدسقولية، أم النص الحديث في النسخة الحالية؟

لكننا نعود إلى نظريتنا التي قررناها من قبل، وهي توظيف «الأقوال» عند متى، والتي كانت مجردة من ذكر الأسباب والمناسبات، ومواطن تلك المواعظ

والتعاليم، من خلال كتابات كل من مرقس عن مواعظ بطرس، ولوقا عن مواعظ بولس، وترجع في أصلها إلى بطرس؛ وهي الكتابات التي ظهرت بعد «أقوال» متى، ووفاة كل من بطرس وبولس اللذين توفيا قبل السنة السبعين بعام أو عامين.

وهكذا وُظِّفت مواعظ بطرس، والذكريات التي أدلى بها لبولس ثم مرقس، في بيان مناسبات وأسباب بعض **«الأقوال»** التي جاءت عند متى من قبل.

شاهد رابع
أنموذج ثان
لتمزيق نص قديم في النسخة الحالية

ومن قبيل ما رأيناه في النص السابق ما نراه أيضًا في هذا النص:

فقد ورد في الباب السابع والعشرين من الدسقولية - نشرة داود:

«ثم قال لنا نحن تلاميذه:

«من أحب ابنه أو ابنته أكثر مني فلا يستحقني. ومن لم يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقني. من أحب نفسه فليهلكها. ومن أهلك نفسه لأجلي يجدها. ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ وماذا يعطي فداء عن نفسه؟».

وورد في الفصل الرابع والعشرين من نشرة قلادة هكذا:

«وأيضًا قال لنا نحن تلاميذه:

«من أحب أباه وأمه أكثر مني فما يستحقني. ومن أحب ابنه أو ابنته أكثر مني فلا يستحقني. ومن لا يحمل صليبه ويتبعني فما يستحقني. ومن أحب نفسه يهلكها. ومن أهلك نفسه لأجلي وجدها. ماذا ينفع الإنسان إذا ربح العالم كله وخسر نفسه؟ وماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟».

هذا النص الوارد في نسختي الدسقولية بصورة واحدة في سياق متكامل ومتصل، يأتي في إنجيل متى الحالي مشطورًا إلى شطرين، أولهما في الإصحاح العاشر، والثاني في الإصحاح السادس عشر، في مناسبتين

مختلفتين كل الاختلاف.

وجاء الشطر الأول هكذا:

«من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني. ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني. ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. من وجد حياته يضيعها. ومن أضاع حياته من أجلي يجدها» [متى ص ١٠ : ٣٧ - ٣٩] .

ويتضح من الإنجيل أنه قال ذلك عندما أرسل تلاميذه الاثنى عشر في إرسالية تدريبية داخل إسرائيل، وألقى عليهم خطابًا فيما يجب عليهم من التزامات أخلاقية وعقائدية. وكان يوحنا المعمدان آنذاك لايزال حيّاً حسب إنجيل متى [ص ١١ : ٢] .

أما الشطر الثاني فجاء هكذا:

«حينئذ قال يسوع لتلاميذه: إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه، ويحمل صليبه، ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟» [متى ص ١٦ : ٢٤ - ٢٦] .

وقد ذكر الإنجيل أنه قال ذلك وهو في قيصرية فيلبس عندما سأل تلاميذه: «من يقول الناس إني أنا؟» [متى ص ١٦ : ١٣] .

على أن أصل هذا الشطر الثاني قد جاء في إنجيل مرقس هكذا:

«ودعا الجمع من تلاميذه وقال لهم: «من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه، ويحمل صليبه، ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي، و«من أجل الإنجيل» فهو يخلصها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟ لأن من استحى

«بــي» و«بكلامي» في هذا الجيل الفاسق الخاطئ، فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين». [مرقس ص ٨ : ٣٤ - ٣٨] .

وأرجو أن يلحظ القارئ الكريم إشارته في هذا النص من مرقس إلى إنجيل كان مع المسيح، وذلك في قوله: «ومن يهلك نفسه «من أجلي» و«من أجل الإنجيل» فهو يخلصها». وكذلك في قوله: «لأن من استحى «بي» و«بكلامي» في هذا الجيل..»، فالإشارة إلى «كلامه» مع إشارته قبلها إلى «الإنجيل» واضح منه تسمية كلامه صراحة باسم «الإنجيل»؛ فالإنجيل بذلك هو عنده بمعنى جملة وحيه وتعليمه، وليس ما يكتبه آخرون من بعده محتجين بالقيامة المزعومة لإظهار أنه كان إلهًا، مما لا أصل له بحال في فكره وتعليمه، ولا كان في فكر أو توقع تلاميذه الأولين في العهد الرسولي.

وسنعرف في الشق الثاني من هذا الكتاب لماذا أسقط كاتب متى الإشارة إلى إنجيل مع المسيح.

وقد جاء كاتب لوقا فنقل هذا النص عن مرقس على هذا النحو:

«وقال للجميع: إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه، ويحمل صليبه كل يوم، ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي فهذا يخلصها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها؟ لأنه من استحى «بي» و «بكلامي» فبهذا يستحي ابن الإنسان متى جاء...»[لوقا ص ٩ : ٣٣ - ٣٦] .

ونلحظ هنا أيضًا أن لوقا تلميذ بولس قد تعمّد إسقاط إشارة المسيح في مرقس إلى «الإنجيل» الذي معه، لكنه لم يفطن أنه في قول المسيح الذي نقله عن مرقس: لأن من استحى «بي» و «بكلامي» ...»، كما وردت في مرقس تعني نفس الدلالة في قوله من قبل في مرقس أيضًا: « ... من أجلي، و«من أجل الإنجيل».

اي أن المسيح قد رادف بين «الإنجيل» وبين «كلامه» بأنهما شيء واحد.

ونكرر مرة أخرى أننا سنعرف أيضًا في الشق الثاني من هذا الكتاب لماذا سقط كاتب لوقا، كما أسقط كاتب متى، الإشارة إلى إنجيل مع المسيح.

لكنه على أية حال، يتضح أن كاتب لوقا كان هو الحلقة الوسطى بين مرقس ومتى، لكي يفطن كاتب متى من بعده إلى وجوب إسقاط الإشارة إلى «**كلامي**» في مرقس التي نقلها لوقا دون وعي بأنها إشارة إلى الإنجيل.

مهما يكن، فقد اتضح لك بما ذكرنا من أين اقتبس كاتب متى ذلك النص [ص ١٦ : ٢٤ - ٢٦] ، حيث نقله عن مرقس ولوقا، وأكمل حلقة الحذف والإسقاط التي ستمهد لكاتب متى في تحقيق غايته في ضرب عقيدة التوحيد عندما يضيف نص التثليث [ص ٢٨ : ١٩] أواخر القرن الرابع، ولم يكن بأناجيلهم من قبل قط!!

وحسب السياق في كل من مرقس ومتى يتبين أن هذا النص الأخير عند كل منهما [متى ص ١٦ : ٢٤ - ٢٦] ، [مرقس ص ٨ : ٣٤ - ٣٨] إنما كان بعد مقتل يوحنا المعمدان بوقت طويل كما يتضح من سياق الإنجيلين.

إننا نسوق هذه النماذج لنكشف إحدى صور كتابة إنجيل متى قبل نسخته الحالية. وواضح حتى خلال هذه النماذج القليلة مدى اعتماده في الأصل والأساس على كل من مرقس ولوقا. وهو ما يدعم نظريتنا في كيفية صوغ الكنيسة لكتاب «الأقوال» الذي سجله متى في أصله الأول في صورة إنجيل عن المسيح، وكيف حولته الكنيسة بعد ذلك إلى نسق روائي، تعهدته بالتعديل والتهذيب حسب الطوارئ والأحداث التي تتعلق بعقائدهم!!

الفصل الخامس

الكنيسة في إنجيل متى تحمّل المسيح أوزار عقائدها الوثنية بشأنه

لقد كانت الكنيسة واعية منذ بداياتها بمراميها البعيدة لاستغلال «أقوال» متى لتحقيق غاياتها العقائدية المناقضة تمامًا لتعاليم المسيح؛ لذلك جعلت من «إنجيل متى» كما هو في صورته الحالية جعبتها التي تخفي فيها كل سهامها القاتلة للمسيح التاريخي، بشتى صور الإهانة لشخصه، والانتهاك لكرامته كنبي صادق، ورسول أمين، وتحميله كل أوزارها الوثنية، ومحو أي مَعْلَم لوجهه الحقيقي الذي عرفه الناس به.

فلكون متى كان أول من دوّن «الأقوال»، دسّت عليه أقوالاً وأخبارًا لم يكن لها ظل من الحقيقة، وتنطوي على تخليطات تنحطّ عند الناقد البصير بشخص المسيح ودعوته:

١ - القول بالميلاد العذراوي

فمن ذلك مثلاً: قصة الميلاد العذراوي. وهي قصة لا أصل لها بحال من خبر عن المسيح، أو قول له، على أي نحو من الأنحاء، ولو كانت رمزًا؛ ولا حتى عند احد من تلاميذه الأولين في العهد الرسولي. بل إننا سنعلم في «سرّ المسيح» أنه لم يعتقد قط بشيء من هذا القبيل، ولا نمتلك دليلاً واحدًا، أو قرينة ما، بأنه قد أيقن ببراءة والدته مما قذفها اليهود به. ومن ثم حيث لا قول للمسيح، أو خبر عنه، أو عن مصدر يوثق به في ذلك، فلا يجوز القول عندئذ بأن لتلك القصة أصلاً في «الأقوال»؛ خاصة وان بعض معاصري متى مثل كيرنثوس Cerinthus

الذي كان من النصاري المتهودين من بني إسرائيل، واطلع على «أقوال» متى، كان يقول بولادة يسوع من مريم ويوسف، وكذلك قال الأبيونيون من نصارى بني إسرائيل الذين كانوا يأخذون بكتاب متى هذا. وهو ما يقطع بأن أحدًا في العهد الرسولي لم يقل بذلك، ولم يعرف قط خبرًا من هذا القبيل. لكن الكنيسة رغم ذلك فرضت هذه القصة فرضًا في «إنجيل متى» كعنصر لجذب العامة والرعاع للاعتقاد بألوهية المسيح حسب أوهام أتباع بولس من الوثنيين، ومع علم الكنيسة ويقينها بأن بطرس وبولس وسائر رسل المسيح وتلاميذه لم يعتقدوا بذلك قط، ولا كانوا حتى قد سمعوا بشيء عن هذا التصور؛ فضلاً عن أن الهمس بتلك الفكرة إنما بدأ أواخر القرن الأول، بعد دمار الهيكل، وتشتت اليهود، وانقضاء العهد الرسولي، ووفاة بطرس وبولس، وسائر من عاينوا يسوع واستمعوا له.

لكن الكنيسة لم تبالِ بشيء من ذلك، وتبنّت تلك الفكرة، لتبدأ القول بها، والترويج لها كعقيدة من عقائدها الأساسية، بعد منتصف القرن الثاني، تثبيتًا للقول بألوهية المسيح الذي نادى به بولس والوثنيون من أتباعه. وكان من الطبيعي أن تفعل ذلك أيضًا بإنجيل لوقا تلميذ بولس فهو الأَوْلى لتوكيد دعوى معلّمه بشأن المسيح. وإن كانت القصتان متناقضتين كل التناقض في إنجيلي متى ولوقا، كما كشفنا عن ذلك من قبل في كتابنا «سرّ مريم بين الإنجيل والقرآن».

وليس معنى هذا أننا نعارض القرآن في هذا الأمر؛ بل سنبيّن ذلك ونفسره في كتابنا «سر المسيح»!

٢ - تحريف الوصية العظمى بإسقاط النص على «التوحيد»!

كذلك استغلت الكنيسة إنجيل متى لتحريف «الوصية العظمى» التي وردت في مرقس [ص ١٢ : ٢٨ - ٣٤] مطابقة إلى حدّ كبير لأصلها في سفر التثنية [ص ٦ : ٤]. فمسختها في متى [ص ٢٢ : ٣٤ - ٤٠] حيث نزعت منها طابع «التوحيد» الذي ركّز عليه يسوع، واغتبط له الحبر اليهودي الذي كان يحاوره. وفعلت الكنيسة ذلك تمهيدًا لما ستذكره في نفس الإنجيل [متى ٢٨ : ١٩] في القول بعقيدة التثليث على لسان المسيح، وهو نقض صريح لعقيدة التوحيد عند موسى، وفي الأصل الصحيح لها في مرقس. وإنما وراء ذلك حرصها على ادّعاء أصالة ذلك في «إنجيل متى» منذ أصله الأول في «الأقوال»، وهو ما لا أصل له بحال. وقد تصدينا لذلك في «سرّ مريم» بخمسة أدلة حاسمة أثبتنا بها أن صيغة التثليث لم تكن قط بأي إنجيل من الأناجيل الأربعة وأصولها الأولى قبل أواخر القرن الرابع حيث أُدرجت في متى وحده في إصحاحه الأخير. وبنينا ذلك على شواهد صريحة من أقدم وأوثق كتبهم ومصادرهم. ولم يفتنا أن نذكر لها تلخيصًا يسيرًا في الشق الثاني من هذا الكتاب، فضلاً عن أصلها في «سر مريم».

٣ - الادّعاء بأن المسيح دعا إلى تبشير الأمم

كذلك استغلت إنجيل متى لتضع على لسان المسيح الأمر لرسله بتنصير سائر الأمم. وهو الأمر الذي لم يقل به قط في حياته ودعوته، بل حذّر منه تحذيرًا صريحًا حيث قال: «لا تعطوا القدس «للكلاب»، ولا تطرحوا درركم قدام «الخنازير» لئلا تدوسها بأرجلها، وتلتفت فتمزقكم» [متى ص ٧ : ٦]. ويعني بلفظي «الكلاب» و«الخنازير» سائر الشعوب غير بني إسرائيل. وترى ذلك بوضوح في قصة المرأة الكنعانية التي استغاثته من أجل ابنتها: «فأجاب وقال: لم

أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة. فأتت، وسجدت له قائلة: يا سيد، أعني! فأجاب وقال: ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح «للكلاب»!! [متى ص ١٥ : ٢٤ - ٢٦].

فاعتبرها وابنتها من «الكلاب» لأنها ليست من بني إسرائيل!!

كما منع الاثنى عشر من تبشير الأمم في إرساليته لهم بالبشارة داخل إسرائيل، فكان أول ما أوصاهم به قوله: «إلى طريق «أمم» لا تمضوا، وإلى مدينة «للسامريين» لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحريّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». [متى ص ١٠ : ٥ - ٦].

وقد كانت الكنيسة الأولى في أورشليم في عهد الرسل لا تأخذ بمبدأ تبشير الأمم، ولا تقبل به، إلا لمن جاءها منهم راغبًا في ذلك، نازلاً على شروطها بالالتزام بتعاليم التوراة والإنجيل معًا، وأن المسيح مجرد نبي مرسل لا يزيد عن ذلك شيئًا؛ ومن ثم ظهر بولس وشيعته للتمرد على كنيسة المسيح في أورشليم، وانطلق إلى تبشير الأمم، واصطنع لنفسه إنجيلاً خاصًا بذلك، ومن هنا فرض عليهم ما أسماه «يمين الشركة» ليكون هو بشير الأمم وفق إنجيله، ويكونوا هم مختصين باليهود وإنجيل الختان، الذي هو في الحقيقة إنجيل المسيح.

وأقل ما يقال في ذلك أن تبشير الأمم لو كان له أصل عن المسيح كما زعمت الكنيسة، ودسّت ذلك على لسانه في إنجيل متى، لما نشب صراع قط بين بطرس وبولس، وبين كنيسة الرسل والكنائس الأممية، ولا كان هنالك مبرر ليمين الشركة، والقول بإنجيلين بعد أن كانوا جميعًا على إنجيل واحد حسب إقرار بولس نفسه في رسالة «غلاطية»، وعلى ما سبق ذكره في سياق آخر.

٤ - الكنيسة تنسب إلى بطرس القول بتأليه المسيح!

كذلك استغلت الكنيسة نفس الإنجيل -إنجيل متى - لتضع على لسان بطرس أكبر الرسل والتلاميذ القول بتأليه المسيح، رغم أن بطرس لم يعتقد بذلك قط، ولا كان يمكن أن يقول به، وهو سرّ العداء الذي كان بينه وبين بولس، لكن الكنيسة ادّعت ذلك عليه لمكانته الكبرى بين الرسل والتلاميذ لتأصيل دعواها بتأليه المسيح، وأن ذلك كان في حياة المسيح نفسه على لسان أكبر رأس بين أتباعه. واختارت لذلك تلك المناسبة التي سأل فيها تلاميذه: «مَن يقول الناس أني أنا»؟ فذكروا اختلاف الناس بشأنه بين قائل بأنه يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) قام حيًا بعد قتله، وقائل إنه «إيليا» (إلياس) عاد إلى الأرض، وقائل ثالث لعله «إرمياء» أو أنه نبي من الأنبياء دون تحديد.

وهنا سألهم: «وأنتم من تقولون إني أنا»؟

«فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح **ابن الله الحي**. . » [متى ص ١٦ : ١٣ - ١٦].

وهنا نرى الكنيسة وقد دسَّت عبارة «**ابن الله الحي**»، وهي لا أصل لها في المصدرين اللذين استقى منهما كاتب متى، والأصل فيهما بطرس؛ فالمصدر الأول المباشر عن بطرس، وهو إنجيل مرقس ذكر جواب بطرس هكذا: «فأجاب بطرس، وقال له: أنت المسيح. . » . [مرقس ص ٨ : ٢٩].

أما المصدر الثاني غير المباشر وهو إنجيل لوقا الذي أخذ من بولس الذي نقل عن بطرس فذكرها أيضًا هكذا: «فأجاب بطرس وقال: **مسيح الله**. . ». [لوقا ص ٩ : ٢٠].

فأنت هنا ترى بطرس لا يدعي الألوهية بحال للمسيح.

وبالتالي لا يجوز للفرع، وهو إنجيل متى في صيغته الروائية، التي استقت من الأصلين مرقس ولوقا، أن تكون أصح، أو أولى بالثقة من هذين الأصلين.

ومما يدلك على صحة ذلك، أن ما لم ترد عنه إشارة في «ذكريات بطرس» في إنجيل مرقس تجده قد ظل معمًّى ومجهولاً في إنجيلي متى ولوقا على السواء. فنحن حتى الآن نسمع عما تسميه الكنيسة والمسيحيون **«موعظة الجبل»** ، التي جمع فيها كاتب إنجيل متى أقوالاً للمسيح استغرقت منه ثلاثة إصحاحات كاملة (ص ٥ - ٧)؛ ومع ذلك لا ندري أألقى ذلك كله دفعة واحدة، أم كان على دفعات متعددة، وهو الأرجح.

كذلك لا ندري ما هو اسم ذلك «الجبل» الذي كان يعتليه المسيح لإلقاء تلك المواعظ؛ وإن كنا نرى كاتب لوقا يخالف كاتب متى في بيان ذلك؛ فبدلاً من أن يجعل المسيح فوق الجبل كما جاء في متى حيث قال: «ولما رأى الجموع **«صعد»** إلى الجبل، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه، ففتح فاه، وعلمهم قائلاً. . » [متى ص ٥ : ١ - ٢]؛ إذا بنا نرى لوقا يقول: «وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي. وقضى الليل كله في الصلاة. ولما كان النهار دعا تلاميذه، واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضًا «رسلاً» . . » [لوقا ص ٦ : ١٢ - ١٣] . وبعد أن ذكر أسماء «الرسل» قال: «و **«نــزل»** معهم، ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه، وجمهور كثير من الشعب..» [لوقا ص ٦ : ١٧]. ثم قال لوقا: «ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال: «طوبى لكم أيها المساكين. . » [لوقا ص ٦ : ٢٠ : ٢١].

وحذار أن تعترض لهذا التناقض بين متى ولوقا، فالمسئولية ليست على الكنيسة التي كتبت تلك الأناجيل، بل المسئولية بالدرجة الأولى على بطرس، ثم على مرقس الذي سجل ذكرياته، لأنهما لم يذكرا شيئًا عن ذلك الجبل، ولا حدَّدا اسمه أو موضعه، كما لم يذكرا أكان الجبل فوقه أم كان تحته، وهل كان عن شماله أم يمينه، وأمامه أم خلفه، وإن كان واحدًا بعينه أم كان جبالاً شتى، وتلالاً متعددة!!

فاقبل منهم؛ فالكنيسة تأمرك بذلك، ثم ضعه حيث شئت، يكن خيرًا لك، وإلا غضبوا عليك، وصرت في نظرهم شديد الجهل، تقف على أشياء يرونها حين لا يعرفونها، لا تساوي أدنى تساؤل أو التفات، بينما لو حدث شيء مثل ذلك عند مخالفيهم لاعتبروه دليل إدانة له لا يردُّ ولا يُنقض، وحجة لهم عليه، وبرهان صدقهم في سائر ما يرتأون بشأنه!!

على أن الأمر هنا يحتاج إلى إنصاف بطرس، وكشف الحقيقة الثابتة بالاعتراف الكتابي الصريح عمن كان أول من قال بتأليه المسيح. ففي سياق متقدم حيث عرضنا الشواهد من كتابات بولس عن إنجيل للمسيح، رأيناه في رسالة «غلاطية» يذكر صريحًا، مزهوًا وفخورًا بأمر لم يسبقه أحد إليه، هو أنه كان أول من نادى بتأليه المسيح، فقال: «ولكن لما سرَّ اللهَ الذي «افرزني» من بطن أمي، ودعاني بنعمته، أن يعلن «ابنه» «فيّ» لأبشر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحمًا ودمًا» [ص ١ : ١٥ - ١٦]؛ فهذا النص يريد به بولس أن الله قد «اختصه» هو وحده بالذات دون سواه، منذ كان في بطن أمه، ومنذ جعله ينتسب إلى دعوة المسيح، أن يكون هو الذي يعلن أن المسيح «ابن الله»، وأن يبشر بذلك بين الأمم.

وهنا نجد نفس المعنى يسجله لوقا في سفر الأعمال حيث يذكر أن بولس منذ أول لحظات انتسابه إلى دعوة المسيح، كان هو الذي بادر بتأليه المسيح، معلنًا ذلك في دمشق ذاتها، ثم بعد ذلك وقت وجوده بين الرسل في كنيسة أورشليم، فيقول عنه في دمشق: «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح: «أن هذا هو ابن الله..» [ص ٩ : ٢٠]، ويقول عن مسلكه بين الرسل: «فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم، ويجاهر باسم «الربّ» يسوع» [ص ٩ : ٢٨].

هذا التحديد من بولس بأنه هو الأول والأوحد الذي اختصه الله للقول بتأليه المسيح، وأنه قد التزم ذلك منذ أول لحظات انتسابه لدعوته وأتباعه، مبشرًا بأنه «ابن الله»، ولم يتراجع أو يكتم ذلك عند لقائه بالرسل في أورشليم، يؤكد أنه لم

يكن هنالك أحد قبله من الرسل والتلاميذ الحقيقيين سبقه إلى هذا الادّعاء. وبالتالي ينبهنا ذلك إلى أمر آخر بالغ الأهمية وهو أن قصة القيامة المزعومة، التي يعتبرونها الدليل الباهر، والحدث الأعظم، الذي كشف للرسل والتلاميذ عن لاهوت المسيح لم يحدث لهم شيء بسببها يغيِّر من عقائدهم بشأنه كنبي مرسل لا يزيد عن ذلك شيئًا، الأمر الذي يؤكد بطلان دعوى القيامة وما رتبوه عليها من مزاعم بشأن العقيدة. ويؤدي هذا بالتالي أن خرافة القيامة لم تكن قط بشأن المسيح؛ حتى وإن أقررنا بمصلوب قد قيل بأنه مات على الصلب بما عجَّل بإنزاله، وادّعاء دفنه، وهو في الواقع كان في حالة غيبوبة، والذين طلبوا إنزاله ودفنه كانوا على يقين بأنه لم يكن ميتًا، ومن ثم عندما أخذوه إلى المدفن كان هنالك من قاموا بعلاجه حتى انتعش وأفاق، فهربوا به، كي لا يعرف اليهود إذا راودهم شك، وفحصوا بدنه، أنه ليس يسوع الناصري، فيستأنفوا البحث عنه، والقبض على أتباعه.

والواقع أن كبار الرسل والتلاميذ كانوا يعلمون عن يقين أن هذا المصلوب لم يكن هو المسيح نفسه، وإن تظاهروا بذلك أمام العامة بعض الوقت لأسباب اعتبروها تفيدهم آنذاك بصفة موقوتة لحماية المسيح في رحلة هروبه، ولرغبتهم أيضًا في تحريضهم ضدّ السلطة الدينية التي سعت إلى صلبه وقتله، وكذلك لجذب الأنصار والأتباع بخرافة القيامة التي نسبوها كذبًا وزورًا إلى المسيح، وتعزيز جانبهم ضدّ خصومهم.

كما لا ينبغي أن يفوتنا أن بولس قد ربط في تلك الفقرة من حديثه بين قوله بتأليه المسيح وسعيه إلى تبشير الأمم؛ وذلك لعلمه برفض أتباع المسيح من بني إسرائيل، وهم أتباعه الصادقون، لدعوى تأليهه، ومن ثم وجد بولس سبيله إلى ذلك بين الوثنيين من سائر الأمم لمشاكلة ذلك لعقائدهم الوثنية:

ولسائل أن يتساءل: ألم تذكر قول سفر الأعمال عن بولس ودعوته في دمشق:

«وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو «ابن الله» [ص ٩ : ٢٠]، وكذلك وقت وجوده في أورشليم بين الرسل: «فكان يدخل ويخرج في أورشليم، ويجاهر باسم «الربّ» يسوع» [ص ٩ : ٢٨]؛ فإذا كان ذلك، فلماذا لم يردّه الرسل والتلاميذ الحقيقيون في دمشق وأورشليم عن هذا المعتقد، ولماذا تركوه، لو لم يكن التأليه من أصل عقائدهم؟

ونقول إن لفظ «ابن الله» كان تقليدًا معتادًا عند اليهود قديمًا كوصف مجازى محض يطلقونه على شخص شديد التقوى والصلاح، ولم يكونوا يعنون به الادّعاء بابن حقيقي لله؛ لذلك لم يتبيَّن الرسل والتلاميذ حقيقة مقصد بولس إلا فيما بعدُ عندما رأوه يستغلّ قصة الصلب والقيامة للزعم بأن المسيح ابن حقيقي لله سبحانه، وهنا بدأ الصراع بينهم وبينه. ومن ثم نراهم، رغم يمين الشركة الذي عقده معهم ليكون هو للأمم، وهم لليهود وحدهم، إذا بهم يتعقبونه رغم هذا اليمين حيث كان يدعو الوثنيين للاعتقاد بألوهية المسيح ليبطلوا دعواه بذلك ويكشفوا كذبه وارتداده عن المعتقد الصحيح. وكان هذا سبب صراعه معهم، وسبابه لهم، وحملته ضدَّهم، واتهامه لهم بأنهم «يريدون أن يحوّلوا إنجيل المسيح»، مع سائر الصفات التي أضفاها عليهم بأنهم كَذَبة، وأنهم يتجسسون عليه وعلى أتباعه، وأنهم يستمسكون بالناموس لإبطال الإنجيل، ولإبطال الجدوى من عقيدة الفداء التي يدَّعيها لهم، معتمدًا على التوكيد بغير دليل على صلب المسيح وقيامته.

ولعل قوة هذا الموقف المضادّ لبولس، وكون كبار الرسل والتلاميذ كانوا يعلمون بأن المصلوب لم يكن هو المسيح، تبدو دلالته واضحة لمن يتأمل ما ذكره كاتب متى في الإصحاح الأخير، حيث ذكر أن الرسل الأحد عشر عندما ذهبوا لمقابلة المسيح على الجبل في الجليل، حسبما قيل لهم أنه سيسبقهم إلى هناك، لما رأوا الشخص الذي قيل إنه المسيح إذا بهم «يشكُّون في كونه هو، فيقول كاتب متى:

«وأما الأحد عشر تلميذًا فانطلقوا إلى الجليل، إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له، و«**ولكن بعضهم شكوا** . . .». [متى ص ٢٨ : ١٦ - ١٧].

وفي هذه العبارة الأخيرة ملمحان سريعان ينطويان على دلالات خطيرة:

الملمح الأول: إقرار كاتب متى أن «**بعض**» الأحد عشر رسولاً قد «**شكّوا**» في كون الذي رأوه هو المسيح؛ وهو ما يعني أن الذي رأوه إما كان هو المسيح حَقًا، أو كان شخصًا آخر ادَّعَى أنه المسيح وليس به:

فإن كان هو المسيح ذاته، فيتعلق الشك عندئذ بأنهم قد فطنوا إلى دلائل وحقائق كشفت لهم أنه لم يكن هو المقبوض عليه، ولا كان هو المصلوب الذي قيل إنه قام من الموت. وبالتالي لا يكون من حق المسيح في هذه الحال أن يزعم أنه قد قُبض عليه، وتألم وصُلب، ومات، ثم قام حيًا في اليوم الثالث؛ إذْ يكون بذلك مخادعًا يدَّعِي لنفسه من الأمر ما لم يكن!

وإن كان شخصًا آخر غير المسيح يسوع الناصري، وادَّعَى أنه إياه، قُبض عليه، وصُلب، ومات، ثم قام حيّاً في اليوم الثالث، وهم إذْ رأوا لم يتبيَّنوا أنه يسوع الناصري الذي عرفوه؛ فعندئذ يصير هذا أيضًا كاذبًا ومضلّلا يتعمد خداعهم بادّعاء ما لم يكن، أي بادّعاء أنه المسيح يسوع الناصري وليس به؛ فلا يجوز لهم تصديقه، أو القبول بشيء مما يدَّعيه!

وبالتالي تَغْدُوا دعوى صلب المسيح وموته وقيامته موضع شك كبير منذ لحظة القيامة المزعومة من أقرب الرسل والتلاميذ إلى المسيح، وأعلمهم به، وأشدّهم معرفة وتحققًا من شخصه، وسمات ذاته وسلوكه. ومن باب أولى يصير شك غيرهم أشدّ وأقوى إزاء هذه القرائن.

أما الملمح الثاني: فقوله في نفس العبارة : «ولكن «**بعضهم**» شكّوا .. »؛ فقوله: «بعضهم» لو كان متعلقًا بصغار هؤلاء الأحد عشر ونَكِراتهم المغمورين، دون

كبارهم، لكان بوسعه وهو يكتب ذلك في أواخر القرن الرابع أن يتغاضى عن تلك الإشارة اكتفاء بيقين كبار الرسل من ذوي الشأن والاعتبار من قبيل بطرس وأخيه أندراوس، ويوحنا بن زَبَدِي وأخيه يعقوب، ومتى العشّار الذي يُنسب إليه كتاب «الأقوال» الذي هو الأصل الأول العبراني لما يسمى إنجيل متى. ولكن حيث أشار وأكد أن «بعضهم» قد «شكُّوا»، فإن هذا «البعض» قد يتعلق بكبارهم ممن ذكرنا وغيرهم، بما جعل كاتب متى أواخر القرن الرابع لا يستطيع أن يتجاهل ذلك، رغبة منه في توكيد مذهب بولس، والتحامل على كبار الرسل الذين عارضوه، وعلى رأسهم بطرس، خاصة لو ثبت له في ذلك تقليد عندهم آنذاك بأن «متى» الذي يُنسب إليه هذا الإنجيل الذي يكتبه باسمه كان هو أيضًا أحد هؤلاء الشاكّين، بما يجعل هنالك ضرورة ضاغطة على كاتب هذا الإنجيل في تلك الآونة لأن يشير إلى هؤلاء «البعض» الذين شكّوا، ربما بدافع منه لمقاومة خبرٍ ذكره متى في كتاب «الأقوال» يحمل دلالة الشك من متى في الشخص الذي ظهر لهم مدَّعيًا أنه المسيح!

فإذا راعينا تلك الاعتبارات، اتضح لنا أن بطرس كان أبعد ما يكون عن السقوط في هذه الهاوية، فضلاً عن رفاقه ممن ذكرنا من الأحد عشر الذين شكّوا حسب إشارة كاتب متى.

ومن ثم يصير القول بتأليه المسيح خالصًا لبولس وحده، الغريب عن هؤلاء الرسل والتلاميذ الحقيقيين للمسيح، والمضادّ لما تناقلوه عنه من تعاليم لم يكن بها أصل قط بادعائه الألوهية، أو ادّعائهم له بذلك!

وبهذا تقوم القرائن قوية صادمة ضدَّ موقف الكنيسة في ادعائها على بطرس بأنه كان يقول بتأليه المسيح، فضلاً عن كونه أول من ادّعى ذلك بشأنه حسب مزاعمها بما دسَّته في ذلك النص من إنجيل متى الذي نسب إليه فيه كذبًا وزورًا أنه قال بتأليهه!

٥ - الكنيسة تدّعي أن المسيح فوّض بطرس لإقامة دين باسمه !!

إلا أن أكبر الكوارث التي ارتكبتها الكنيسة في استغلال إنجيل متى أبشع استغلال وأقذره لضرب المسيح في مقتل كان، بخاصة، عندما وضعت على لسانه في ذلك الإنجيل أنه قال لبطرس: «وأنا أقول لك أيضًا: «انت «بطرس»، **وعلى هذه «الصخرة» ابني كنيستي»**، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، **فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السموات. وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السموات».** [متى ص ١٦ : ١٨ - ١٩].

ولم يقف الأمر على بطرس في هذا التفويض الفائق، بل تعدَّاه أيضًا إلى سائر الاثنى عشر، فقال لهم: «الحق أقول لكم: **كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء. وكل ما تحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء».** [متى ص ١٨ : ١٨].

ولم يرد شيء من ذلك قط في أي واحد من الأناجيل الثلاثة الأخرى: مرقس ولوقا ويوحنا.

وهنا نجد عدة عناصر تخالف الحقيقة والتاريخ نكتفي منها باثنين فقط:

العنصر الأول: القول بكنيسة خاصة بالمسيح، أي بديانة خاصة بالمسيح، منفصلة ومستقلة تمامًا عن ديانة موسى وشريعته.

العنصر الثاني: أن المسيح قد فوض إلى بطرس إقامة تلك الكنيسة، أي تلك الديانة باسم المسيح، وأن سلطانه في التحليل والتحريم الذي يقيم عليه تلك الديانة باسم المسيح يكون معتمدًا ومسلَّمًا به ليس على الأرض فحسب، بل في السموات أيضًا حيث سلمه مفاتيح الملكوت فيها!!

ولم يكتف المسيح بذلك، بل نقل أيضًا ذلك التفويض إلى سائر الاثنى عشر!!

الادّعاء بديانة للمسيح يناقض وصاياه بالتزام شريعة موسى!

فأما العنصر الأول عن كنيسة للمسيح تنهض بأركان وعقائد ديانة خاصة به، مستقلة عن ديانة موسى والتوراة فلا يصح وفق الإنجيل الذي جاء به ذلك، أو الأناجيل الأخرى التي يعتمدونها معه. لأنه لو زعم ذلك لناقض نفسه مناقضة شنيعة بشعة لا تُحتمل؛ ذلك أنه كان يأمر أتباعه دائمًا بالتزام شريعة موسى وديانته، ويرفض بشدّة أى ظن أو تصوّر بأنه جاء لينسخ أو ينقض شيئًا من الناموس والأنبياء. والناموس هو كتاب موسى وشريعته. والأنبياء يعني بها كتب الأنبياء السالكين على نهج موسى. وكان يؤكد على أبدية ذلك الناموس حتى انقضاء العالم، ويتوعَّد من يستهين بوصايا الناموس، أيًّا كانت واحدة منها تبدو هيِّنة بأنه سيدان؛ فيقول في ذلك:

«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. **ما جئت لأنقض بل لأكمل.** فإني الحق أقول لكم: **إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.** فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا يُدعَى أصغر في ملكوت السموات. وأما مَن عمل وعلَّم فهذا يُدعَى عظيمًا في ملكوت السموات. فإني أقول لكم: إن لم يزد بركم على الكَتَبة والفرّيسيين لن تدخلوا ملكوت السموات» [متى ص ٥ : ١٧ - ٢٠).

ثم انظر أيضًا إلى هذا الأمر المباشر منه لأتباعه:

«على كرسي موسى جلس الكتبة والفرّيسيون، **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه**، لكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون». [متى ص ٢٣ : ١ - ٢].

فالذي يعلّم بهذه التعاليم الصارمة، ويفرض على أتباعه هذا التشدّد البالغ في الالتزام بديانة موسى والناموس، يستحيل أن يدّعي أنه صاحب ديانة جديدة تنقض ديانة موسى، أو تخالفها بحال، أو يقبل أن يدّعي أحد عليه بذلك. ومن ثم هو ملتزم بها، قائم عليها، ماضٍ معها حيث تكون، محيط بأبعادها، محصور في حدودها، لا يأذن، أو يتسامح، أن يتخطّاها أحد، أو يتجاوز أيًا من وصاياها.

بل لقد بلغ به الحال من التواضع النبيل في الانقياد لإمامة موسى ورئاسته، والاستسلام المطلق للحق، أن نفى عن نفسه أي استحقاق لإدانة مخالفيه من أتباع موسى، والشكوى إلى الله منهم، لأن ذلك حسب قوله حق موسى وحده في إدانتهم. وليس ذلك فحسب، بل اعتبر أيضًا مَن لا يصدق موسى لا يمكن بالأولى أن يصدق به، وأن الخارج على موسى، خارج بالضرورة عليه أيضًا، فيقول: «لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب. يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. **لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني**. لأنه هو كتب عني. **فإن كنتم لستم تصدقون كُتُب ذاك، فكيف تصدقون كلامي**»؟ [يوحنا ص ٥ : ٤٥ - ٤٧].

واضح إذن امتثال المسيح لتعاليم موسى، والتزامه المطلق بها، وإلزامه الصريح لأتباعه بكل ذلك.

وهذا ما أكدته أيضًا حقائق التاريخ حتى بأقلام كُتَّاب الكنيسة أنفسهم أنه كان شديد الحرص على شريعة موسى وطقوسها، والممارسة الدقيقة وفقًا لها. وأن أتباعه في عصر الرسل من بعده كانوا أيضًا على نهجه في هذا الارتباط الصارم بالناموس وفرائضه:

يقول أحدهم: «كان أتباع المسيح في أورشليم وفلسطين كلهم من اليهود في بدء الدعوة. وكان المسيح مع دعوته **بالإنجيل يمارس الشريعة الموسوية**. وكان

الرسل صحابته في دعوتهم للمسيحية [!!] يمارسون الشريعة الموسوية. فيترددون على الهيكل، ويحفظون الأعياد اليهودية، ويحافظون على الختان والسبت، والصوم، وسائر أحكام التوراة». (١)

ويقول آخر: «. . في الأناجيل لا تتميَّز المسيحية [!!] عن الديانة اليهودية. فكان يسوع وتلاميذه يصلون في المجامع، وكان يسوع يعلِّم فيها. وبهذا المعنى قال يسوع: لا تظنوا أني جئت لأبطل كلام الشريعة والأنبياء. ما جئت لأبطل بل لأكمل [متى ص ٥ : ١٧]». (٢)

ويقول أيضًا: «ومما لا شك فيه أن التلاميذ كانوا يوقِّرون تقليد يسوع في تعليمهم وعبادتهم (رسل ٥ : ٤٢) وإعلانهم له. فليس من الغريب أن يكونوا قد جمعوا في روايات شفاهية، ثم في الأناجيل الأربعة ما سمعوه منه، وما رأوه يفعله». (٣)

نحن إذن بشهادة المسيح في الأناجيل التي كتبوها عنه، وبشهادة كُتَّاب الكنيسة أنفسهم، أمام ديانة واحدة التزم بها هو وتلاميذه، ولم يرد قط على لسانه في تعليمه لهم أية إشارة بأي احتمال أو تصوُّر من جانبه بأن تكون له ديانة خاصة غير ديانة موسى وشريعته. وبالتالي فالزعم بأنه تحدث عن كنيسة له يستخلف عليها بطرس من بعده قيمًا عليها، مؤسسًا لديانته ادّعاء لا يمكن أن يصحَّ عن المسيح.

والشيء الفاجع، والذي يمتهن كرامة المسيح أن الكنيسة التي تدعي عليه بذلك

---

(١) يوسف درة الحداد (الأب): القرآن دعوة نصرانية - ص ٤٨ - ٤٩ - ط ٢ - ١٩٨٦م.

(٢) الأب فاضل سيداروس اليسوعي : تكوين الأناجيل ص ٧١ .

(٣) نفسه : ص ٤٦ .

ليؤسس الديانة الخاصة به، والمستقلة عن ديانة موسى، تجعل هذا يأتي في نفس إنجيل متى الذي وردت فيه النصوص التي ذكرناها، والحاسمة بأمره لتلاميذه بالعمل بناموس موسى، وتحذيرهم من أي تهاون بشأنه. وكأن الكنيسة بصنيعها هذا تتعمد إظهاره متناقضًا، ومتخبطًا في تعليمه ودعوته!!

لا صحة إذن بحال لهذه الدسيسة القذرة عن المسيح، ولا سند لها حتى من شهادة الأناجيل الثلاثة الأخرى، والتي كتبوها جميعًا بأيديهم. وهو ما يضرب تلك الدعوى الباطلة، ويكشف تزوير الكنيسة، وتعمدها الكذب والتضليل باسم المسيح!

المسيح يصف بطرس، أفضل أصحابه، بأنه شيطان فكيف يفوضه لإقامة ديانة باسمه؟!!

أما العنصر الثاني، عنصر التفويض بالتحليل والتحريم، ففيه أمران:

الأول: التفويض المطلق من المسيح لبطرس بإقامة كنيسته، أي إقامة ديانة باسم المسيح، مفوضًا إياه في شئون التحليل والتحريم بلا قيد أو شرط، وأن كل ما يقضي به في ذلك يصير معتمدًا في السموات.

الأمر الثاني: أنه قد أعطى نفس هذا السلطان أيضًا لسائر الاثنى عشر دون أي استثناء. وهكذا لم يصر قاصرًا على بطرس وحده.

فأما الأمر الأول عن تفويضه لبطرس حسبما ذكرنا من شأنه فإنه يستوجب التساؤل عن رؤية المسيح ورأيه في بطرس هذا الذي بسببه استحق هذا التفويض، وهذه الثقة التي لا مزيد عليها، فماذا نجد؟ وكيف يراه المسيح؟

وإليك الجواب من نفس الإنجيل، إنجيل متى، ومن الأصل الذي نقل عنه، وهو إنجيل مرقس فضلاً عن دعم له من إنجيل لوقا:

إن بطرس متهم في إنجيل متى، وعلى لسان المسيح نفسه، بأنه «شيطان» وأنه «مَعْثرة» للمسيح، أي أنه يضلّله، ويجرّه إلى السقوط. وأنه لا يهتم بحقوق الله وفرائضه ووصاياه؛ بل هو منافق، ومتلوّن، يخشى الناس ولا يخشى الله.

وإليك ما ذكروه من ذلك في إنجيل متى الذي أثقلوه بهذه المصائب التي نسبوها للمسيح:

يقول كاتب متى: «فأخذه بطرس إليه، وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يا ربّ، لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا **«شيطان»** ! أنت **«معثرة»** لي؛ **لأنك لا تهتم «بما لله» لكن «بما للناس»**! [متى ص ١٦ : ٢٢ - ٢٣].

لكن هل من أصل صحيح قبل متى هذا يسعف في توثيق هذا الاتهام وهذا الكلام من المسيح لبطرس؟

نعم ! جاء الأصل في إنجيل مرقس الذي أملاه بطرس هكذا: «وقال القول علانية. فأخذه بطرس إليه، وراح ينتهره. فالتفت وأبصر تلاميذه، فانتهر بطرس قائلاً. اذهب عني يا **«شيطان»؛ لأنك لا تهتم «بما لله» لكن «بما للناس»**. [مرقس ص ٨ : ٣٢ - ٣٣].

ولم يرد هذا النص في لوقا، لكن جاء عنده خبر يؤكد ضعف إيمان بطرس وانهيار يقينه، فيقول:

«وقال الربّ سمعان، سمعان، هو ذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة! **ولكني طلبت من أجلك، لكي «لا يفنى إيمانك»**. وأنت متى رجعت ثبت **إخوتك»** [لوقا ص ٢٢ : ٣١ - ٣٢].

كلام المسيح إذن في الإنجيلين متى ومرقس باتهام بطرس بأنه **«شيطان»** أي شرير مفرط في الشرّ، وأنه لذلك، حسب النص في متى، **«معثرة»** له، يضلله، ويجره للسقوط، مع أن المسيح نبي مؤيد من الله، ورسول من أولي العزم والحكمة، وأن بطرس لذلك متلوّن يرائي بالإيمان ولا يوقن به، فيخشى الناس ولا يخشى الله، حسب اتفاق الإنجيلين في ذلك؛ فضلاً عما ذكره لوقا من ضعف إيمانه، وانهيار يقينه، حتى صلى المسيح من أجله، كل ذلك يمتنع معه أي ادّعاء منهم بأن المسيح كان يمكن أن يأتمنه على إقامة كنيسته، أي ديانة باسم المسيح، يفوض إليه فيها التحليل والتحريم، واثقًا بمطابقة ذلك للمراد الإلهي

والدين الصحيح!

فالذي يحاول تضليل المسيح وإسقاطه فيما لا يرضي الله، مع ما للمسيح من حكمة ودهاء وبصيرة ثاقبة، فضلاً عن النبوة والعصمة الإلهية، هو أحرى أن يكون مع سواه أشدّ تضليلاً وشرّاً حيث هم بالضرورة دون المسيح في كل ذلك!!

والشيطان يستحيل أن يكون قيّمًا على دين جاء به نبي صادق، ورسول أمين؛ لأنه عندئذ لا بدّ أن يتحوّل هذا الدين عن أصله الصحيح إلى فكر شيطاني شرير مثقل بالوثنية والجحود، وكل أسباب الشرّ والدنس والخطيئة!!

دعواهم هذه بشأن بطرس
تستهدف طعن المسيح!!

ومن ثم فلو جاء من يدّعي أنه نبي مرسل، وأسند إقامة دينه وعقيدته إلى شخص بهذه الصفات، وهو يعلم بها عن يقين أنها قائمة به، حتى إنه ليجهر بها على أعين الناس وسمعهم، وهي لا تكون إلا لدجال فاجر، ومضلّل جسور؛ فعندئذ لابدّ أن يعاد النظر بشأن هذا المدّعي أنه نبي مرسل، وتتغيَّر صفته؛ لأن من يستخلف على أمره أو دعوته مضلّلاً دجالاً، عن علم منه بذلك كله، وإقرار به على رءوس الناس، كما رأينا من المسيح بشأن بطرس، لا يمكن أن يكون هو الآخر إلا دجالاً أيضًا، له نفس الخصائص والصفات، وربما على نحو أشدّ فجورًا وشرًّا!!

تُرى: أيريدون أن يقولوا عن المسيح إنه كان كذلك، فيتفقوا مع قول اليهود عنه؟!

إن دينًا يؤسسه الشيطان لا يمكن أن يكون من الحق أو الخير بسبيل!

ومن ثم يستحيل أن يكون ما يحلّله أو يحرّمه من كان على هذه الشاكلة متفقًا بحال مع المراد الإلهي، أو الدين الصحيح.

وقد بيّنّا في العنصر السابق أن المسيح كان مستمسكًا بناموس موسى، مشدّدًا على أتباعه بالتزامه؛ أي كان براءً من أي شرّ أو انحراف عن الخلق الفاضل، والدين القويم.

وإذا كان بطرس ، وهو أكبر رسل المسيح وتلاميذه، وأعظمهم شأنًا، حتى رأيناه -أي المسيح- في رواية لوقا [ص ٢٢ : ٣١ - ٣٢] يفوضه بالوصاية على سائر الرسل والتلاميذ و«تثبيتهم»، رغم إقرار المسيح نفسه في نفس الخبر بضعف إيمانه، حتى صلى من أجله، فلا شك أن سائر الاثنى عشر لا بدّ أن يكونوا أشدّ منه ضعفًا وسقوطًا، وانحرافًا عن المعتقد الصحيح، وأكثر خضوعًا للشيطان، وانسياقًا في مسالكه الطافحة بكل ألوان الشرّ والخطيئة؛ فكيف يصير هؤلاء أهلاً لأن يأتمنهم المسيح على دعوته، وعلى ديانة يقيمونها باسمه، لو كان لهذه الدعوى من أصل يصح عن المسيح الذي يلصقون به هذه الأباطيل والدعاوى الفاجرة؟!

إن هذا التفويض المزعوم لبطرس ، ثم لسائر الاثنى عشر، بإقامة كنيسة للمسيح، أي ديانة باسمه، لم يرد قط إلا في إنجيل متى كما ذكرنا من قبل، ولا أصل له بحال في مرقس ولوقا ويوحنا. الأمر الذي يؤكد أن الكنيسة هي التي تعمدت دسَّ هذا في إنجيل متى، لتمنح نفسها السلطان المطلق فيما تدَّعيه بشأن المسيح، بدعوى أنها قامت مستخلفة على ميراث بطرس ورفاقه الممنوح لهم من المسيح. وجعلت ذلك في متى لأنه في زعمها أقدم الأناجيل، لتوكيد أصالة ذلك عن المسيح؛ وقد علمت أيها الفاضل كيف تمت كتابة هذا الإنجيل كما أوضحناه في سياقات متقدمة.

يلزمهم من دعوى التفويض لبطرس ورفاقه أن يهوذا لم يخن المسيح!!

يبقى بعد ذلك تساؤل يحتاج إلى جواب من الكنيسة الموقرة ذات العقل الراجح، والرأي السديد، والتي حسب دعواهم يرشدها الروح القدس: إننا نجد المسيح في هذا التفويض في التحليل والتحريم، والذي منحه أولاً لبطرس [متى ص ١٦ : ١٨ - ١٩] ، ثم منحه بعد ذلك لسائر الاثنى عشر [متى ص ١٨ : ١٨ - ٢٠]، أنه عندما أعطى ذلك للاثنى عشر لم يستثن منهم أحدًا قط آنذاك. وقد كان يهوذا الإسخريوطي أحد هؤلاء الاثنى عشر، وهم يتهمونه بأنه قد خان المسيح، واستحلَّ دمه، وباعه لليهود بثمن عنزة أو شاة؛ فهل ما فعله يهوذا باستحلال دمِ المسيح تعتمده السموات أيضًا وتقرّه. كما وعدهم المعلم البارع فيما يستحلُّون وفيما يحرِّمون، أم ترفضه السموات، ويكون هنالك خلل في كلامه، وردّ لوعده؟!

إن الكنيسة الموقرة مُطَالَبة بالجواب عما فعله يهوذا بخيانة المسيح حسب دعواهم إن كان ينطبق عليه وعده لجملة الاثنى عشر دون استثناء أم لا ينطبق، وبيان الحيثيات والأسباب!!

ثم عليها أن تكشف لنا ببصيرتها النورانية التي تدرك ما لا ندرك لماذا لم يستثنه المسيح في هذا التفويض رغم أنه كان على زعمها يعلم الغيب؟! فهل فقد علم الغيب في تلك الساعة حيث يكون أصابه السهو والنسيان أو الغفلة والارتباك لسبب من الأسباب، فلا يجوز أن يكون إلهًا بحال، رغم ادعائهم له بالألوهية؟! أم

لعله كان يعلم، ولسبب ما لم يشأ أن يستثني يهوذا الإسخريوطي من هذا التفويض، فيصير حكم يهوذا عندئذ باستحلال دمه صوابًا وحقّاً تعتمده السموات وتباركه؟!

ثم كيف يكون يهوذا خائنًا ومستحقّاً للدينونة، مع أنكم تزعمون أن مسيحكم إنما جاء ليصلب افتداء لخطيئة آدم، وأن ذلك كان أمرًا حتميّاً لا بدّ أن يقع، فما ذنب يهوذا إذن، ولماذا يدان، وقد بلغ من الصفاء والروحانية وجلاء البصيرة أن اتفق حكمه في استحلال دم المسيح مع القضاء السماوي في دعوى الفداء المزعوم حسب عقائدكم؛ أي يستوجب منكم تمجيدًا وتعظيمًا، وشكرًا عظيمًا، فوق ما يستحقه كل الآخرين من الاثنى عشر؟!

ألا ترون أنكم أنتم أيضًا قد أُصِبْتُم بالسهو والغيبوبة، أو بالسَّفه والحمق والغباء عندما كتبتم هذا اللغو الوقح في إنجيل متى، واستنطقتم المسيح بما لم يكن منه، ويستحيل أن يكون ذلك منه، أو من أي نبي صادق، ورسول أمين بعد ما ذكرناه من إقراركم في السياقات السابقة بما صنعتموه من تغيير وتبديل، وإضافة وإسقاط، وتحريف وإفساد، في كل أقواله التي نقلها رسله وتلاميذه الصادقون في عهد الرسل؟!

على أية حال، نكتفي بتلك الشواهد مما أثقلتم به إنجيل متى من دسائس وأباطيل لا أساس لها عند المسيح، لتفرضوا على الناس ديانة وثنية جاحدة، مكتفين من ميراث المسيح ودعوته بمجرد الاسم مفرغًا من أي مضمون ذي قيمة مما كان من قوله وعمله!!

الفصل السادس

المؤثرات التي أحاطت بالكنيسة لتأليه المسيح

على أنه يبقى تساؤل عن السبب أو الأسباب التي دفعت بالكنيسة إلى إضفاء خصائص الألوهية على المسيح، وأن تكتب الأناجيل وفق ذلك الاعتقاد، مخالفة بذلك كل الأصول الشفاهية الصحيحة لأقواله وتعاليمه التي التزم بها هو، والتزم بها أتباعه من بعده في عهد الرسل. وبعبارة أبسط وأيسر نسألهم:

ما هو معيار الكنيسة الذي احتكمت إليه فيما اتخذته من اعتقاد بشأن المسيح؟

لنجيب على ذلك يجب أن نسأل أيضًا سؤالاً آخر: أين، ومتى، بدأت كتابة الأصول الأولى والبدائية للأناجيل الحالية، وأين، ومتى، كُتبت الأصول الأخيرة لهذه الأناجيل التي قامت عليها النسخ الحالية؟

تواجد المسيحيين في روما من وقت باكر

منذ القرن الأول، وبعد رحيل المسيح، كانت الهجرة والأسفار للمسيحيين إلى روما، عاصمة الامبراطورية الرومانية، وسفرهم أيضًا إلى بعض الأقاليم الأوربية كاليونان وقبرص وغلاطية (بلاد الغال - فرنسا) وغيرها، خاصة سفر البعض من الدعاة إلى مذهب يسوع، نقول كان ذلك كله أمرًا معروفًا ومشهورًا في تاريخ أوربا، وفي تاريخ تلك العاصمة الكبرى للامبراطورية الرومانية التي كانت تسود العالم آنذاك.

ومن ثم كان من الطبيعي بعد تكاثرهم في روما، وخطرهم عليها، أن يكون هنالك عمل ما لمواجهة هؤلاء بالمطاردة والعقاب، أو بعمل سلمي يحول دون خطرهم على الآخرين.

ولكي نتعرف على شيء من ذلك في نظرة عاجلة، إليك صورة عن وجود هؤلاء المسيحيين في روما، وما كانوا يسببونه من مشاكل وشرور. ثم ما سيئول إليه الأمر أخيرًا في محاولة من البعض للقبول بنوع من التسامح معهم لممارسة حياتهم ضمن الطوائف الأخرى المتواجدة بعاصمة الامبراطورية.

يقول باحث فرنسي: والمؤرخ «تاقيطس» يذكر في حولياته التي كتبها في نحو السنة (١١٥) حريق رومة في عهد «نيرون» والشائعات التي انتشرت بأن الإمبراطور نفسه هو الذي أشعله. ويواصل حديثه بقوله:

«ولكي يقطع دابر هذه الشائعات، فقد بحث عن مذنبين وأنزل أقسى العذابات بحق أناس بائسين مكروهين بسبب جرائمهم، يلقّبون عامة «بالمسيحيين». فالمسيح الذي هو أصل اسمهم كان قد حُكم عليه بالموت في عهد «طيباريوس» على يد الوالي بنطيوس بيلاطس. وما أن قُمعت هذه الخرافة الكريهة، حتى عادت فانتشرت، لا في «اليهودية» فحسب حيث نشأت، بل حتى في رومة نفسها،

حيث تعجّ وتتعاظم كل الانحرافات والجرائم. فبُوشِر إلقاء القبض على الذين أعلنوا أنهم «مسيحيون». وبعد إدلائهم بإفاداتهم، أُلقي القبض على «جماعة كبيرة» مقتنعة بأنها تكره الجنس البشري أكثر من اقتناعها بحرق رومة». (حوليات ١٥ / ٤٤)[1].

(١) الأب أتيان شر بنتييه: من الأناجيل إلى الإنجيل، ص ٩٤ - ٩٥ . نقله إلى العربية باسيل فوزي سلسلة «دراسات في الكتاب المقدس» - (٢١) - دار المشرق - بيروت.

طيباريوس يدعو لإحصاء المسيح ضمن آلهة روما!!

فإذا تذكرنا أن نيرون قد تولى سنة ٥٤م، لتبين لنا أن هؤلاء المسيحيين كان منهم مَن سافروا إلى رومة منذ فترة سابقة على حكمه للدعوة إلى ديانتهم حتى صار لهم أتباع، وحيث أمكن إلقاء القبض على «جماعة كبيرة» من هؤلاء الأتباع، مما يكشف عن كثرتهم في تلك الفترة الباكرة؛ وبالتالي لا نعجب عندما نذكر أنهم قد تواجدوا في روما منذ عهد طيباريوس قيصر الذي توفي سنة ٣٧ م، حسب شهادة ترتوليان (المولود ما بين سنتي ١٥٠ - ١٦٠، والمتوفي ما بين سنتي ٢٢٠ - ٢٤٠ م)، حيث يقول: «لذلك فإن طيباريوس قيصر الذي في عهده دخل اسم المسيح إلى العالم، عندما وصل إليه هذا التعليم من فلسطين التي بدأ فيها أولاً، اتصل بمجلس الأعيان، وبيّن لهم بكل وضوح «**إعجابه بهذا التعليم**» . ولكن مجلس الأعيان رفضه لأنه لم يفحصه بنفسه. أما طيباريوس «**فإنه ظل متمسكاً برايه**» ، و«**هدّد بالموت متهمي المسيحيين....**» [١].

وهذا يعني أن تواجدهم في روما قد بدأ من وقت مبكر منذ طيباريوس قيصر الذي تأثر بهم، حتى بلغ به الأمر أن يهدد بالموت من يقاومون ذلك المذهب، وكان ذلك كما هو واضح قبل منتصف القرن الأول، وقبل نيرون، بسنوات طويلة.

وبالتالي فتكاثرهم في عهد نيرون كان من الطبيعي أن يصير مصدر خطر كبير، وأن أي محاولة لمقاومتهم لا بدّ أن يكون لها ردّ فعل مؤثر من جانبهم قد يؤدي إلى حرق روما، والذي حدث فعلاً بأيديهم مهما اعترض المخالفون الذين هم من أعقابهم، وتولوا كتابة ذلك التاريخ وفق أهوائهم.

---

(١) أوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة. ك ٢، ف ٢ . وانظر كتابنا: «عقائد النصارى الموحّدين» - ص ١٧٣ - ١٧٨ - ط ٣ - مكتبة النافذة.

الرومان يعتبرون المسيح أدنى شأنًا من أن يكون ضمن آلهتهم!!

على أية حال، فإن الباحث الفرنسي الذي ننقل عنه قد نقل أيضًا عبارة للفيلسوف الروماني «قلسيوس» بهذا الشأن فقال: «.. ومن خلال كتابات المؤرخ المسيحي «أوريجنيس» يلتقط [المؤرخ المعاصر] رأي الفيلسوف الروماني «قلسيوس» الذي صرخ قائلاً في نحو السنة (١٠٠):

«تضعون في منزلة «الإله» شخصًا أنهى حياته الذليلة بموت بائس»[(١)]!

في هذه العبارة التي نقلها أوريجانوس عن الفيلسوف الروماني المذكور يتضح أنه مع نهاية القرن الأول كانت الدعوة للقبول بوجود الجماعات المسيحية التي تدّعي الألوهية للمسيح قد صارت ضرورة تفرض نفسها على المجتمع بسبب كثرتهم، وكان هنالك من يقبلون بالتسامح معهم، نظرًا للمشاكلة بين دعواهم بتأليه المسيح وبين ما يعتقدون هم في آلهتهم الوثنية، فضلاً عن منع المشاكل، ودرء الأخطار التي يسببها هؤلاء في العاصمة الكبرى للحضارة العالمية آنذاك.

وحتى لو افترضنا أن قلسيوس قد قال هذه العبارة في خطابه إلى المسيحيين، مستهدفًا نقد عقائدهم، بانحطاط إلههم المزعوم عن أي مرتبة تجيز له مكانًا أو اعتبارًا بين آلهة الوثنيين، فإن هذا يعني أنهم قد بلغوا من الكثرة والتأثير حتى يعرض لهم مثل ذلك الفيلسوف الروماني بالنقد والمناقشة، مدافعًا عن آلهة قومه بأن الذي يعبده هؤلاء المسيحيون أحط شأنًا وقدرًا من أن يحصى بين آلهتهم الوثنية!!

---

(١) الأب اتيان شر بنتييه: من الأناجيل إلى الإنجيل، ص ٩٤ .

كتابة الأناجيل في روما حيث يُراد تأليه المسيح!!

فإذا رجعنا إلى تلك الأناجيل الأربعة التي يسمونها «الأناجيل المعتمدة» وجدناهم يذكرون أن كُلاً من إنجيلي مرقس ولوقا قد كُتبا في روما. وأن إنجيل يوحنا قد كُتب في أفسس من بلاد اليونان، والتي كانت بطبيعة الحال تحت السيادة الرومانية، وكذلك إنجيل متى الذي ترجم من العبرانية إلى اليونانية حسب دعواهم في القرن الثاني دون قطع بموطن ترجمته، لكن على أية حال، كان كل ذلك تحت السيادة الرومانية.

ونخرج من كل ذلك بأن كتابة الأناجيل منذ أصولها الأولى كانت في روما، وبإشراف كنيسة المسيحيين فيها، وتحت مؤثراتها الوثنية الطاغية.

وقد بشر بولس القائل بتأليه المسيح في روما ذاتها، وفي سائر الأمم والأقاليم الخاضعة لسيادتها. وكلها جميعًا كانت تدين بالوثنية باستثناء فلسطين حيث كان اليهود من بني إسرائيل، وحيث كان ظهور المسيح، والتي كانت أيضًا خاضعة لسيادة روما.

إذن فإن المسيحية التي تتأسس في عاصمة تلك الإمبراطورية الوثنية الكبرى لا بدّ أن تنعكس عليها آثار الميراث الوثني على نحو أو آخر، حتى لو افترضنا ولاء الكنيسة للمسيح، وتعاليمه الحرفية الصحيحة؛ فكيف إذا تضاءل هذا الولاء، أو كان زائفًا، خاصة وهي تعتمد مذهب بولس الذي يتبنى فكر الوثنيين؟!

نحن إذن نحاول طرح بعض الملابسات التي يمكن أن تكون ضمن المؤثرات التي خضعت لها الكنيسة منذ نشأتها، والقائمون عليها هم أنفسهم من أصول وثنية، وتعيش ويعيشون معها في محيط هادر بكل صور الوثنية وآثارها الوبيلة!!

كل هذا يجب أن يكون في الحسبان!

معيار الكنيسة بشأن المسيح
يسقطها في حضيض الوثنية

لكن.. نعود إلى التساؤل الذي بدأنا به هذا الحديث: ما هو معيار الكنيسة فيما اعتمدته من عقائد بشأن المسيح وتعاليمه؟

في كلمة واحدة يتلخص الجواب وهو أن معيار الكنيسة فيما اعتمدته من عقائد بشأن المسيح هو «الانطباع» Impression الذي كونته عن المسيح شخصًا ودعوةً مما سمعته عن أخباره وعجائبه، دون مبالاة بأصول كلامه وتعاليمه.

والكنيسة لا تأتي بهذا الجواب على هذا النحو الواضح الصريح، والذي هو عين الحق والحقيقة بشأن عقائدها.

إن الكنيسة تعبر عن ذلك على نحو من الخبث والالتواء، فتتكلم عما تسميه **«إلهام الروح القدس»**، وعما تسميه **«اختبار الإنسان لله في المسيح يسوع»**، أو **«اختبار «كلمة» الله»**، وتعني بكل ذلك البحث عن الجانب **«اللاهوتي»** في المسيح، أي البحث عن الطبيعة الإلهية في المسيح، أو ما تريد أن تعتبره طبيعة إلهية فيه، مستندة إلى شيء من أقواله وأفعاله، أو من شهادة أتباعه، من قبيل بولس مثلاً، فإن لم تجد قامت هي نفسها بإضفاء ذلك عليه، وفق رؤيتها الخاصة، نتيجة ذلك «الانطباع» الذي تكوّن لديها عندما سمعت به، وبأفعاله وعجائبه، ولو اقتضى ذلك أن تقوم هي نفسها أيضًا بالتغيير والتبديل في أقواله وأفعاله، وسائر أخباره، بما يخدم هذه الغاية. ولكن الكنيسة تنسى أو تتناسى، وتجهل أو تتجاهل، أن هذا التصور Concept أو الانطباع Impression في وجدان الإنسان، أو أي شخص، إنما يتكوّن، أو على الأقل يتأثر، بترسبات خبراته السابقة، والتي هي في مجال العقيدة الدينية عندهم آنذاك كانت ترسبات وثنية. ومن ثم فعندما يسمع الوثني بأخبار يسوع وعجائبه، تتيقّظ عنده تلك الترسبات

الوثنية، لتوجد في وجدانه ارتباطًا بالمشاكلة بين يسوع وآلهته التي كان يعبدها، فيعتقد بألوهيته، مستريحًا إلى التوافق الذي يستشعره بين ديانته الجديدة وموروثه الوثني القديم.

وقادة الكنيسة ليسوا بفلاسفة أو علماء متجردين من أهواء الذات، أو مجردين من الانتماءات القومية أو العنصرية؛ بل هم في واقع الحال عريقون في ولائهم لميراثهم القديم في الديانة، ولقوميتهم وعنصريتهم، وغرور القوة والسيطرة الذي يتمثل في كيان تلك الإمبراطورية الرومانية الكبرى التي يعيشون فيها، وينتمون إلى شعبها وأمتها، وكل ذلك كفيل بالتشكيك في إخلاصهم وأمانتهم مع دين جاءهم من بعيد، من طائفة أو جنس كان محتقرًا في نظرهم من حيث الانتماء القومي والعنصري، بما لا يستأهل ثقة تُذكر عن أمانته، أو الاعتداد بشيء من فكره واعتقاده.

ومن ثم تستشعر الكنيسة أن من حقها التشكك في وعي تلك الجماعات لو خالفت انطباع الكنيسة عن ذلك المدعو باسم «المسيح» . بل إننا حتى لو افترضنا احتمال قبولها بصحة ما تدّعيه تلك الجماعات، فإنها لا بدّ لها أن تحول دون أية حقائق تباعد بينها وبين أصولها الوثنية، حتى تضمن لنفسها مزيدًا من المنتمين إليها، بسبب المشاكلة بين الأصل والدين الجديد؛ خاصة، وأن أحد الرسل، وهو بولس، كان يتبنى هذا التوجّه الوثني لتأليه المسيح، وكان يكذب ويقاوم تلاميذه الحقيقيين الذين كانوا ينكرون ذلك!!

لا بدّ إذن أن نضع كل ذلك في الاعتبار عند النظر في المؤثرات التي أثرت على فكر الكنيسة الرومانية الأولى التي ستكون صاحبة الكلمة الحاسمة في كتابة الأناجيل، وتقرير قضايا الاعتقاد.

اعترافات الكنيسة تكشف

اتجاهها الوثني!

ويحسن أن نقرن ما ذكرنا بكلام الكنيسة ذاتها:

جاء في «معجم اللاهوت الكتابي»: «إن الكُتّاب الملهمين عندما كتبوا كلمة الله كانوا «مسوقين من الروح القدس». (٢ بطرس١ :٢٢).

«هذا يعني أن كتابتهم **لم تكن «موضوعية»** خالصة مثل كتب العلم، ولكنهم **«اختبروا» كلمة الله** فصارت جزءًا منهم، وشكلت حياتهم، حتى إن الإعلان صار **«داخل»** الرسل، كما يقول الرسول بولس: «ولكن لما سرّ الله أن يعلن ابنه **«فيّ»** لأبشر به بين الأمم» (غلاطية ١ :١٥ - ١٦). نعم، إن للكيرجمات، أو الكرازة، أساسها التاريخي، ولكنها عندما قُدمت إلى العالم **«قُدمت في إنسان من خلال حياته»**؛ ولهذا سمي هؤلاء بالشهود: «وتكونون لي شهودًا». (أعمال ١ :٨).

«**إن لاختبار الإنسان لله في المسيح** يسوع دورًا كبيرًا في تقديم الإعلان المقدس. ولم يكن النبي أو الرسول سلبيّاً في ذلك. لم يكن كقطعة الإسفنج في نقل الماء، تحمله، ولكن لا تفعل غير ذلك، فلا اختلاط ولا امتزاج. إن وحي الكتاب المقدس يختلف في مفهومه عن مفهوم الوحي في الإسلام؛ إذ يعتقد المسلمون أن النبي لم يكن سوى ناقل لكلام الله، ولا دخل له فيه. ولكننا نؤمن أن كَتَبة الكتاب المقدس هم رجال الله، الذين **«اختبروا» الروح القدس»** وهم محمولون بإلهامه.ولا يمكن أن يفهم الإعلان أو الوحي في الكتاب المقدس بدون **«اختبار الرسل والأنبياء لله والمسيح كلمة الله المتجسد»** [١].

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي - ص ١٥ . وأصدرت الطبعة العربية للمعجم دار المشرق =

ونحن عندما ننظر في دلالة هذا الذي ذكرته الكنيسة، وما تدّعيه من: «أن **لاختبار الإنسان «لله» في المسيح يسوع دورًا كبيرًا في تقديم الإعلان المقدس»**، نجد أنها تريد بذلك القصد إلى البحث عن الجانب **«اللاهوتي»** في ذلك المدعو باسم المسيح، أو يسوع الناصري؛ أي هي لا تنظر إليه مجردًا من خلال أقواله وأفعاله وتعاليمه الصحيحة، كما كان يراه تلاميذه الأصلاء الصادقون، وإنما تبحث فيه عما يملي لانطباعها الخاص بشأنه، والذي هو أصلاً مشوب بأصولها الوثنية، وهو تصورها له كإله!

ونفس المعنى نراها تكرره فيما ذكرته عن كَتَبة الأناجيل: «أنهم **«اختبروا كلمة الله»**: ولفظ **«كلمة»** هنا لا يؤخذ بمعناه الدارج، بل هي تريد به ما يسمى **«اللوغس»** Logos والذي ورد في أول عبارة من إنجيل يوحنا حيث يقول: **«في البدء كان «الكلمة». و«الكلمة» كان عند الله. وكان «الكلمة» الله»**. [ص ١:١]؛ فانتهى بمفهوم **«الكلمة»** إلى أن جعله هو والله نفسه ذاتًا واحدة، وحقيقة واحدة.

والكلمة، أو «اللوغس» مقصود به العقل الإلهي الموجد للكون، والضابط لكل ما فيه من نظم ونواميس؛ ولذلك يقول كاتب يوحنا: **«هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان. وبغيره لم يكن شيء مما كان»**. [ص ١: ٢ - ٣].

فهذا الكلمة، أو هذا اللوغس، أو هذا العقل الإلهي، هو الموجد وحده لكل شيء؛ فإن فصلت بينه وبين «الله»، فالله لم يخلق شيئًا قط!!

وبالتالي فهذا العقل الإلهي هو ذات الله وجوهره.

ومن ثم عاد كاتب يوحنا ليقول عن ذلك العقل الإلهي الذي سماه «الكلمة»:

=ش. م . م. بيروت. وانظر كتابنا: «شبهات مسيحية معاصرة حول الإسلام» - ص ١٤٩ - ١٥٠ .

«والكلمة: صار جسداً، وحلّ بيننا» .[ص ١ : ١٤] .

وهنا يكشف كاتب يوحنا عن مراده مما سماه «الكلمة» أو «اللوغس»، وأنه هو ذاك المدعو باسم المسيح، أو يسوع الناصري.

الكلمة إذن، أو العقل الإلهي الذي هو جوهر الله وطبيعته هو عند كاتب يوحنا وسائر المسيحيين القائلين بقوله، جاء متجسدًا في صورة إنسان هو ذاك المدعو يسوع الناصري، الملقب باسم «المسيح»!!

وآلهة الوثنيين هي بطبيعتها متجسدة، لأنها أصلاً من كائنات الطبيعة المنظورة أو المحسوسة من إنسان وحيوان وغيرهما من كائناتها وظواهرها.

والكنيسة قد جعلت الإله يأتي متجسدًا في صورة شخص هو ذاك المدعو يسوع الناصري.

وهكذا نجحت الكنيسة في خلق الارتباط بين ديانتها الجديدة المسماة زورًا باسم «المسيحية» أو «النصرانية» وبين أصولها الوثنية برباط «التجسد» للآلهة!!

إذن قوله عن كَتَبَة الأناجيل أنهم: «اختبروا كلمة الله» إنما يعني به أنهم كشفوا عن لاهوت ذلك المدعو في إنجيل يوحنا باسم «الكلمة» أو «اللوغس»؛ حيث تجسد هذا الكلمة في صورة إنسان، وهبط من برج لاهوته ليحيا بين البشر، وحيث كان كل ذلك مستترًا إبان وجوده على الأرض عن كل رسله وتلاميذه، ولم تكتشف سرّه الرهيب إلا الكنيسة وحدها، التي أملت على عملائها كتابة الأناجيل وفق هذا الاعتقاد؛ دون مبالاة بأقواله وأفعاله، وأطلقت أيديهم حرّة من كل قيد للتصرف بشتى صنوف التغيير والتبديل والحذف والإضافة، حسب إقرارها هي ذاتها، بما يخدم القول بإلهية هذا المدعو المسيح، أو مسيح الناصرة!!

الكنيسة إذن لم تخضع لأقوال يسوع وتعاليمه، بل هي التي أخضعت يسوع، وسائر أقواله وأفعاله لتصرّفها الخاص، بما يخدم تصورها في ابتداع إله جديد،

لا يختلف إلا بالاسم وحده عن آلهة الوثنيين السابقين!!

هذا إذن هو مراد الكنيسة من القول «باختبار الإنسان لله في المسيح، أي رؤية الله ذاته متجسدًا في شخص المسيح!!

وفي سبيل هذه الغاية المقدسة في نظر الكنيسة استباحت كل الوسائل من مشروعة وغير مشروعة للتصرف في أقوال يسوع وأفعاله وسائر أخباره، ودمرت الإطار التاريخي لذاته وشخصيته، حتى لا ينكشف من أمره مالا يتفق مع مقاصد الكنيسة وغاياتها. يقول أحد كُتَّاب الكنيسة:

« .. إن الأناجيل «تصرّفت» في بعض أقوال يسوع وأعماله، حيث إنها «أضفت» عليها «القصد «اللاهوتي»الذي يقصده كل إنجيلي. كما أنها تصرفت في «ترتيبها» و«عرضها». وهذا ما لم تجرؤ أن تفعله الجماعات المسيحية الأولى في رواياتها الشفاهية، لشدة أمانتها «لحرفية» ما قاله يسوع وعمله»[1].

ويقول أيضًا: «.. ولكن النتيجة في نهاية الأمر ضئيلة لمعرفة «الكلمات نفسها» التي تلفّظ بها يسوع. ولكن ليست هذه المعرفة هي الأهم، فلن نعرف أبدًا ما قاله يسوع بالحرف الواحد - إلا في حالات نادرة - بسبب تعدّد الروايات الشفاهية التي استند إليها الإنجيليون، وبسبب قصدهم «اللاهوتي» الخاص في ضوء «القيامة»..»[2].

---

(١) الأب فاضل سيداروس اليسوعي: تكوين الأناجيل - ص ٤٧ .

(٢) نفسه: ص ٥٢ .

عرض مجمل لبعض انطباعات الكنيسة

على أية حال نعاود من هذا الاستطراد إلى كلام الكنيسة في «معجم اللاهوت الكتابي» لنجد فيه الكثير من اعترافات الكنيسة بما اقترفت من جرائم في سبيل غاياتها كما ذكرناه في كتابنا: «شبهات مسيحية»[(١)]:

«هنا نجد اعتراف الكنيسة بأن كتابة الإنجيليين لم تكن «**موضوعية**» تسجّل نص كلمات يسوع وأخباره التي بلغتهم من رسله وتلاميذه، ولم يكن بها أي ادّعاء له بالألوهية، وإنما كتبوا حسب إلهام ما يسمونه «الروح القدس»، أي القناع الذي تتقنّع به الكنيسة لفرض رؤيتها الخاصة في القول له بالألوهية.

وكذلك نجد ادّعاءهم بأنهم قد «اختبروا كلمة الله فصارت جزءًا منهم»، وهو اعتراف واضح من الكنيسة بأنها عبّرت حسب رؤيتها الخاصة بواسطة كَتَبَة الأناجيل، وليس حسب دعوة يسوع وكلماته.

«كذلك تعترف الكنيسة أن الإعلان قد صار «**داخل الرسل**» أي صار نسبيّاً حسب رؤية الكاتب (أي رؤية الكنيسة)، وهو ما يؤدي بالتالي إلى الاختلاف بين رؤية وأخرى (ولذلك تعدّدت الأناجيل).

«على أن هناك مغالطة واضحة في قول المعجم الكنسي: «**داخل الرسل**»؛ فكَتَبَة الأناجيل حسب ما ذكرنا في هذا السياق من كلام المتحدث باسم الكنيسة، كانوا بعد انقضاء المرحلة الشفاهية التي شهدت عصر الرسل، وتأخذ عليهم الكنيسة، وكذلك على من عاصروهم من الجماعات المسيحية الأولى: «شدة أمانتها لحرفية ما قاله يسوع وعمله». ومن ثم فكتبة الإنجيل ليسوا من الرسل، بل هم رجال الكنيسة الذين وظفتهم لذلك، وأضفت على أعمالهم أسماء «الرسل»

---

(١) ص ١٥٠ - ١٥١ .

خداعًا للجمهور.

«وبالتالي لا يصح وصف كُتّاب الإنجيل بأنهم «شهود»، لأنهم لم يشهدوا شيئًا قط بشأن المسيح، ولا كانوا مقيدين بكلام الشهود الحقيقيين؛ بل ارتبطوا كما رأينا بتفسير الكنيسة ورؤيتها، وشهادتها غير الواقعية، وغير «الموضوعية» حسب إقرارها.

«ويعترف هذا النص من المعجم اللاهوتي بأن التدخل من جانب الكنيسة خلال كتبة الأناجيل كان كبير الأثر في تعديل كلام يسوع وتغييره: «إن لاختبار الإنسان لله في المسيح يسوع دورًا كبيرًا» في تقديم الإعلان المقدس. ولم يكن النبي أو الرسول [يعني كاتب الإنجيل حسب توجيه الكنيسة] سلبيّاً في ذلك. لم يكن كقطعة الإسفنج في نقل الماء، تحمله، ولكن لا تفعل غير ذلك؛ فلا اختلاط ولا امتزاج..»؛ أي أن كاتب الإنجيل أدخل ذاته، ورؤيته الخاصة، ولوّنها حسب ما أملته الكنيسة من رأي ومنهج.

«ومن الطبيعي ألا تنسى الكنيسة الموقرة جدّاً أن تسخر من أمانة محمد نبي الإسلام، ودقّته، في نقل الوحي بتجرد وموضوعية، دون تدخل من جانبه. فكان أشبه في نظرهم بالإسفنجة التي ذكروها، تنقل الماء ولا تمتزج به»!!

وهكذا يتبيّن لنا كيف حرصت الكنيسة الرومانية التي كتبت الأناجيل على فرض تصورها الوثني على حقائق الدين والواقع والتاريخ والأصول الصحيحة من أقوال يسوع وأفعاله التي تناقلها تلاميذه الحقيقيون، كي لا تنفصل عن أصولها الوثنية، ولا تخضع لدين جاءها من بعيد، لا يتوافق مع انتماءاتها القومية والعنصرية.

لذلك كان من أوائل وأهم اهتمامات الكنيسة منذ بداياتها تدمير الإطار التاريخي لسيرة المسيح الحقيقية وسيرة أمه، كي لا تدع ذريعة لأي اعتراض ضدّ

دعواها بشأنه يعتمد على شيء مما كان من أخباره أو سلوكه في شتى أطواره ومراحله.

لذلك كان من أوائل وأهم هذه الاهتمامات العمل بكل حرص وحذر على تجنب أي بحث عن الحقائق التاريخية في نهاية المسيح، وعما إن كان هو المقبوض أم كان غيره، وعما إن كان هو المصلوب أم كان آخر!

كانت الكنيسة مدركة تمامًا أنها قادرة، مع بعض البحث والاجتهاد، أن تحيط بالحقائق التاريخية لكل ما جرى في القبض والصلب والقيامة المزعومة، ولعلها قد فعلت واستقصت في سرّ وصمت، ولكنها كانت واعية كل الوعي أن الحقائق التاريخية في تلك القضايا لن تخدم أهدافها، بل ستجهض تصورها الوثني، وتباعد بها عن ميراثها القديم، وتفقد بسببها مكاسب كبرى من أسطورة فذّة رأتها موحية بأفكار وأحلام جميلة تخدم تطلعاتها الإبداعية في مجال العقيدة!!

وبطبيعة الحال لم تنس الكنيسة أن تعترف بالفضل لذويه، وعلى رأسهم جميعًا بولس الرسول!!

والخلاصة إذن أن هناك عدة عوامل أثرت على فكر الكنيسة في ابتداع عقائدها منها:

١ - أن تأسيس الكنيسة لعقيدتها حسب الانطباع الذي تبادر إليها من أخبار المسيح وعجائبه، دون وعي، أو دون مبالاة منها بحقائق تعاليمه ووصاياه في أصولها الصحيحة، كان انطباعًا خاطئًا تمامًا لأنه كان مشوبًا بآثار من عقائدها الوثنية السابقة.

٢ - أن دعوة بولس الصريحة بتأليه المسيح، وتبنّي فكر الوثنيين بشأنه، كانت من أقوى الأسباب في دعم اتجاه الكنيسة، لأن بولس، كان للأسف، يعتبر أحد الرسل، بعد أن اعترف به الرسل الحقيقيون رغمًا عنهم، وكان ذلك أعظم

جرائمهم التي عجلت بالقضاء على دعوة المسيح!!

٣ - أن ظهور فكرة الميلاد العذراوي أواخر القرن الأول، ومن خلال أنصار بولس، كان له، وللأسف مرة أخرى، أعظم الأثر في تعزيز الاتجاه الوثني للكنيسة لتأليه المسيح، حتى وإن كانت لتوقن بأنه ادّعاء محض عارٍ تمامًا من أي بيّنة أو دليل!

٤ - أن دور بولس في تقديم المسيح إلى الوثنيين مفردًا، منعزلاً عن سابقيه من أنبياء بني إسرائيل، خاصة ذوي العجائب والمدهشات الكبرى، من قبيل موسى وإلياس (إيليا) وإليشع، كان له أثر بعيد في إظهاره كصاحب عجائب ومدهشات لا تكون لإنسان، ولا تليق إلا بإله؛ ولو أنه ذكر عجائب أي واحد ممن ذكرنا مع حديثه عنه، لتضاءل المسيح إلى حجمه الحقيقي، ولفشلت دعوة بولس بشأنه، لكن هذا الداهية الخبيث حرص ألا يذكر موسى وإلياس إلا سلبًا على سبيل الانتقاد!!

كانت هذه بعض العوامل التي أثرت على وجدان الكنيسة، وأملت لها في رؤيتها بشأن المسيح، وفي نفس الوقت لا يتباعد بها ذلك كثيرًا عن ميراثها الوثني العريق، وحيث ستأتي التطورات من بعدُ، في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ لتضييق هذا الفاصل حتى ليوشك أن يتلاشى، الأمر الذي جعل قسطنطين يعلن جهارًا نهارًا، وبفرح وابتهاج عظيمين من جانب المسيحيين أنفسهم أنه: «كاهن الوثنيين والمسيحيين» [1] معًا؛ أي أنه قد نجح تمامًا في نزع فتيل التنافر بين الوثنية والمسيحية، ووحّد بينهما، وإن اختلفت الأسماء!!

---

(١) أندرو ملر: مختصر تاريخ الكنيسة - ج ١ ص ٢٦٤ . وانظر النص وتعليقنا عليه ص ١٠٢ - ١٠٤ من كتابنا : «شبهات مسيحية معاصرة حول الإسلام» .

ثم جاء الدور بعد ذلك على الكنيسة لتأليه ذاتها وتعاليمها. فاتخذت في مجمع القسطنطية سنة ٣٨١ قرارًا حاسمًا بتأليه «الروح القدس» والذي ستجعله المرشد لها، والملهم لقراراتها. ومن ثم يُدان من لا يخضع للكنيسة، وعلى رأسها «البابا الإله»، والذي سيظل يُدعى هكذا حتى القرن الثامن عشر!!

فقرارات الكنيسة بذلك قرارات إلهية. ولا ينبغي لأحد أن يسألها في ذلك، فالجواب جاهز، إذ الروح القدس الذي كان هو الناطق في الأنبياء قديمًا، وحسب إقرار الكنيسة نفسها، قد صار الآن ناطقًا في كل حين على لسان الكنيسة وقادتها الدينيين!!

لهذا استباحت الكنيسة أن تدسّ في الأناجيل على لسان المسيح ما تشاء مما يتعلق بشئونها وعقائدها، وبما تحلّ أو تحرّم من أمور البشر!!

هل رأيت إذن لماذا أثقلت الكنيسة تلك الأناجيل، وخاصةإنجيل متى بتلك الأحمال الثقيلة التي نسبتها إلى المسيح، ولماذا مضت في السبيل الذي مضت فيه، ومدى الفجوة التي لا تُعبر بين الكنيسة والمسيح الذي تدّعي الانتساب إليه، وهي أول من يصلبه لو تجلّى لها شخصه ساعة من نهار؟!!

الفصل السابع

الحقيقة الصادمة
حرص أباطرة روما على توثين المسيحية
منذ عصرها الأول

ما الذي ننتهي إليه بعد كل ما تقدم في البحث عن إنجيل المسيح؟

إنجيل المسيح في أصله الحقيقي الصحيح، وكما كان في المنقولات الشفاهية لتلاميذه الأولين، يكشف عن وصايا وتعاليم تنبع من معين الشريعة الموسوية، وتشدِّد على الاستمساك بها وبأصولها، عند موسى وخلفائه الناهجين على نهجه، وأنها شريعة أبدية لبني إسرائيل لا تقبل التعديل والتبديل، ولا تكون لغيرهم من الشعوب الأخرى، لأنها إنما وضعت كإطار لا يصلح إلا لهم وحدهم، حيث صيغت على نحو عنصري يختص بهم دون سائر الأمم والأجناس.

لذلك كان المسيح على وعي دقيق بهذه الحقائق، فجاءت ردوده على الذين ظنوا أنه قد يقوم بنسخ أو تعديل الشريعة الموسوية بأنه ما جاء لينسخ أو يغيِّر من شريعة موسى وخلفائه من الأنبياء، بل جاء ناهجًا على نفس الطريق، ملتزمًا به في تعليمه وسلوكه، وملزمًا به أيضًا لتلاميذه وأتباعه أن يأخذوا بنفس النهج والغاية اللذين تحراهما موسى وخلفاؤه حتى ساعته.

كان المسيح مدركًا أن أي تفكير للخروج بشريعة موسى عن إطارها المحدَّد كاختصاص مقضيّ به لبني إسرائيل وحدهم، إلى سائر الأمم الأخرى، يستلزم -بالضرورة- تغييرًا شاملاً في الإطار كله، الأمر الذي لم يكن من عمله، ولا استحقاق له به، ولا هو نفسه يستطيعه لو فكر في شيء من هذا القبيل، سواء من حيث الدعوة، أو الشخص، أو الظروف القومية والعالمية آنذاك.

لذلك كان تشديده في الالتزام بشريعة موسى وأبديتها لبني إسرائيل نابعًا من وعيه بأن التبشير بديانة ما لسائر الشعوب، يستلزم ديانة أو شريعة أخرى مختلفة تمامًا عن منهج موسى وشريعته، وإطارًا مباينًا لإطارها المحدود بعنصر معيَّن، هم بنو إسرائيل.

وكان على يقين تام بأن بني إسرائيل لن يستجيبوا، أو يتجاوبوا، مع شريعة أخرى تنتزعهم من غرورهم العنصري، وتسوي بينهم وبين غيرهم من الأمم الأخرى. ومن ثم ستبقى شريعة موسى فيهم، حتى لو جاءت تلك الشريعة الأخرى المنفتحة على جميع الأمم؛ لأن شريعة موسى هي حينذاك الأنسب لغرورهم، وإن لم تكن الأصلح أو الأقوم كشريعة إنسانية عامة وشاملة.

لذلك عندما درس بولس تعاليم المسيح ووصاياه، واستشعر أن دعوته نابعة أصلاً من صميم الديانة الموسوية، محصورة بحدودها، كان من الطبيعي أن يضيق بها ذرعًا، ولا يتبيَّن بها أية ملامح أو سمات تخدم فكره الخاص، سواء كان فكره هذا صادرًا عن دافع من كيده للمسيح ودعوته، أو برغبة منه في الاستئثار لنفسه بتعليم ينسب إليه، ويُعرف به، حتى لو كان بدافع من غيره له أن يفعل ذلك.

ومن ثم ارتأى بولس أن خير سبيل لتحقيق غايته هي أن يزعم أن المسيح إنما جاء لإبطال الناموس، أي لنسخ شريعة موسى، وتحرير الناس من أثقالها.

لكن كيف يحقق بولس ذلك؟

كذلك، فإن الكنيسة عندما اطلعت على مدوَّنات التعاليم الشفاهية لرسل المسيح وتلاميذه، واطلعت على كتاب «الأقوال» الذي دوَّنه متى من تعاليم المسيح، رأت أنها أمام معضلة كبرى؛ فتعاليم المسيح ووصاياه مختصة بشعب بعينه، وتجرّها إذا أخذت بها إلى دين هذا الشعب -بني إسرائيل- وشريعة موسى ذات الطابع العنصري، وبالتالي تتعالى بجنس بني إسرائيل وقوميتهم على جنس الكنيسة وقوميتها التي تسود العالم آنذاك، فضلاً عن كون تعاليم المسيح تلك تنحطُّ بالمسيح ذاته إلى مجرد نبي كسائر أنبياء بني إسرائيل، تابع لموسى، ماضٍ على أثره، متعقِّب لخطاه، لا يحيد عنه، ولا يستقلُّ دونه بشيء؛ فأي جدوى إذن من هذه المعضلة؟!

هنا إذن لم تجد الكنيسة في المسيح ابن مريم، المدعو يسوع الناصري، شيئًا يرضي فكرها تنتقيه من خلال تعاليمه الصحيحة، وحيث هو بذلك لا يخدم طموحاتها لإقامة دين خاص يتميز بسمات الاستقلال عن ديانة موسى هذا الغريب عن الكنيسة في الجنس والوطن والعقيدة، وحيث لا يوافق منازعها القومية والعنصرية، وفي نفس الوقت لا يقدم إليها إلهًا له خصائص فذَّة، لا تقلُّ، إن لم تزد، عما لأي واحد من آلهة الوثنيين، فأين تجد الكنيسة ذلك إذن؟

وعادت الكنيسة إلى بولس ، أول وأكبر الرسل في التبشير بالمسيح في روما.

وكان بولس قد أعدَّ الحلَّ الذي يرضي الوثنيين، ويحل المعضلة، أو يزيل العقبة، التي وضعها المسيح أمامهم!!

لم يلتفت بولس إلى التعاليم الشفاهية الصحيحة التي كان يردِّدها الرسل والتلاميذ من أقوال المسيح، والتي هي في الحقيقة مضمون إنجيل المسيح. كذلك لم يَعْلم، أو لم يعبأ، بكتاب «الأقوال» الذي وضعه متى، لو كان قد علم به، لأنه لا يخرج عن جملة ما سمعه من الرسل والتلاميذ.

عَمَد بولس إلى فكر جديد مختلف:

فراح يتحدث عن العلاقة بين الخطيئة والناموس، وتسلّل بذلك إلى القول بوجوب إبطال الناموس.

وكان فحوى ما ادّعاه بولس بإيجاز:

أنه حيث هنالك ناموس، أي وصية أو تشريع أو قانون أو معيار معيَّن لتقييم عمل الإنسان، فهنالك يلزم أن من لا يخضع لحدوده يصير خاطئًا.

والخاطئ يستوجب الموت، لأن الربَّ الإله قد حذَّر آدم قديمًا بأنه إذا كسر الوصية صار مستوجبًا للموت ثمنًا لخطيئته.

وقد كسر آدم الوصية، واستوجب بذلك الموت ثمنًا لخطيئته.

ولم يستطع آدم أن يقدم فداء عن نفسه ثمنًا للخطيئة بدلاً من حياته، وهو لا يريد أن يفقد حياته.

لذلك فإن الربَّ الإله لمحبته للبشر، لما اكتمل الزمان، أرسل ابنه متجسدًا في صورة إنسان، هو يسوع الناصري الملقب بالمسيح، ليُصلب، ويُسفك دمه، ويموت فداءً عن خطيئة آدم.

وحيث قدَّم المسيح - ابن الله على قول بولس - الفداء إلى الآب، الربّ الإله، فلذلك لم تعد هنالك خطيئة، ولم يعد هنالك بالتالي مبرر لوجود الناموس، إذ دفع المسيح الثمن الذي كان على آدم أن يدفعه ثمنًا لخطيئته.

إذن بمجيء المسيح، وتقديم الفداء، صار كل من يؤمن به محررًا من نير الناموس.

وعليه؛ فلا حاجة إلى ناموس موسى لمن يؤمن بذلك؛ ومن ثم يبطل الناموس بعد مجئ المسيح. ومن يأخذ بالناموس رغم ذلك لا يكون مؤمنًا بالخلاص الذي

تحقق بدم المسيح!!

هذا إذن، بإيجاز، هو فكر بولس الذي قدمه للوثنيين في روما، في تبشيره لهم باسم المسيح.

وتبنَّت الكنيسة هذا الفكر الذي قدمه بولس، حيث أعفاها تمامًا من كل ما اشترطه المسيح في تعاليمه ووصاياه الحقيقية، وحيث لا تجد في الأناجيل التي كتبوها هم أنفسهم بأيديهم قولاً واحدًا للمسيح بهذا الفداء المزعوم الذي قال به بولس!!

وهكذا صارت الكنيسة في روما محررة بسلطة بولس وتعليمه من أي التزام بالتعاليم الأصلية لمسيح الناصرة!!

وكان بولس هو الأوحد بين الرسل الذي بشَّر في روما باسم المسيح، وكتب في ذلك رسالة «رومية».

ولم يرد قط في الأناجيل ، وأسفار العهد الجديد ورسائله، أن بطرس بشَّر في روما، أو ذهب إليها قبل سفرته الوحيدة ليقتل بها.

ويبرر أصحاب هذا الرأي دعواهم تلك بأمرين:

الأول: «يمين الشركة» الذي كان بين بولس والرسل بكنيسة أورشليم، بأن يكون بطرس والرسل مختصين بإنجيل الختان، أي تقتصر بشارتهم على اليهود وحدهم في فلسطين وما جاورها، وأن يكون بولس وبرنابا مختصين بإنجيل الغُرْلة (إنجيل بولس) لتبشير الأمم الوثنية، وإعفائهم من الختان، وسائر طقوس موسى والناموس. وبذلك لا يكون لبطرس حق للتبشير في روما.

الأمر الثاني: أن بطرس لو كان قد سبق بولس إلى روما، لذكر ذلك بولس، وهو ما لم يكن؛ وإن كان قد ذهب بعده، فإن بطرس لم يذهب إلى روما إلا

متأخرًا جدًا، وهو السفر الذي استشهد فيه؛ أي أنه قد حُمِل ليُقتل هناك، وليس للدعوة والتبشير.

وإذا صح ذلك، فلا يكون أحد من رسل المسيح القدامى الحقيقيين قد بشر في روما. ومن ثم ظفر بها بولس وحده، حيث جعل هنالك موطئ قدم لكنيسته، لتأسيس المسيحية وفق رؤيته وتعاليمه التي تتبنّى فكر الوثنيين بتأليه المسيح.

انفردت روما إذن ببولس، وانفرد بولس بروما لتأسيس كنيسته التي تقودها وفق ميولها الوثنية!!

وبالتالي ستكتب روما بعد ذلك الأناجيل المسيحية وفق رؤيتها وعقيدتها!!

هل أدركت إذن أيها الفاضل الكريم ذلك التوافق العجيب بين كنيسة روما وتعاليم بولس؟!

إن الكنيسة في كل الأحوال تذكر بولس ولا تتساه، أو تغفل دوره في صوغ عقائدها!!

لكن . . هل انتهى الأمر عند هذا الحدّ؟

لا . .

إن روما السياسية، روما الإمبراطورية العالمية الكبرى، كان لها دور أيضًا فضلاً عن روما الوثنية ذات الآلهة المتعدّدة، والتي قبلت اسم المسيح حسب شروطها، بفضل بولس وتعاليمه.

إن التحقيق التاريخي إذا تمَّ بتجرد وأمانة، وموضوعية وصدق، فلا بدّ أن يثبت أن توجيه المسيحية في روما على المسار الوثني بتأليه المسيح كان قد سبق قيام الكنيسة بها، ومهد لها أن تتخذ هذا المسار دون سواه. وبالتالي لم تكن الكنيسة هي صاحبة المبادرة بتأليه المسيح، وتوثين المسيحية، بل كان فضل السبق

إلى ذلك من جانب روما السياسية ممثلة في أباطرتها الأولين في العصر الأول للمسيحية، وعلى رأسهم طيباريوس، حتى كان مجيء نيرون سنة ٥٤، والذي استشعر الخطر الجسيم من سرعة تنامي أتباع هذه الديانة الناشئة وتكاثرهم حتى قاموا بإحراق روما، رفضًا منهم لآلهة روما الأخرى، كي لا يكون على الساحة إلا إله واحد فقط هو مسيحهم حداد الناصرة!!

ولكن . . دعنا ننظر الأمر منذ بداياته.

ماذا كان دور روما السياسية؟

بدأ دور روما السياسية بالنسبة للمسيحيين منذ أيام طيباريوس قيصر الذي صار إمبراطورًا منذ السنة الرابعة عشر للميلاد حتى وفاته سنة ٣٧ .

فيذكرون أن إمبراطور روما كان معتادًا أن يتلقى تقريرًا سنويًا من كل والٍ في ولايات الإمبراطورية عما جرى في العام المنصرم. فتلقى طيباريوس سنة ٣٤ تقريرًا من بيلاطس البنطي والي اليهودية وأورشليم عما كان بها من شأن شخص يدّعى يسوع الناصري الذي يدعوه أتباعه باسم «المسيح» وأحداث القبض والصلب، وما ادّعاه بعض أتباعه من أنه قام حيًا بعد موته. وارتأى أن بإمكانه استغلال هذه الخرافة لصالحه بادّعاء أن الآلهة تبارك ملكه، حيث تظهر في عهده، وتوصي بطاعته، إذ كان يسوع يأمر أتباعه بمحبة الرومان، والصلاة من أجلهم، ويأمرهم بدفع الجزية لقيصر، وأن يحسنوا الولاء له كما يحسنون الولاء لإلههم!

ومن ثم كتب طيباريوس إلى مجلس الأعيان يطلب الموافقة والإقرار لرغبته بإحصاء المسيح بين آلهة روما!

ولم يعبأ مجلس الأعيان بطلب الامبراطور، ونحّاه جانبًا.

وغضب الامبراطور، وغلبه الغضب، فهدّد بالموت «متهمي المسيحيين»!!

إذن كـان أول ادّعـاء بتـأليـه المسـيح، وأول إقـرار بذلك ، هـو في رومـا من المسيحيين الوثنيين، ومن جانب الامبراطور الذي أعجبه ذلك الاعتقاد!

وقد رأينا أكبر مؤرخي الكنيسة أوسابيوس القيصري المتوفى سنة ٣٤٠ يرصد فصلاً كاملاً من كتابه «تاريخ الكنيسة» يذكر فيه ذلك عن طيباريوس، نقلناه من قبل في بعض كتبنا، وننقله هنا مرة أخرى، وها هي صورته:

«كيف تأثر طيباريوس لما أعلمه بيلاطس عن المسيح»

« ١ - ولما ذاع في الخارج خبر قيامة مخلّصنا العجيبة وصعوده، فإنه - جريًا على العـادة القـديمة التي سـرت بين حكام المقـاطعـات نحـو إرسـال تقـرير للامبراطور عن كل الحوادث الجديدة التي تحدث فيها، لكي لا يخفى عليه شيء، جريًا على هذه العـادة -بعث بيلاطس البنطي إلى طيبـاريوس بالأنباء التي ذاعت في الخارج في كل أرجاء فلسطين، المتعلقة بقيامة مخلّصنا يسوع من الأموات.

« ٢ - وقد أعطى وصفًا أيضًا عن عجائب أخرى عرفها عنه، وكيف أنه بعد موته إذْ قـام من الأموات، اعـتقـد الكثـيرون أنه إله. ويقـال إن طيبـاريوس أحال الأمر إلى مجلس الأعيان، ولكنهم رفضوه. وكانت العلة الظاهرة أنهم لم يفحصوه أولاً، «إذْ كان يوجد قانون قديم يقضي بأنه لا يجوز للرومانيين أن يؤلهوا أحدًا إلا بعد أخذ رأي وقـرار مجلس الأعيـان». ولكن كانت العلة الحقـيقـيـة أن التعليم الخاص للإنجيل الإلهي لم يكن بحاجة إلى تأييد البشر أو توصيتهم.

« ٣ - ورغم أن مجلس أعيان الرومانيين رفض الاقتراح المقدم عن مخلّصنا، فإن طيبـاريوس بقي مـتـمـسكًا برايـه الذي سبق ان كوّنه، ولم يفكّر في اية إجراءات عدائية ضد المسيح.

« ٤ - هذه الأمور دوّنها ترتوليانوس، وهو رجل خبير بقوانين الرومانيين، وذو شهرة عظيمة في نواحٍ أخرى، واحد الرجال الأفذاذ في روما. وفي احتجاجه عن

المسيحيين الذي كتبه باللغة اللاتينية، وترجم إلى اليونانية، كتب ما يلي:

« ٥ - « ولكي نقدم وصفًا عن هذه القوانين من مصدرها نقول: إنه كان هنالك أمر عالٍ قديم بأن لا يؤله الامبراطور أحدًا قبل أن يعطي مجلس الأعيان موافقته. هذا ما فعله مرقس أوريليوس بصدد وثن معيَّن يدعى «البورنوس». وهذه نقطة في مصلحة تعليمنا أن الكرامة الإلهية لا توهب بينكم إلا بأوامر عالية بشرية. فإن كان أي إله لا يرضى إنسانًا ما فإنه لا يُؤلَّه [؟!!] ، وهكذا نرى بمقتضى هذه العادة أنه من الضروري للإنسان أن يكون كريمًا من نحو الله.

« ٦ - لذلك فإن طيباريوس الذي في عهده دخل اسم المسيح إلى العالم عندما وصل إليه هذا التعليم من فلسطين التي بدأ فيها أولاً، اتصل بمجلس الأعيان، **وبيَّن لهم بكل وضوح إعجابه بهذا التعليم** ولكن مجلس الأعيان رفضه، لأنه لم يفحصه بنفسه. **اما طيباريوس فإنه ظل متمسكًا برايه، وهدَّد بالموت متهمي المسيحيين**»[(١)].

ونرى من هذه القصة التي اهتم بها أكبر مؤرخي الكنيسة، مع نقل وتوثيق ما ذكره ترتوليانوس Tertullianus، وحيث بالغ في تعظيم شأنه، ومكانته العلمية والقانونية، رغبته ليعرب بذلك عن كونه لا يتردَّد في قبول ذلك الخبر بالتسليم بصحته، وأنه لم يكن موضع شك حتى زمن تدوين أوسابيوس لكتابه عن تاريخ الكنيسة.

وقد جاء في كتاب ترتوليان هذا في «الدفاع عن المسيحيين» الذي نقل عنه أوسابيوس نصه المذكور، نص آخر يشير إلى ذلك المضمون، وأثر القصة المسيحية على طيباريوس والوثنيين في روما، فقال:

«إن ظروف موت المسيح كانت باهرة بهذا المقدار لأعين الوثنيين أنفسهم، حتى

---

(١) أوسابيوس القيصري : تاريخ الكنيسة : ك ٢ : ف ٢ .

إن بيلاطس أشار على الملك (طيباريوس قيصر) أن يحفظ قصته في سجلات رومية. **وطيباريوس نفسه لو أمكنه أن يكون قيصرًا ومسيحياً معًا لكان آمن به».**[(١)]

وهذه الإشارة من ترتوليان إلى انبهار الوثنيين بقصة الإله المصلوب، ومَيْل طيباريوس إلى تأليه المسيح وفرضه ضمن آلهة روما لولا حرصه على منصبه من معارضة مجلس الأعيان لرغبته لو جاهر باعتقاده به دون إقرار منهم بذلك، تكشف وتؤكد أنه كان على يقين تام بصحة ما يحكيه عن طيباريوس، وموقف بعض الوثنيين في روما من خبر المسيح المصلوب، وغلبة الرغبة عليه وعليهم في تأليهه.

ونلاحظ من الفقرتين الثالثة والسادسة من رواية أوسابيوس توكيده وتوكيد ترتوليان من قبله على شدة تمسك طيباريوس برأيه في المسيح فيقول في الفقرة الثالثة: **«فإن طيباريوس بقي متمسكًا برأيه الذي سبق أن كوّنه، ولم يفكر في أية إجراءات عدائية ضدّ المسيح».**

ويقول في الفقرة السادسة عن كيفية عرضه لطلبه إلى مجلس الأعيان لإحصاء المسيح بين آلهة روما: «**وبيَّن لهم بكل وضوح إعجابه** بهذا التعليم. ولكن مجلس الأعيان رفضه لأنه لم يفحصه بنفسه، **أما طيباريوس فإنه ظل متمسكًا برأيه، وهدَّد بالموت متهمي المسيحيين».**

نحن إذن أمام ثلاث إشارات واضحة صريحة بانحياز طيباريوس إلى المسيحية المؤلهة للمسيح:

الأولى: أن طيباريوس كشف لمجلس الأعيان على نحو صريح: **«إعجابه بهذا التعليم [المؤله للمسيح]»**.

---

(١) الأسقف إيسيدوروس: الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة - ج ١ - ص ١٢ .

الإشارة الثانية: قول ترتوليان : «**أما طيباريوس فإنه ظل متمسكًا برأيه**»، أي بدأ العناد من جانب الإمبراطور فكشف عن غيظه من معارضيه بإصراره على رأيه في مواجهة مجلس الأعيان.

الإشارة الثالثة: أن المواجهة بين الامبراطور ومجلس الأعيان قد خرجت إلى التحدي المباشر من جانب الامبراطور لمعارضيه بأن تهدّدهم بالموت: «**وهـــدّد بالموت متهمي المسيحيين**»!!

هذه الصورة الواضحة الصريحة للمواجهة بين امبراطور روما ومجلس الأعيان في الامبراطورية في ذلك الوقت المبكر جداً من تاريخ المسيحية، وحيث توفي طيباريوس سنة ٣٧، تعطي مؤشرًا بالغ الخطر في تاريخ المسيحية المؤلّهة للمسيح، لا يجوز، ولا يمكن لباحث مدقق وأمين أن يتجاهله، أو يتغاضى عن دلالاته بعد علمه به.

ذلك أن هذا الحدث الخطير كان له أثره النافذ، ومردوده البعيد في رسم مسار المسيحية في روما عاصمة أكبر إمبراطورية في العالم آنذاك، وتحديد وجهتها بالتأليه الصريح لمسيح الناصرة منذ تلك الفترة الباكرة جداً من تاريخها. فيكفي أن يعلم العامة بموقف الامبراطور حتى يميلوا إلى المسيحية على هذا النحو الذي آثره الإمبراطور وتمسك به.

بل إنه حتى لو وُجد مسيحيون لا يؤلهون المسيح، فإن موقفهم يضعف ويتضاءل أمام المنحازين لتأليه المسيح مقتدين بهذا الامبراطور الوثني. وبالتالي يعزز هذا من موقف الكنيسة المؤلهة له ضد أي كنيسة لا تنقاد لهذا الاعتقاد الذي يستمدّ قوته من رأس الإمبراطورية ذاته، ومن العامة من الوثنيين الذين يرغبون في هذا الدين الجديد المُشاكِل لعقائد آبائهم!

وفي تلك الفترة الباكرة من تاريخ الكنيسة المسيحية أيام طيباريوس ظهر

بولس الذي انضم إلى أصحاب المسيح سنة ٣٤، وقبل وفاة الامبراطور سنة ٣٧ . ولا عبرة بما يلجأ إليه المسيحيون من المغالطة في ذلك بادعاء تاريخ متأخر عن هذا الذي ذكرنا، لردّ الشبهة عنه كعميل لطيباريوس لتحقيق رغبته في نشر هذا التعليم الذي أعجبه حتى هدد بالموت من يقاومون المسيحيين القائلين به.

«ثم إن ما استمتع به النصارى من عطف هذا الإمبراطور لم ينقطع بموته، بل اتصل فيمن بعده خلال عهدي كايوس وكلوديوس حتى جاء نيرون (سنة ٥٤). ويسجل أوسابيوس هذه الحقيقة فيقول عن نيرون:

«وعلاوة على كل هذه الجرائم **فقد كان أول إمبراطور** أعلن العداء للديانة الإلهية.

«يشهد بهذا ترتوليانوس الروماني أيضًا؛ فقد كتب يقول:

«افحصوا سجلاتكم، وفيها تجدون أن **نيرون هو أول من قاوم هذه التعاليم**».[١]

«وتلك الفترة في عهد أولئك الأباطرة الثلاثة الأولين كانت أزهى الفترات في نشاط بولس لتبشير الأمم، والقول بتأليه المسيح الناصري.

«والعجب أن موقف هؤلاء الأباطرة الثلاثة من اليهود كان على وفق ما يتمناه النصارى، وما يحلمون به، من عداوتهم ومقاومتهم، حتى كأنهم كانوا هم المدبرين لما حاق بهم في عهود هؤلاء الأباطرة الوثنيين من أذى واضطهاد!

«يحكى أوسابيوس ما وقع لليهود في عهد طيباريوس المتعصب لتأليه المسيح فيقول:

«وفي وقت حكم طيباريوس بذل «سيجانوس» الذي كان وقتئذ يحظى بنفوذ

---

(١) أوسابيوس: تاريخ الكنيسة - ك ٢ : ف ٢٥ : ٣ - ٤ .

عظيم لدى الامبراطور، كل جهد لإبادة الأمة اليهودية عن آخرها![1]

«ويحكى ما وقع لهم في عهد كايوس فيقول:

«بجانب المظالم التي لا حصر لها، التي ارتكبها ضد شعوب كثيرين، بطش بصفة خاصة بكل أمة اليهود»[2]!

«أما في عهد كلوديوس: «فقد حدثت فتنة شديدة، واضطراب عظيم في أورشليم يوم عيد الفصح، حتى هلك ثلاثون ألفًا من اليهود وحدهم»![3].

«وإن المرء ليتساءل: ما مغزى تعمد هؤلاء الأباطرة الوثنيين لاضطهاد اليهود، وهم أصحاب عقيدة التوحيد الوحيدة الباقية في العالم آنذاك، والمنكرون للمسيح ابن مريم، والرابضون بالمرصاد لدفع القول له بالألوهية؟!

«ولماذا لم يقع الاضطهاد بالنصارى في نفس الآونة، مع أنهم كانوا معتبرين آنذاك كطائفة من طوائف اليهود، أو أصحاب مذهب من مذاهبهم؟!

«الدلالة إذن واضحة، وتأليه ابن مريم ليس بالسبب المستور!!

«وإذا كان النصارى لا يفكرون في دلالة ذلك، أو لا يريدون أن يدفعهم دافع إلى التفكير فيه، فلهم ذلك؛ إلا أن غيرهم لا يستطيع أن يغمض عينيه عن الحقيقة التي لا يريدون معاينتها، وهي ظاهرة قريبة، والتي نستمدها من شواهد كتبهم كما رأينا في هذا السياق».[4]

---

(١) نفسه : ك ٢ : ف ٥ : ٧ .

(٢) نفسه : ك ٢ : ف ٦ : ١ .

(٣) نفسه : ك ٢ : ف ١٩ : ١ .

(٤) انظر كتابنا: عقائد النصارى الموحدين ص ١٧٦ - ١٧٧- ط ٣، ٢٠٠٤م، مكتبة النافذة.

وهكذا اجتمع عاملان على توجيه المسيحية منذ بواكيرها الأولى إلى تأليه المسيح:

العامل الأول: هو العامل السياسي، الذي تمثل -بوضوح- في موقف الامبراطور الوثني طيباريوس وخلفائه قبل نيرون الذي تولى سنة ٥٤، وهي فترة ليست بالهيّنة في نشاط الإمبراطور وأنصاره لصالح هذا الاعتقاد الذي «أعجبه»، وتبلغ تلك الفترة حوالي عشرين سنة.

العامل الثاني: هو العامل التعليمي الزائف والمحرّف لتعاليم المسيح ودعوته، والذي تمثل بخاصة في تعاليم بولس القائل بتأليه المسيح منذ انضمامه إلى المسيحيين سنة ٣٤، وانفرد بهذا التعليم دون سائر الرسل والتلاميذ في العهد الرسولي، والذي امتدَّ بعد المسيح إلى دمار هيكل أورشليم سنة ٧٠ .

هل كان بولس عميلاً للإمبراطور طيباريوس وخليفتيه كايوس وكلوديوس؟

سواء صح ذلك أو لم يصح، فإن التوافق بين اتجاه الإمبراطور ورغبة خليفتيه المذكورين وبين تعاليم بولس الذي علّم في روما، قد نجح في توجيه المسيحية في روما منذ تلك المرحلة الباكرة إلى وجهتها التي ترسَّخت وغلبت بانضمام الوثنيين إليها بسبب هذا العنصر الوثني الرئيس.

وهكذا نجح بولس، وما لأته الظروف، في تأسيس كنيسته بروما على هذا المعتقد الذي لم يكن قط من تعاليم المسيح، ولا أقرَّ به رسله وتلاميذه الحقيقيون.

وهكذا أيضًا صارت كنيسة روما بؤرة إشعاع للتيار الغالب في العقيدة المسيحية منذ عصرها الأول.

ورغم ما واجهته الكنائس المسيحية من صراعات على اختلاف اتجاهاتها العقائدية خلال القرنين الثاني والثالث، فلم يكد يطلّ القرن الرابع

حتى كانت الامبراطورية الرومانية هي نفسها التي تولّت رسم القسمات النهائية للعقيدة المسيحية على يد الامبراطور قسطنطين الكبير صاحب مجمع نيقية سنة ٣٢٥، والذي انتهى إلى الحسم النهائي بتأليه المسيح، ليقوم لوقته باضطهاد واستئصال كل الطوائف المقاومة لهذا الاعتقاد من النصارى المتهوّدين، أو اليهود المتنصرين، وهم النصارى الموحدون المعتقدون بأن المسيح كان مجرد نبي مرسل على سنة موسى وشريعته، ويقيمون التوراة والإنجيل معًا، وكذلك فعل بسائر من سلك على نهجهم من قبيل «آريوس» وأصحابه الذي بسببه استغلّ الإمبراطور المذكور وعميله بطريرك الإسكندرية آنذاك فرصة اختلاف آريوس معه لعقد هذا المجمع المشئوم الذي كان يدبّر له هذا الإمبراطور الداهية وعميله المذكور في سرّ وتكتم!

وقد كشف أوسابيوس القيصري المؤرخ عن هذا الاضطهاد في الكتاب الثالث من كتابه «حياة قسطنطين العظيم». ! [(١)]

لقد كان أخطر وأهم ما يتحراه قسطنطين من تأليه المسيح هو تحقيق الاستقرار السياسي للإمبراطورية، وتراءى له أن التنافر بين العقائد الوثنية للامبراطورية والعقائد المسيحية للمسيحيين الذين لا يقولون بتأليه المسيح يهدد هذا الاستقرار، ومن ثم ألقى بكل قواه كما ذكرنا ووفق المصدر المشار إليه ضد هذه العقائد المخالفة للوثنية وتأليه المسيح، وقام بتشكيل ما يسمى العقيدة «المسيحية» بما يوافق عقائد روما الوثنية، وينزع فتيل التنافر بين هذه وتلك!

ونجح قسطنطين في طمس وإبادة كل أثر عن الأصل الصحيح لدعوة المسيح!!

---

(١) أوسابيوس القيصري : حياة قسطنطين العظيم - ك ٣ : ف ١٨ - ١٩ - تعريب القمص مرقس داود -مكتبة المحبة.

روما إذن هي التي رسمت وشكَّلت قسمات تلك الديانة التي تعرف الآن باسم «المسيحية» نسبة إلى المسيح، وليس لها نصيب منه غير الاسم المفرغ من أي أثر صحيح ذي جدوى وقيمة عنه وعن دعوته الحقيقية!

روما لم تخضع للمسيح ودعوته، ولكنها أخضعت المسيح ودعوته لميراثها الوثني، وأهدافها السياسية!!

وهكذا انتهى المسيح، وانتهت دعوته، منذ تلك اللحظات الباكرة من تاريخها بفضل روما والناهجين على نهجها سواء بالعمالة لها -كما نتوقع بشأن بولس- أو عن صدفة واتفاق!

وقد بيَّنا وشرحنا ما قام به قسطنطين هذا في أكثر من كتاب من كتبنا، منها: «عقائد النصارى الموحِّدين، ومنها «شبهات مسيحية معاصرة حول الإسلام»؛ فلا حاجة بنا إلى التكرار، وما قد يتشعَّب عن ذلك ويطول ، ويخرج عن القصد الذي نتحراه.

هل عرفت إذن أيها الفاضل الكريم لماذا اختفى إنجيل المسيح، ومَن كان وراء إخفائه وإبادته؟!

سَلْ إذن بولس وأصحابه، وسَلْ أباطرة روما الوثنيين منذ طيباريوس الوثني الجهول حتى قسطنطين صاحب نيقية، ذلك الداهية الخبيث، الذي لا دين له غير دين الوثنيين من آبائه، وقد جمع بين رئاسة الكهنوت الوثني والكهنوت المسيحي معًا، وهما نقيضان لا يجتمعان معًا لو كانت المسيحية آنذاك على أصلها الصحيح (!!)، ولكن مجرد جمعه بين الكهنوتين يكشف بوضوح عما قام به من طمس وتشويه لها حتى استقامت له على النحو الذي أراد من عقائد الوثنيين!

وعندما حاولوا عند موته إثناءه عن الكهنوت الوثني ليصير خالصًا للكهنوت المسيحي وحده ككهنوت حقيقي، لم يستجب لهم قط، ولم يبال بما ادّعاه من قبل

من كونه كاهنًا للمسيحيين، ورئيسًا لكنيستهم، وأصرَّ على أن يموت على كونه كاهن الوثنيين!!(١)

اعجب ما شئت كيف شئت، لكن تلك هي شهادة التاريخ، والتاريخ لا يكذب!

لكن المصيبة الكبرى بعد ذلك كله هي في ذلك الذعر المجنون الذي يجتاح المسيحيين إذا قلت لهم ارجعوا إلى تاريخ عقائدكم، وانظروا صفحاته المحجوبة، وأعْمِلوا عقولكم وبصائركم لتروا الحقيقة التي تحجبون أبصاركم عنها؛ هنالك لا تراك أمام بشر يطلبون الحقيقة والدين الصحيح، بل أمام كائنات مغيَّبة عن أي وعي أو تعقّل، لا تلبث أن تنشب فيك براثنها القاتلة، دون مبالاة بأية قِيَم أو مُثُل، أو حقائق وبراهين!!

بدأت المسيحية في روما بتوجيه رأس السياسة فيها لتلك الدعوة الناشئة نحو المسار الوثني على يد طيباريوس وخلفائه الذين أتينا على ذكرهم من قبل، وعلى يد عميله بولس الذي كان يحمل الرعوية الرومانية وراثة عن أبيه في خدمة الامبراطورية الوثنية.

وانتهت المسيحية في روما بتوجيه رأس السياسة فيها أيضًا للطوائف المنتسبة إلى المسيحية في القرن الرابع نحو المسار الوثني نفسه، وعلى نحو أشدّ حزمًا وقوة، بيد قسطنطين الذي أوقع الاضطهاد الذي لا يحتمل بآريوس وأنصاره من أصحاب المعتقد الصحيح، وأعمل سيفه في رقاب اليهود المتنصرين، لكي لا يبقى إلا تلك المسيحية الوثنية التي شكلها حسب مراده لتكون مجرد وجه وثني جديد لعقائد قومه من قبل!!

---

(١) آندروملر: مختصر تاريخ الكنيسة من البداية إلى القرن العشرين - ج ١ ص ٢٦٤ - وانظر النص في كتابنا : «شبهات مسيحية معاصرة حول الإسلام» - ص ١٠٣ - ط ١ ، ٢٠٠٥م، مكتبة النافذة.

ترى: ماذا بقي إذن لي ولك أو لأي باحث أو محقق، أو ماذا بقي للمسيحيين أنفسهم حتى لو أنهم ارتأوا ما نذهب إليه من هذا الأمر؟!

احترق كل شيء، وبقي الرماد!!

إن الناس اليوم على تلك المسيحية السياسية ذات الطابع الوثني.

أما المسيحية الحقيقية للمسيح ابن مريم وأتباعه الأولين فلا تبحث عنها، ولا تبحث عن المسيح أيضاً، وإلا فأنت تجري وتلهث وراء سراب!!

القسم الثاني

إلحاقٌ .. وتكملة !

بين إنجيل المسيح والأناجيل الحالية

مجمل عام عن هذا الجزء من الكتاب

إنجيل. . أم أناجيل؟

الإقرار بإنجيل مع المسيح يستوجب رفض الأناجيل الحالية وإنكار القول له بالألوهية.

الرسل والتلاميذ في العهد الرسولي ظلوا على عقائدهم أيام المسيح، ولم يقولوا له بالقيامة أو الألوهية، وما تناقلوه شفاهًا أو مكتوبًا من تعاليمه هو الإنجيل الذي جاء به.

قصة «الدياطسرون» تؤكد جرأة المسيحيين على تزوير كتبهم المقدسة، وتاريخهم العقائدي، وما حاق بأناجيلهم من إفساد وتشويه.

إلحاق.. وتكملة!

لعلك تذكر أيها الفاضل الكريم أننا قد عرضنا في بعض فصول القسم الأول من هذا الكتاب لبعض الشواهد الإنجيلية، سواء من الأناجيل، أو رسائل بولس، تعطي قرائن صريحة وواضحة على أنه كان هناك أيام المسيح ما يُعرف بأنه «إنجيل المسيح». فنرى بولس مثلاً، وقد كتب رسائله قبل سائر الأناجيل يصرح باسم إنجيل المسيح هذا في رسالته إلى الغلاطيين حيث يقول: «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر؛ غير أنه يوجد قوم يزعجونكم، ويريدون أن يحوّلوا - إنجيل المسيح . . » [غلاطية ص ١ : ٦ - ٧].

فهنا يشير بولس إلى ما سماه «إنجيل المسيح»، ويشير أيضًا إلى أنه لا يوجد إنجيل آخر خلاف هذا الإنجيل فيقول: «. . تنتقلون . . . إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر»!

إذن هناك إنجيل واحد يسميه بولس «إنجيل المسيح»، وليس معه أو بعده إنجيل آخر يُنسب لغير المسيح.

ورغم صراع بولس مع الرسل والتلاميذ الحقيقيين بشأن هذا الإنجيل الواحد؛ إلا أنه لا يلبث أن يعود إلى الإقرار بصحة هذا الإنجيل الذي يقول به بطرس وسائر التلاميذ، ولكنه يريد منهم مع ذلك أن يقروا بحقه في التبشير بإنجيله الذي ابتدعه هو لتبشير الأمم.. ويزعم لذلك أن إنجيله هذا ليس من تعليم إنسان له إياه، بل هو من وحي وإعلان إلهي خاص ليقوم بذلك، فيقول بمناسبة

«يمين الشركة» الذي عقده معهم ليكون هو للأمم وهم للختان - أي لليهود: «فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا عليَّ بشيء؛ بل بالعكس، إذ رأوا أني اؤتمنت على **«إنجيل الغرلة»** كما بطرس على **«إنجيل الختان»**، **فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيَّ أيضًا للأمم. .»** [غلاطية ص ٢ : ٦ - ٨].

فنجد هنا إقرارًا من بولس بأن بطرس مؤتمن على إنجيل الختان الخاص باليهود، أي إنجيل المسيح، وهو بالتالي مؤتمن على ذلك من المسيح ذاته. أي أن تعليم بطرس تعليم صحيح نقلاً عن المسيح.

ونحن هنا أيضًا نجده يحاول إقناعهم بأن المسيح قد تراءى له في رؤيا، وأذن له أن يبشر الأمم بإنجيل علَّمه إياه، فيقول: «**فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيَّ أيضًا للأمم**»؛ أي هو يقرُّ بصحة إنجيل الختان، أي إنجيل المسيح، الذي يتمسك به بطرس والتلاميذ في مقابل الإقرار منهم بحقه في اصطناع إنجيل خاص به لتبشير الأمم حسب رأيه واعتقاده. ويتمثل إقراره بصحة إنجيل المسيح الذي مع بطرس والتلاميذ في قوله: «فإن الذي عمل في بطرس . . . عمل فيَّ أيضًا . . »؛ فاستشهاده بأن الذي عمل في بطرس قد عمل فيه هو أيضًا لا يجوز له أن يحتج به ما لم يكن عن إقرار ويقين منه بصحة ما يقول به بطرس ورفاقه من نقلهم لتعاليم المسيح الحقيقية؛ وإلا لو كانوا كاذبين للزمه أن يكون هو أيضًا كاذبًا مثلهم، وهو لا يرضى لنفسه أن يوصم بالكذب وإن كان كاذبًا!!

ثم نجد بولس بعد ذلك يذكر شاهدًا آخر في رسالة كورنثوس الأولى بأن المسيح كان معه إنجيل أمر أتباعه أن ينادوا به فيقول: «هكذا أيضًا أمر الربّ [أي المسيح] : أن الذين ينادون «**بالإنجيل**» من الإنجيل يعيشون». [كورنثوس الأولى ص ٩ : ١٤].

فإذا بحثنا عن ذلك الشاهد وجدناه في توجيهات المسيح لرسله الاثنى عشر عندما أرسلهم يبشرون بالإنجيل في أرجاء إسرائيل أيام حياته حيث ورد ذلك في إنجيل متى حين قال لهم: «لا تقتنوا فضة ولا ذهبًا ولا نحاسًا في مناطقكم، ولا مزودًا للطريق، ولا ثوبين، ولا أحذيه، ولا عصا؛ **«لأن الفاعل مستحق طعامه»**. .».[متى ص ١٠ : ٩ - ١٠]؛ يريد **«بالفاعل»** المبشر بإنجيل المسيح.

ويتضح من المقارنة بين عبارة بولس وعبارة كاتب متى: **«لأن الفاعل مستحق طعامه»**، أن عبارة بولس أوثق في الدلالة على استخدام المسيح لفظ **«الإنجيل»** كاسم يسمى به تعليمه ووصاياه؛ وعبارة بولس بذلك أكثر دقة وصوابًا من عبارة كاتب متى الذي كان يتجنب استخدام اسم **«الإنجيل»** على لسان المسيح لأسباب سنعلمها من بعدُ في هذا القسم الثاني من الكتاب!

هذه إذن شهادات ثلاث من بولس بإنجيل كان مع المسيح، وأنه كان يسمي تعليمه ووصاياه باسم **«الإنجيل»**، وهو ما يخالف سائر ما يدّعيه المسيحيون من أن الإنجيل هو ما كتبه أتباعه عن سيرته وأقواله وأفعاله، بعد أحداث القبض والصلب والقيامة بهدف الكشف عن إلهيته المزعومة، وأنه لذلك -حسب دعواهم- هو موضوع الإنجيل وجوهره، وليس هو المتحدث به، والمعلم إياه لأتباعه. فمن ثم هو في نظرهم لم يأت بإنجيل، بل كُتب من بعده الإنجيل، وأن ذلك كان بيد أتباعه بعد رحيله، كتذكار للخبر السارّ الذي زعموه بتجسد الإله في صورة إنسان هو يسوع الناصري الملقّب بالمسيح، ليقدم الفداء، ويحقق الخلاص من نير الخطيئة والناموس!

إنجيل المسيح إذن كان قائمًا أيام المسيح بشهادة بولس، وليس ما كتبه آخرون عنه بعد رحيله، من أتباعه أو غير أتباعه، وإن سموا ذلك بأنه الإنجيل خداعًا للناس، وتلبيسًا على المعتقدين به.

على أن أقوال بولس وحدها ليست ما نحتج به فقط، بل هنالك أيضًا شواهد من الأناجيل التي بين أيديهم بأن الإنجيل كان هو التعليم الذي تحدث به المسيح وكلَّفهم به. بل نحن نعتقد أيضًا أنه هو نفسه الذي استخدم اسم «الإنجيل» في صيغته اليونانية - اللغة العالمية السائدة آنذاك- متعمدًا ذلك، رغبة منه في إفراد تعليمه ووصاياه، أو جملة رأيه ومذهبه، باسم مميَّز، لا يشتبه بأسماء ومشتقات تتضارب في دلالاتها من لغة قومه العبرانية أو الآرامية. ومن ثم يكون قد اشتقَّه أو نحته من الأصل اليوناني «أُوانجليون Euaggelion، أو «إيڤانجيل» evangel، وكلاهما بمعنى المذهب أو المبدأ، وما في دلالتهما، سواء في الدين، أو السياسة، أو غيرهما؛ أو أن يكون قد اختار مختصرهما «آنجيل» Angel، بمعنى البشارة، أو الخبر السارّ.

يتبيَّن لنا هذا من شاهد ورد بإنجيل مرقس حيث يقول المسيح: «وينبغي أن يُكرز أولاً بالإنجيل. . »، [ص ١٠ : ١٠]، فهنا نراه يتحدث عن شيء قائم آنذاك وهو «الإنجيل» والذي يكلِّف أتباعه بوجوب التبشير به. وليس هناك شيء قائم آنذاك ليلزمهم به إلا تعليمه ووصاياه. وهذا إذن هو المدلول الدقيق لمعنى الإنجيل.

بل إنه يؤكد أيضًا هذه الدلالة بدقة أكثر في شاهد آخر عن المرأة التي سكبت عليه قارورة الطيب، فيقول في إنجيل مرقس: «الحق أقول لكم: حيث يُكرز «بهذا الإنجيل» في كل العالم، يُخبَّر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها». [ص ١٤ : ٩].

فقوله: «بهذا الإنجيل» فيه إشارة واضحة أشدّ ما يكون الوضوح باستخدام لفظ الإشارة «هذا» مقرونًا بلفظ «الإنجيل» كمشار إليه به أنه يعني بالإنجيل جملة تعاليمه ووصاياه آنذاك لحظة حديثه وتعليمه، وليس مشيرًا به إلى شيء يستجدّ من بعده، ويسمى بذلك، كما يدعي المنتسبون إليه. وقد نقل متى هذه

الشهادة من مرقس بحرفها [ص ٢٦ : ١٣] ، ولا عبرة لدينا بعبارة **«في كل العالم»** في كلا الإنجيلين، لأنها مضافة في القرن الرابع، وهي تناقض تعاليمه وحكمته في وجوب قصر البشارة بتعليمه على بني إسرائيل وحدهم.

المسيح إذن قد استخدم لفظ «الإنجيل» اسمًا صريحًا ومحدّدًا لمذهبه وتعليمه. ومن ثم يتعارض ذلك تمامًا مع ما يدّعيه المسيحيون من أن الإنجيل هو ما كتبه أتباعه من بعده عن سيرته وتعاليمه بهدف إظهار لاهوته المزعوم الذي انكشف على قولهم بحادث القيامة حيث لم يكن معلومًا من قبل أيام حياته.

على أن بعض هواة العنت والانتقاد قد يتراءى لهم الجدل والمراء، واللجوء إلى تخريجات واهية لبعض ما أوردنا من تلك الشواهد التي ذكرنا. ومن ثم لم يبق إلا أن نأتيهم بشواهد أشدّ وضوحًا وحسمًا في إظهار اهتمام المسيح نفسه بما سماه **«الإنجيل»** إذْ يربط في الدعوة بين الإيمان بشخصه والإيمان بالإنجيل الذي أمر أتباعه في إرساليته لهم أثناء حياته إلى أرجاء إسرائيل أن ينادوا به. فذكر ذلك إنجيل مرقس على لسان المسيح على نحو من الثنائية والارتباط بينه وبين الإنجيل، حيث لا يتخلف أحدهما عن الآخر أو ينفكّ عنه، سواء في الوقت، أو في الوجود والاعتبار.

وقد جاء الشاهد الأول في إنجيل مرقس في حديثه عن أهمية الإنجيل هكذا: «وبعد أن أُسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا، وآمنوا **بالإنجيل**». [ص ١ : ١٤ - ١٥].

فالمسيح هنا هو الذي يدعو إلى الإيمان بالإنجيل، ويأمر الاثنى عشر أيضًا أن ينادوا بذلك الإنجيل. ولا يعقل أن يفعل المسيح هذا، ويأمر الاثنى عشر أن ينادوا به معه أثناء حياته لو كان الإنجيل هو ما كتبه أتباعه عنه بعد القبض والصلب

والقيامة وانكشاف اللاهوت المزعوم بشأنه، إذْ كيف ينادون بشيء لم يكن بعدُ، ولا يدرون كيف يكون؟!!

أما الشاهد الثاني فقد جاء أيضًا هكذا على لسان المسيح: «فإنه من أراد أن يخلّص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي، ومن أجل «**الإنجيل**» فهو يخلصها». [ص ٨ : ٣٥].

يريد أن الخلاص ليس به وحده، بل به وبالإنجيل الذي ينادي به معًا.

ثم يأتي الشاهد الثالث والأخير هكذا: «فأجاب يسوع وقال: الحق أقول لكم: ليس أحد ترك بيتًا أو إخوة أو أخوات، أو أبًا أو أمًا، أو امرأة أو أولادًا، أو حقولاً، لأجلي، **ولأجل «الإنجيل»**، إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان». [ص ١٠ : ٢٩].

وهنا نرى أيضًا تلك الثنائية بينه وبين الإنجيل حالَّة قائمة أثناء حياته، لا تنفكّ بينه وبين الإنجيل، ولا تتخلف بالإنجيل عن لحظات حياته وتعليمه، ولا يسهو أو يتغاضى عن ترديد الربط بينه وبين الإنجيل معًا لحظة النطق بذلك، مثلما يربط بينه وبينه أيضًا بالعمل والاعتقاد.

لذلك عندما استوجب الأمر أن نكتب دراسة، كتلك التي قمنا بها من قبل في عمل سابق، كتقديم لنشرتنا للنسخة العربية لكتاب «الدياطسرون» كان من الطبيعي أن ندلف مباشرة إلى هذه الشواهد الثلاث من إنجيل مرقس لما تتسم به من منطوقات مباشرة وصريحة، اختصارًا للقول، ودرءًا للشغب الأهوج، ووصولاً إلى الهدف المقصود بتلك الدراسة الموجزة.

ومن ثم استوجب الأمر أيضًا، ونحن نتحدث عن السبب الذي لأجله اختفى إنجيل المسيح، أن نلحق تلك الدراسة التي قدمنا بها لكتاب الدياطسرون السابق ذكره كقسم ثان من هذا الكتاب بفصول القسم الأول من كتابنا هذا «لماذا اختفى

إنجيل المسيح» كتطبيق عملي يؤكد بالشواهد الصحيحة من إنجيل مرقس هذه التي ذكرناها منذ قليل، وبالقرائن مما عرضنا له من موقف أو مسلك كل من كاتبي متى ولوقا في تجنب ذكر إنجيل المسيح، نقول كان من الضروري أن نؤكد من ذلك أن السعي إلى إنكار إنجيل جاء به المسيح إنما يكمن وراءه سبب عقائدي مصطنع بعد المسيح، ومناقض لدعوته، ويؤكد أيضًا ما ذكرناه في القسم الأول من هذا الكتاب عن أسباب وعوامل توثين المسيحية بتأليه مسيح الناصرة، وهو براء من ذلك الادّعاء حسب إقراراتهم فيما ذكرنا من كتبهم من قبل.

لذلك ألحقنا تلك الدراسة كاملة بهذا الكتاب رغم أن فيها حديثًا عن الدياطسرون، لكننا أبقينا عليه، لأنه يشهد كيف كان حال الأناجيل أيام وضع طاطيان كتابه «الدياطسرون» الأصل الأول الحقيقي آخر القرن الثاني، وما حاق بتلك الأناجيل من وجوه الإفساد والتشويه، وسائر سبل الطمس والتحريف في القرنين الثاني والثالث. وبطبيعة الحال، كان وراء إخفاء إنجيل المسيح ، ثم تتابُع الإفساد والتحريف للأناجيل التي كتبوها بأنفسهم كان وراء ذلك كله يد وثنية جاحدة لكل أصل يمتّ إلى المسيح وإنجيله بصلة أيّاً كانت هيّنة يسيرة لا تتوافق مع تلك الوثنية المظلمة.

فليأذن لنا القارئ الكريم إذن بإلحاق تلك الدراسة بما تقدم من فصول هذا الكتاب، وإن اختلف النسق والسياق في ظاهره، لكن لم يختلف الأصل والجوهر بين قسميه في الشهادة والأداء على ثبوت الأدلة والقرائن الصحيحة بإنجيل كان مع المسيح أثناء حياته، ينادي به، ويدعو إليه، ويعلّمه أصحابه وأتباعه، ويسميه بذلك الاسم الذي كان من صكه واختياره.

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة وتقديم
للنسخة العربية لكتاب
«الدياطسرون»

بقلم: حسني يوسف الأطيْر

مؤلف كتاب «الدياطسرون» في نصه الأصلي أواخر القرن الثاني بعد المسيح هو الفيلسوف المسيحي السرياني الأصل «طاطيان Tatian». والمعلومات بشأنه متضاربة حول تواريخ ميلاده، وتنصّره، وتأليفه لكتابه المذكور، ثم وفاته.

على أن هناك شبه اتفاق بين ثقات الباحثين أنه قد وُلد حوالي سنة ١٢٠ م . ثم سافر إلى روما فيما بين سنة ١٥٠ وسنة ١٦٠ دون تحديد، حيث يلتقي هنالك بمعلّمه يوستينوس الشهيد. Justin Martyr، والذي تنّصر على يده. وقد توفي هذا حسب أغلب المصادر حوالي سنة ١٦٥ . ويبدو من بعض المصادر أنه بعد وفاة معلّمه المذكور ضاقت به السبل، وتعرّض للمتاعب، فآثر العودة إلى وطنه، حيث قيل بعودته سنة ١٧٢؛ وفي ظني أن احتمال عودته قبل ذلك قد يكون أوفق!

ورغم أن طاطيان قد شهر ببعض المؤلفات التي وضعها دفاعًا عن المسيحية، وأبرزها كتابه «خطاب إلى اليونانيين»، الذي هاجم فيه الحضارة اليونانية، مدافعًا عن موسى في العهد القديم، والارتباط بين اليهودية والمسيحية، واتّسم أسلوبه فيه بالعنف الشديد؛ إلا أن كتابه الأوحد والأهم الذي ارتبطت به شهرته من بعد كان هو «الدياطسرون»، الذي قام فيه بتنسيق رواية واحدة متصلة من

روايات الأناجيل الأربعة المعتمدة، والذي نرجح أنه كان حوالي سنة ١٧٥؛ حيث كان قد استشعر بعد عودته من روما الحاجة الماسّة لمواطنيه المسيحيين لعمل يقرّب إليهم استيعاب أخبار المسيح وتعاليمه، يخلو من إشكالات التعارض والاختلاف في روايات الأناجيل الأربعة، وما تسبّبه لهم من معاناة من جهة خصومهم؛ فوضعه لهم، وانتشر هنالك في أول ظهوره في سوريا انتشارًا واسعًا، ومنها إلى سائر المشرق على درجات متفاوتة حسب موقف الكنائس. ثم تبدّل الحال بعد ذلك ضدّه، خاصة في القرن الثالث!

على أية حال، نمضي إلى دراستنا على شطرين:

الأول: نشأة الأناجيل.

الثاني: قضية الدياطسرون وصاحبه طاطيان.

أولًا: نشأة الأناجيل

إنجيل.. أم أناجيل؟!

نعم. إنجيل أم أناجيل؟!

سؤال لا يأتي عفوًا، ولا من قبيل الترف الفكري، أو الرغبة في التسلية، أو تزجية الوقت، وشغل الفراغ؛ بل يحمل مغزى عميقًا لأهل الرأي والفطنة، عن لُغز كبير امتدّ لقرابة عشرين قرنًا من الزمان، أمام سائر الباحثين والعلماء المهتمين بدراسة الدين المسيحي، وأصل أو حقيقة الكتاب الذي يدّعيه المسيحيون، ويحمل اسم «**الإنجيل**»!

نعم. كان هذا السؤال هو الشغل الشاغل، والصداع الذي لا يزول، من رؤوس هؤلاء الصفوة من أهل الفكر والنظر، وإن خالسهم على وجوه مختلفة، وصيغ متبّاينة!

وليس الجواب سهلًا ولا قريبًا، وإلا ما بلغ الأمر ما بلغ من المعاناة والمشقة، وما هنالك من قلق وحيرة، وعواقب ذلك الجواب، وهي مخيفة وصادمة، لو جاء بخلاف ما درج عليه المسيحيون من اعتقاد، وما روّضتهم عليه الكنيسة «المقدسة»(!!) من التسليم بما تمليه عليهم في هذا الشأن!

والحق أن الجواب على هذا التساؤل يبلغ خطره الأكبر لأنه مطروح من ديانتين كبيرتين تؤمنان بالمسيح ابن مريم، وإن اختلف منظور كل من الديانتين في الإيمان به ومن ثم لا يصير بإمكانك أن تجيب على ذلك التساؤل أو السؤال بشأن الإنجيل: أهو إنجيل واحد، أم أكثر من إنجيل، مالم تبدأ أولًا بالتساؤل عما تعنيه كل من الديانتين المسيحية والإسلامية بمعنى «**الإنجيل**»!

مفهوم الإنجيل بين المسلمين والمسيحيين

لو سألت المسيحيين عما يعنونه بهذا «الإنجيل»: لأجابوك بأنه ذلك الكتاب الذي وضعه بعض رسل المسيح، أو بعض تلاميذه، عن أخباره وتعاليمه وعجائبه، بقصد الكشف والإظهار لألوهيته. اي أن المسيح هو إله الإنجيل وموضوعه وجوهره. أي أن الإنجيل على هذا المعنى هو كتاب لابدّ أن يكون من وضع آخر، أو آخرين، غير المسيح، وإنما من تلاميذه وأتباعه الذين شهدوه، أو من تلقّى مباشرة عمن شهدوه.

الإنجيل إذن ليس كتابًا جاء به المسيح مُوحىً به إليه من الله، كما جاء موسى مثلًا بأسفاره الخمسة التي تُدعى «ناموس موسى». أو كما جاء داود ببعض الصحائف التي يسمونها «المزامير» ويسميها القرآن «الزبور»! يقول أحد كُتّاب الكنيسة في بيان ذلك:

« .. وبهذا المعنى ليست المسيحية «دين كتاب»، وليس المسيحيون «أهل الكتاب»، لأن محور المسيحية شخص لا كتاب، وإيمان بشخص لا بكتاب. فتعدّد الأناجيل والكتب المقدسة يمنع من الوقوع في عبادة كتاب. فهناك إذن شخص واحد، وهناك إنجيل (أي بُشْرى) واحد. وهناك تعليم واحد. وهناك حدث واحد هو موت وقيامة يسوع المسيح.

«الإنجيل يروي أقوال يسوع المسيح وأعماله وأحداثه مرتبطة بالقصد اللاهوتي..»

«الإنجيل عبارة عن شهادة إيمانية، بمعنى أن الدافع الذي يدفع الإنجيلي إلى كتابته هو إيمانه بشخص يسوع المسيح، ابن الله، الحيّ بعد موته..» [١]

---

(١) الأب فاضل سيداروس اليسوعي: تكوين الأناجيل - ص ٤٢ - سلسلة دراسات في الكتاب المقدس (١٨) - دار المشرق - بيروت.

ومن ثم يقول هذا الكاتب الكنسي: «.. فليس الكتاب المسيحي كتابًا منزّلًا كتبه الله، بل هو كتاب كتبه بشر بإلهام الروح القدس...» (١)

أما إذا سألت المسلمين فيقولون لك: «الإنجيل» وَحْيٌ أنزله الله تعالى على المسيح ابن مريم، وعُرف بهذا الاسم كما عُرف ما جاء به موسى باسم: «كتاب موسى» في القرآن، أو «الناموس» عند اليهود والمسيحيين، أو باسم «التوراة» على صفة التعميم لما جاء به موسى وخلفاؤه؛ أو ما عُرف به عن وحي إلى داود في بعض الصحف باسم «المزامير» عند اليهود والمسيحيين، أو باسم «الزبور» في القرآن. وكما جاء إبراهيم قبل هؤلاء جميعًا بما يسمى في القرآن «صحف إبراهيم».

فإذا سألت المسيحيين: حسب تعريفكم للإنجيل هل يتعدّد؟ أجابوك: وما الذي يمنع أن يتعدّد، ويصير اثنين وثلاثة وأربعة، والذين يكتبونه هم من رسل المسيح وتلاميذه، ويتحدثون عنه من وجوه متعدّدة؟! إن التعدّد يستكمل جوانب الصورة والدلالة فلا حرج في تعدّد الأناجيل. يقول الكاتب الكنسي السابق ذكره: «دُوّنت الأناجيل «الأربعة» بسلطة الرسل. فنحن نعلم أن مرقس كان تلميذ بطرس، ولوقا تلميذ بولس. وهذا لا يمنع من أن يكون إنجيل متى قد أصدره تلاميذه بعد «إضافات» [!!] ؛ إذْ نُذَكّر بوجود متى الآرامي ومتى اليوناني؛ ولا أن يكون تلاميذ يوحنا قد أصدروا إنجيله إذْ أن الفصل (٢١) «مضاف» [!!] شأن نهاية إنجيل مرقس. وتعود أهمية الصفة الرسولية.. للأناجيل إلى أن «الإنجيليين» عايشوا يسوع الناصري (ماعدا بولس)؛ بل عاينوه قائمًا - [يعني من الموت] - إذْ ظهر لهم (بما فيهم بولس). ونستنتج من هذا أن رسولية الأناجيل تثبت بصفة قاطعة أنها لم تكتب مؤخرًا، ولا خارج سلطة الرسل..» (٢).

---

(١) نفسه: ص ٥ .

(٢) نفسه: ص ٦٢ - ٦٣ .

ثم يقول: «ونستخلص من ذلك أن قانوية الأناجيل الأربعة تعتمد على رسوليتها؛ أي أن الكنيسة اعترفت بأن الروح القدس قد ألهمها، رغم ما طرأ عليها من إضافات أو تغييرات..» [١].

وإذا سألت المسلمين نفس السؤال أجابوك أن جملة ما يوحى به الله تعالى كوحي مباشر من لدنه إلى نبي من أنبيائه كتنزيل خاص به بمسمى معيّن، من قبيل تسميته «القرآن» في وحي محمد، أو «الناموس» في وحي موسى، هو وحي واحد، وتعليم واحد، وكتاب واحد، سواء جاء ذلك جملة واحدة، أو مفرقًا ومنجمًا على فترات؛ إذْ العبرة بوحدة التعليم، ووحدانية الذي يُوحي إليه بذلك، أي النبي أو الرسول. ومن ثم لا يجوز في نظر المسلمين أن يقال إن للمسيح أكثر من إنجيل واحد، كما لا يجوز أن يقال إن لمحمد أكثر من قرآن واحد، أو أن لموسى أكثر من كتاب واحد، هو الشريعة أو الناموس، بأسفاره الخمسة، أو أن لداود أكثر من زبور.

فإذا عدنا إلى المسيحيين نستفسرهم: ولِمَ لا تقولون إن الإنجيل وحي أُنزل على المسيح، كما أُنزل الناموس على موسى، والزبور، أي المزامير على داود، وغيرهما من قبل ومن بعدُ؟ أجابوك بما فحواه أن في الوحي إلى من ذكرت وغيرهم ثلاثة أمور:

الأول: مصدر الوحي، أي الذي يُوحِي به.

الثاني: مُستَقبِل الوحي، أي الرسول أو النبي الموحى إليه.

الثالث: الوحي نفسه، أي التعليم الإلهي المنزل من الأعلى إلى الأدنى.

أي هناك طرفان: أحدهما أعلى، وهو مصدر الوحي، والآخر أدنى، مُعْوز ومحتاج إلى هداية الوحي، وهو الرسول أو النبي المُوحَى إليه. فإذا كان ذلك، فهلَ

---

(١) نفسه: ص ٦٣ .

هنالك مَن هو فوق الإله حتى يُوحِي إليه؟!!

فإذا سألتهم ما يعنون بهذا التساؤل؟ أجابوك بأن المسيح هو الإله؛ فمن ذا يكون إذن فوق هذا الإله حتى يُوحى إليه؟!!

الاعتقاد بشأن المسيح هو سبب النفي أو الإقرار بإنجيل كان معه

وهنا مربط الفرس كما يقال!

أي أن هنالك سرًا رهيبًا يرتبط بجوهر الاعتقاد قائم هنالك وراء القول بأن للمسيح إنجيلًا مُوحىً إليه به، أو أنه لم يُوحَ إليه قط بإنجيل أو غيره.

ذلك السرّ الرهيب هو اعتقاد المسيحيين القاطع بالألوهية للمسيح!

ومن ثم فقول المسلمين بإنجيل للمسيح، أُوحِي إليه به، مرفوض تمامًا من جانب المسيحيين لقولهم بألوهيته، وفي مقابله يكون المسلمون على خلاف ذلك الاعتقاد المسيحي فيما يقولون بإنجيل أُنزل على المسيح ابن مريم الناصرية!!

من هنا إذن تبدأ قضية الإنجيل.

المسيح جاء بإنجيل معه بشهادة أكبر تلاميذه بطرس

وهنا أيضًا نتريث قليلًا لنوجه الحديث إلى أصحاب الإنجيل، فنقول لهم:

قد رأينا أنكم تذهبون إلى أن يسوع الناصري، أي المسيح ابن مريم الناصرية، الذي قال اليهود عن أمه مريم، وعن أصله ونسبه ما تعلمون، ليس له إنجيل مُوحىً به إليه من الله تعالى، لأنه في نظركم إله يُوحِي إلى غيره، ولا يُوحىَ إليه من إله فوقه، فكيف نجد في الإنجيل الذي بين أيديكم أن بطرس رأس رسل

المسيح يشهد بأنه كان معه إنجيل يدعو إليه، ويبشرّ به، ويجعل شرط الإيمان الصحيح أن يكون به وبالإنجيل أيضًا، وإلا لم يصح الإيمان به من دون الإيمان بذلك الإنجيل الذي معه؟ وإليكم هذه الشواهد من شهادة بطرس أكبر رسل يسوع والمقدم على جملتهم:

يقول مرقس في إنجيله: «وبعد أن أُسلم يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا، وآمنوا - **بالإنجيل»**. [ص ١ : ١٤ - ١٥].

فإذا كان يسوع على قولكم هو موضوع الإنجيل، وأن الإنجيل قد وُضع لإظهار إلهيته، وتبليغ تعاليمه ومدهشاته، فلا يجوز أن يوجد الإنجيل إذن إلا من بعده، خاصة وأنتم تقولون إن رسله وتلاميذه المقربين، هم أنفسهم لم يدركوا ألوهيته المزعومة عندكم إلا بعد القيامة، أي بعد أن ذاق الصلب والقتل والموت؛ ومن ثم فلا يكون هنالك إدراك للاهوته العجيب، ولا مبرر لوجود الإنجيل، ورواية تلك الأخبار المدهشة والرائعة قبل تلك القيامة المجيدة؛ فكيف إذن يدعو يسوع بني شعبه للإيمان بالإنجيل، والإنجيل لم يُكتب بعدُ، لأنه لم يُصلب بعدُ، ولم يُقتل بعدُ، ولم يقم من القيامة بعدُ، ولم تثبت ألوهيته بعدُ؟!!

ثم ماذا عساه كان يقول لو جاءه بعض الناس فسألوه: ما هذا الإنجيل الذي تدعونا إليه، وماذا علينا بشأنه؟! أترونه يقول لهم: انتظروا حتى أُصلب كرجل مجرم، وأموت على الصليب، وأُدفن، ثم أقوم حيًا، ويكتب لكم أتباعي في ذلك؟! ولو كان ذلك، ألا ترونهم يقولون له: حسنًا يا معلم؛ ثم ينقضّون عليه، ولا ينفضّون عنه إلا جثة هامدة بلا رَمَق من حياة، لهزئه بهم، وسخريته منهم، لو كان الإنجيل هو على ما تزعمون؟!!

إما أن هذا الشاهد من إنجيل مرقس كاذب، فيكون إنجيل مرقس كاذبًا، مع أنه من أناجيلكم المعتمدة، أي المسلّم بصحتها وصدقها، وبالتالي ينسحب ذلك

على مَن أملاه وهو بطرس الرسول رأس الرسل رغم المتعصبين ضدّه منهم، وينسحب ذلك بالتالي على الأناجيل الأخرى التي تَقَرّون بها؛ وإما أن الخبر صادق، فيلزم أن تخبرونا ما هذا الإنجيل الذي كان المسيح حسب مرقس يدعو الناس للإيمان به، إذْ أنه واضح أن هذا الإنجيل ليس هو المسيح، بل هو شيء آخر غير ذاته وشخصه، وهو الذي ينادي به، ويدعو إليه؛ فهل ينادي ويدعو لشيء موجود أم لشيء غير موجود؟! هل هو شيء مضاف إليه فيدعو إليه بذكره وتحديده، أم أنه هو ذاته وشخصه فيكفي أن يدعو للإيمان بشخصه وذاته على ما يدّعيه من شأنه وأمره؟!

على أنه قد يبدو للبعض أن يلتمسوا العذر للمسيحيين الذين قد يتساءلون: أين تلك الثنائية التي يدّعيها هذا الرجل بين يسوع والإنجيل، هَلاّ يأتينا في الكنيسة لنصلي عليه ليبرأ من سقمه، وتدركه نعمة المسيح، كما اقترحوا من قبل أيام الشباب لمرض كنت أعاني بسببه؛ فأقول إذن فإليكم شاهدًا آخر:

يذكر مرقس على لسان المسيح في تعليمه لتلاميذه أنه قال: «فإنه مَن أراد أن يخلّص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من «أجلي»، ومن «أجل **الإنجيل**»، فهو يخلّصها». [ص ٨: ٣٥].

فها هي نفس الدلالة تتكرر على لسان المسيح ذاته، وبوضوح لا يقبل الجدل أو التأويل أنه يدعوا إلى أمرين، لا أمر واحد للإيمان بهما معًا: أحدهما المسيح، والآخر الإنجيل؛ فهما إذن شيئان لا شيء واحد. فهناك عمل من أجل المسيح، وهناك عمل آخر من أجل شيء آخر أسماه «الإنجيل»!

كذلك يكرر مرقس، وعلى لسان المسيح أيضًا، نفس الدلالة والثنائية بشأنه وشأن الإنجيل في تعليم آخر لتلاميذه فيقول: «فأجاب يسوع وقال: الحق أقول لكم: ليس أحد ترك بيتًا، أو إخوة أو اخوات، أو أبًا أو أمًّا، أو امرأة أو أولادًا، أو حقولًا، «لأجلي»، **ولأجل الإنجيل**» إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان».

[ص ١٠ : ٢٩].

فهنا ثنائية أيضًا واضحة صريحة بأن هناك أمرين اثنين يلزم الإيمان بهما: أحدهما المسيح المتكلم بهذا الكلام الذي ذكره إنجيل مرقس، والآخر الإنجيل الذي يدعو إليه، ولا يفتأ يدعو إليه، ولا يملّ من الدعوة والتكرار في ذكره، والنداء بشأنه. فلو كان المسيح هو موضوع وقضية الإنجيل وجوهره لاكتفى بالدعوة للإيمان بذاته فحسب دون ذكر هذا الآخر، لأنه سيكون ثمرة له، وانعكاسًا لأمره، ويتكون من بعده كتراكم لأثاره وأعماله. أما هذه الثنائية منذ بداية أمره فإنما تعني أن هنالك وصايا وتعاليم معه هو مكلّف بتبليغها للناس. وهذا فعلًا ما يشير إليه كاتب لوقا حيث يذكر عنه في حديثه لتلاميذه: «فقال لهم: إنه ينبغي لي أن أبشّر المدن الأخرى أيضًا بملكوت الله، «**لأني لهذا قد أُرسلت**». فكان يكرز في مجامع الجليل» [ص ٤ : ٤٣ - ٤٤].

هناك إذن شيء يختص بما أسماه المسيح «ملكوت الله» هو مكلّف بتبشير الناس به، أي إبلاغه إليهم وتعليمه إياهم ، ويؤكد على ذلك بالإقرار بأنه مُرسل من قِبَل الله تعالى لهذا الغرض بالذات.

وهذا أيضًا يشير إليه كاتب متى فيقول: «وكان يسوع يطوف كل الجليل «**يعلّم**» في مجامعهم، ويكرز «**ببشارة**» الملكوت» [ص ٤ : ٢٣].

فنلحظ من نص لوقا إشارة المسيح إلى كونه مكلّفًا من مصدر أعلى بتبليغ «رسالة»، ويحرص على الوفاء بذلك، والاجتهاد في أداء تلك المهمة.

ونلحظ في نص متى أنه كان يطوف في كل أرجاء الجليل «يعلّم» في مجامعهم. والتعبير بلفظ «يعلّم» أقوى وأوقع في الدلالة على أن معه شيئًا ضروريًا يقوم بتعليمه للناس، فضلًا عن كون متى لم يكتف بالإشارة إلى ما يقوم به يسوع من تعليم، أي نقل العلم إلى الآخرين، وإنما يضيف أيضًا أنه كان «يكرز «ببشارة» الملكوت» فإذا ذكرنا أن لفظ «بشارة» هو المعنى الحرفي للفظ «إنجيل» المستعار من اللغة اليونانية صار لدينا قرينة قوية بقصد كاتب متى رغم التلاعب

بالألفاظ إلى دلالة «الإنجيل» الذي ذكره مرقس، ولسببٍ ما يتحاشى لفظ «الإنجيل»!

باختصار هنالك شيء ما مع المسيح كان يبلّغه للناس لأنه حسب قوله في لوقا قد «أُرسل» لذلك!

لماذا تجنب متى ولوقا ذكر إنجيل مع المسيح

لكن ، لا يفوتنا مع ذلك أن ننبِّه أن كاتبي متى ولوقا قد تجنبا، وبحرص شديد، أي ذكر للفظ «**الإنجيل**» مباشرة على لسان المسيح، بخلاف مرقس الذي كرر هذا اللفظ على لسانه ثلاث مرات، كما ذكرنا من قبل؛ فما عسى أن يكون السبب في ذلك؟

هنا يأتي الجواب من العلماء المحدثين والمعاصرين الذين ذهب الغالبية الكبرى منهم إلى أن إنجيل مرقس كان أسبق في التدوين من إنجيلي متى ولوقا وأن كُلًا من كاتبي متى ولوقا الحاليين قد نقلا عنه، لكنهما قاما بتعديل وتحوير بعض ما ذكره بشأن المسيح، حيث كان يبدو لهما من أسلوب مرقس ما يدلُّ على ضعف المسيح وعجزه ومحدوديته؛ ويتناقض مع رغبتهما في ادِّعاء الألوهية له. فعملا على استدراك ذلك، وحوَّرا في الصيغة والمضمون بما يخدم غرضهما في تأليه المسيح وتعظيم قدرته وعجائبه.

يقول وليم باركلي المفسر المعاصر في تفسيره الشهير للعهد الجديد ملخصًا هذا المعنى: «وإذْ نبدأ دراسة الأمر بأكثر تدقيق، نجد أن هناك أسبابًا تحملنا على الاعتقاد بأن «**بشارة مرقس**» هي أقدم البشائر المكتوبة، وأن المادة الموجودة في بشارة «**متى**» وبشارة «**لوقا**» مستقاة من بشارة مرقس كأساس لها»[1].

ثم يقول : «يمكن القول إن بشارة متى وبشارة لوقا تبدوان كتنقيح لأسلوب

---

(١) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد - بشارة متى ج ١ - ص ٩ - ١٠ ترجمة القس فايز فارس،

بشارة مرقس. فإن مرقس يظهر أحيانًا كأنه «يَحُدُّ» من قوة المسيح، أو على الأقل قد يبدو الأمر كذلك في عين الناقد..».(١)

ثم يمضي وليم باركلي في ذكر أمثلة لا يتسع لها المجال.

إذن هنالك، وبحسب هذه الشهادة وغيرها من مصادر وأصول المفسر المذكور وغيره، هدف متعمّد من كاتبي متى ولوقا في إسقاط لفظ «الإنجيل» من كلام المسيح، وتحوير ما يُذكر بشأنه لضرب التصور بأنه مجرد نبي مرسل استهدافًا لبثِّ تصورٍ آخر مختلف يتماشى مع الادّعاء له بالألوهية.

ولكي لا يكون حديثنا أشبه بدعوى بلا بيِّنة نسوق إلى القارئ الكريم نص ما يسمونه في الإنجيل «الوصية العظمى» لنرى نموذجًا صارخًا للجرأة البشعة في تحريف نص مقدس لضرب العقيدة التوحيدية لصالح القول بتأليه المسيح الناصري. ومن ثم نبدأ أولًا بذكر النص كما ورد عند مرقس، وهو موافق لدرجة كبيرة لأصله في سفر التثنية [ص ٦ : ٤]، ثم نتلوه بنص تلك الوصية عند كاتب متى الذي مسخ تلك الوصية مسخًا تامًا، وبشراسة قذرة في رفض عقيدة التوحيد.

يقول مرقس: «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون، فلما رأى أنه أجابهم حسنًا، سأله: أية وصية هي أول الكل؟

«فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل: الربُّ إلهنا ربٌّ واحد. وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى. وثانية مثلها هي: تحب قريبك كنفسك. وليس وصية أخرى أعظم من هاتين.

«فقال له الكاتب: جيدًا يا معلّم، بالحق قلت؛ لأنه واحد وليس آخر سواه.

---

(١) نفسه : ص ١٠ .

ومحبته من كل القلب، ومن كل الفهم، ومن كل النفس، ومن كل القدرة. ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من كل المحرَّقات والذبائح!

«فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل، قال له: لست بعيداً عن ملكوت الله» [ص ١٢ : ٢٨ - ٣٤].

وأرجو أن تتأمل جيدًا أيها القارئ الكريم، وتتمعن بدقة كلمات يسوع في عقيدة التوحيد في هذا النص عند مرقس، وتتأمل أيضًا رد العالم اليهودي الذي سأله، وأبدى إعجابه بتوكيده لعقيدة التوحيد، وبشارة يسوع له بأنه ليس بعيدًا عن ملكوت الله اغتباطًا بحسن إيمانه.

أما كاتب متى فانظر كيف مسخ تلك الوصية العظمى، وجرَّدها تمامًا من كل روحها وجوهرها وقيمتها. إنه يقول: «أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معًا، وسأله واحد منهم، وهو «ناموسي» ليجرِّبه قائلًا: يا معلِّم، أية وصية هي العظمى في الناموس؟

«فقال له يسوع: تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله الأنبياء». [ص ٢٢ : ٣٤ - ٤٠].

وهنا نرى بوضوح أن كاتب متى قد تعمد وبإصرار لا يخفى إسقاط أية إشارة إلى العقيدة في كلام يسوع «الرب إلهنا رب واحد» وكلام العالم اليهودي الذي وصفه بأنه «ناموسي» أي من علماء الشريعة الموسوية لتحقير شأنه، وإساءة الظن به.. وبالتالي كان من الطبيعي أن يسقط أيضًا اغتباط هذا العالم اليهودي بجواب يسوع بتوكيد عقيدة التوحيد، وإسقاط بشارة يسوع له بأنه في رحاب الملكوت الإلهي بما يعني أنه مؤمن بيسوع ودعوته، وهو ما كان ينبغي أن يفطن إليه كاتب متى إذْ ما كان يجوز له أن يزدري إنسانًا فضلًا عن عالم أثنى على يسوع، وتلقى بشارته له بملكوت الله!

وهكذا نرى هذا الإصرار من كاتب متى لضرب عقيدة التوحيد، وعلى هذا النحو الصريح.

ولكن، لماذا يحدث هذا، ولمصلحة من؟!

والجواب: لخدمة القول بتأليه يسوع الناصري المدعو بالمسيح ابن مريم!

هل نحن نتجنَّى على كاتب متى في ذلك؟!

كلا؛ بل كان على كاتب متى أن يفعل ذلك تمهيدًا للإعلان الصريح عن تأليه المسيح الذي لم تكن صيغة تأليهه، وصيغة التثليث قد وُضعت من قبل قط في أي واحد من تلك الأناجيل الأربعة المعتمدة قبل أواخر القرن الرابع، والتي وضعت فيها صيغة التثليث هذه عن قصد وتدبير في آخر إنجيل متى هذا من بينها بالذات وبالخصوصية والتحديد، والتي جاءت هكذا: «**اذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم: الآب، والابن، والروح القدس**» [ص ٢٨ : ١٩].

إذن كاتب متى يعلم غايته جيدًا، ولذلك يعدِّل في أقوال المسيح وأخباره تمهيدًا لما سيذكره من بعد من صيغة التثليث تلك، وتأليه المسيح، على ذلك النحو المباشر والصريح الذي ذكرناه، والذي لا يحتمل أي لبس أو شك!

باحث بريطاني يكتشف تغيير خاتمة متى في المخطوط اليوناني وإضافة نص التثليث فيما بعد

ورغم ذلك فلا يزال هنالك مَن يؤثرون المنهج التقليدي في تقديم إنجيل متى على إنجيل مرقس وسائر الأناجيل حرصًا منهم على أمور لا يبوحون بها. إلا أن القدر يأبى إلا أن يزلقهم تارة فيكشف عن قرائن نفاقهم، أو يصفعهم تارة أخرى بما لا يحبون ولم يكونوا يحتسبون.

وخلال كتابتنا لهذه السطور رأينا كتابًا لباحث بريطاني يُدعى «إينوك باول J. Enoch Powell» دعاه باسم «تطور الإنجيل The evolution of the-Gospel» ويقصد هنا إنجيل متى بالتحديد حيث يبنى كتابه ذاك على «ترجمة جديدة للإنجيل الأول مع تعليقات ودراسة تمهيدية»، ويحاول جاهدًا أن يثبت أن إنجيل متى هذا الذي يقوم بترجمة جديدة له عن الأصل اليوناني المحفوظ هو الأول والأصل حسب رؤية خاصة له، وحسب ما يذهب إليه التقليد أيضًا عند المسيحيين، ويدَّعي لذلك أن كُلًّا من مرقس ولوقا قد أُفادا منه. ومن ثم نراه حريصًا على غمز إنجيل مرقس في مواضع متعدِّدة يناظر فيها بين نص من متى وما يشاكله عند كل من مرقس ولوقا. لكنه يعنيه النيل من مرقس بخاصة، مع أنه في كثير مما يصطنعه من ذلك يمكن مراجعته وإحراجه. لكننا على أية حال نكتفي بإشارة عاجلة لموضع أو موضعين يتعلقان بالسياق الذي نحن بصدده.

فعندما عرض للوصية العظمى عند متى [ص ٢٢ : - ٣٤ - ٤٠] رأيناه ينسى مرقس تمامًا، وينسى عقيدة التوحيد معه، ولا ينبس ببنت شفة؛ وكأنه لا موضع

هنالك لهذه الوصية العظمى في أي إنجيل آخر معتمد أو غير معتمد!

فلما عرض لنهاية متى، والتي وردت بها صيغة التثليث [ص ٢٨ : ١٧ - ٢٠] فتح الله عليه أولًا فقال: «إن التعابير الفريدة، والإشارة «الرسمية» إلى الثالوث المقدس، تزيد الانطباع بأن العمود الأخير من الكتاب (مثل النهاية الأصلية لإنجيل مرقس) «مفقود». وقد تمَّ التعويض عن فقده بلا مبالاة بخطبة الوداع المنسوب إلى يسوع...»[١].

يريد أن يقول إن العمود الأخير من النص اليوناني المحفوظ لإنجيل متى الذي يترجمه، وغرابة الصياغة والتعبير لصيغة التثليث غير المعروفة أو المعتادة في كتبهم المقدسة في سياق ذلك العمود يضفي عليه غرابة غير منسجمة مع سائر أسلوب الإنجيل، بما يكشف أن هذا العمود مضاف في موضع جزء مفقود لا يُدْرَى إن كان يمكن أن تكون به تلك الصيغة أم لا؟!!

ثم يقول بعد ذلك بشأن التعميد الوارد في صيغة التثليث: «. لا يُنقل عن يسوع في اي مكان آخر انه [كان] يعمِّد، او يامر بالتعميد..» [٢] . وهذه ضربة أخرى لصيغة التثليث حيث تدَّعي على لسان يسوع ما لم يكن في الأصل من تعليم خاص به أو من عمله وشأنه.

ثم يتحفنا العلاَّمة البريطاني بمسك الختام فيقول عن صيغة التثليث : «.. ولذا فإن التعميد باسم الأقانيم الثلاثة، الذي يتمُّ تلازمه هنا فقط في هذا الكتاب [يعني إنجيل متى] يستلزم معرفة بطقس الاعتراف في الكنائس القائمة.» [٣]

---

(١) إينوك پاول : تطور الإنجيل - ص ٣٩٦ - ترجمة ودراسة أحمد إيبش - دار قتيبة - دمشق - سوريا ، بيروت، لبنان. ط ١ - ٢٠٠٣ م.

(٢) نفسه: ص ٣٩٧ .

(٣) نفسه: ص ٣٩٧ .

وهذا الاعتراف من الباحث البريطاني بالغ الأهمية وفي نفس الوقت هو اعتراف مزدوج له جانبان:

الأول: إشارته إلى حدوث التلاعب بالأصل اليوناني المخطوط لإنجيل متى في هذا الموضع من خاتمة الإنجيل والخاص بصيغة التثليث فهو يذكر أنه قد وقع تغيير في العمود الأخير منه لتوضع به هذه الصيغة فيقول: «**إن التعابير الفريدة، والإشارة الرسمية إلى الثالوث المقدس تزيد الانطباع بأن العمود الأخير من الكتاب** [يعني إنجيل متى] **«مفقود»..**» ثم يزيل ما يتبادر إلى القارئ من الظن أنه يقول ذلك على سبيل الشك والاحتمال، فيؤكد أن ذلك الجزء فعلًا مفقود بقوله: «**وقد تمَّ التعويض عن «فقده»** بلا مبالاة بخطبة الوداع المنسوب [الأفضل المنسوبة إشارة إلى الخطبة المنسوبة نفسها] إلى يسوع..» . وهذا دليل ماديٌّ بالغ القوة على وقوع التعديل والتغيير في الأصول الخطية لإنجيل متى.

الجانب الثاني: شهادته الصريحة بإنكار أن يسوع كان يعمِّد، أو أنه أمر بالتعميد، وهو ما يشكِّل هدمًا لأحد عناصر تلك الصيغة. ثم يقدم إقراره الصريح فيشهد بأن **صيغة التثليث هذه باسم الأب والابن والروح إنما هي طقس كنسي قد عُرف فيما بعد في الكنائس المسيحية بعد زمن المسيح ورسله وتلاميذه**؛ أي يمتنع تمامًا وجود أي صلة أو سبب بين هذه الصيغة وتعاليم المسيح.

وشهادة هذا الباحث البريطاني بأن صيغة التثليث في إنجيل متى منتحلة ومدسوسة بعد عصر المسيح والرسل والتلاميذ، ولا يصح نسبتها إليه أو إليهم، سبق إلى القول بها العالم الألماني «هرنك A. Harnack» الذي ذهب إلى أن الادعاء بأن يسوع بعد القيامة كان يعطي تعليمًا ومواعظ لا أصل له في عصر الرسل والتلاميذ مستدلًا على ذلك بأن بولس لم يكن يعرف ذلك؛ يريد أن تلك الصيغة لو عرفها بولس لأفاد منها كثيرًا لأنها توافق مذهبه الخاص بتأليه المسيح.

كذلك نرى هرنك يستبعد أن يصدر شيء بهذا المعنى عن يسوع، وأن ذلك لو كان، لأثرت هذه الصيغة تأثيرًا بعيد المدى في عصر الرسل، الذي انتهى سنة ٧٠م، والثابت أنهم لم يعرفوا ذلك قط. (١)

(١) انظر كتابنا: عقائد النصارى الموحدين - ط ٣ ص ٧٥ . مكتبة النافذة - ٢٠٠٤ م.

خمسة أدلة لنا من كتبهم نلزمهم فيها بإضافة نص التثليث في أواخر القرن الرابع

وحيث عزَّزنا شهادة الباحث البريطاني «إينوك پاول» بشهادة العالم الألماني «هرنك»، فإننا نعزِّزها أيضًا من جانبنا بخمسة أدلة جئنا بها في كتابنا «سر مريم» الذي أصدرناه سنة ١٩٩٤م أي نفس العام الذي صدر فيه كتاب الباحث البريطاني مستندين فيها إلى أوثق أصولهم ومصادرهم، ملزمين لهم بأن صيغة التثليث هذه لم تكن قط بأي إنجيل من أناجيلهم قبل أواخر القرن الرابع، وأنها لا تمتُّ إلى تعليم من المسيح بأي سبب كان. ونكتفي في هذا السياق بتلخيص لتلك الأدلة، ومن شاء التفصيل رجع إلى كتابنا المذكور.

الدليل الأول:

١ - أن التعميد أصلاً كان باسم يسوع فقط كما هو ثابت عن بطرس في سفر الأعمال [ص ٢ : ٣٨]، وعن بولس في الرسالة إلى رومية [ص ٦ : ٣] ..

٢ - يلزم المسيحيين في حال القول بالتثليث وأن المعمودية لا تصح بغير ذلك، أن معمودية كل من بطرس وبولس إما صحيحة أو باطلة: فإن كانت صحيحة لزمهم أن يلتزموا بها ويرفضوا التثليث، وإن كانت باطلة بطلت ديانتهم من أصولها لأنها عن هذين أُخذت!.

٣ - يلزمهم أن بطرس أحد الرسل الأحد عشر ورفاقه الذين تلقوا هذه الصيغة من المسيح بعد قيامته قد اتفقوا جميعًا على كسر هذه الوصية لأنه لا يستقيم أن يأمرهم بالتعليم والتعميد بصيغة التثليث هذه، وإذا بنا نجد بطرس

ورفاقه من الرسل الذين كانوا معه يعلِّمون بأن تكون المعمودية باسم يسوع فقط حسب الثابت مما ذكرناه من قبل. ولا بدَّ هنالك إذن من تفسير لإجماعهم على كسر وصية الإله القائم من الموت!!

٤ - لو صحت هذه الصيغة عن يسوع في حديثه إلى رسله وتلاميذه بعد القيامة لاحتج بها بطرس على رفاقه عندما لاموه بشأن «كرنيليوس» وتبشير الأمم حيث يقول فيها حسب إنجيل متى : «اذهبوا، وتلمذوا جميع «الأمم» وعمدوهم» فكيف يأمرهم بذلك، ويحتجون على بطرس فيما فعل مع رجل من الأمم، مع أن ذلك كان بعد فترة من تلك القيامة المزعومة والتي استنطقوه فيها بهذا التعليم؟!!

٥ - إن صيغة التثليث هذه تعني إعلان الألوهية الصريحة للمسيح وللروح القدس؛ فلو صحَّ وجودها عن المسيح لصار أمر ألوهيته وألوهية الروح من الأمور المعلومة والمسلَّمة منذ تلك اللحظة، ومن ثم لا يكون هنالك حاجة بحال لأي مجامع مقدسة للبتِّ في طبيعة المسيح في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، أو البتِّ في طبيعة الروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١؛ وكذلك لو كانت مدوَّنة بالإنجيل، والحاصل خلاف ذلك كله[١].

الدليل الثاني:

ورد في نسخ الإنجيل في القرون الثلاثة الأولى قبل عصر المجامع نص على لسان المسيح يقول فيه: «مكتوب في «الناموس» لا تزن. وأنا أقول لكم إني أنا الذي نطقت بالناموس من فم موسى. وأنا الآن أقول لكم: إن كل مَن نظر إلى امرأة «صاحبه» ليشتهيها يزني بها في قلبه».[٢]وقد تم اختصار ذلك في نسخة

(١) انظر كتابنا: عقائد النصارى والموحدين - ص ١٣٢ - ١٣٦ . وفي كتابنا: «سر مريم بين الإنجيل والقرآن» - ص ١٣٠ - ١٣٢ - ط ٢ - ٢٠٠٤م - مكتبة النافذة.

(٢) سر مريم : ص ١٣٢ - ١٣٨ .

متى الحالية بحذف عبارة: «**إني أنا الذي نطقت بالناموس من فم موسى**»، مع حذف لفظ «**صاحبه**».

والسبب في هذا أنه لما انعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وانتهى إلى القول بتأليه المسيح، لم يقولوا شيئًا بشأن الروح إلا تلك العبارة: «**ونؤمن بالروح القدس**» دون تحديد وضعه أو طبيعته إن كان إلهًا أو غير ذلك لغموض الأمر عليهم بشأنه، ومن ثم لم يكن هنالك شيء عن وظيفته واختصاصه. فلما انعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، وقالوا بألوهيته جعلوا من وظيفته واختصاصه أنه «**الناطق بالناموس في الأنبياء**»؛ ومن ثم نقلوا إليه ما وضعوه على لسان المسح من قبل في هذا الشأن؛ ونصُّوا عليه في أمانتهم. وبالتالي يلزمهم أنه لو كان نص التثليث مأخوذًا عن المسيح حسب المذكور في خاتمة إنجيل متى الحالي، لما ظلوا منكرين ألوهيته، مدَّعين أنه خادم للابن، إلى أن قالوا بألوهيته في المجمع المذكور، ولما اكتفوا من قبل في مجمع نيقية بمجرد الإشارة الغامضة للإيمان به، دون بيان شيء عن معتقدهم بشأنه.

الدليل الثالث:

يقرُّ القديس باسليوس الكبير (٣٢٩ - ٣٧٩) في كتابه «**الروح القدس**» أن القول بصيغة التثليث باسم الآب والابن والروح إنما هو مجرد تسليم Tradition أو تقليد شفاهي يقال عند المعمودية، وأنه غير مدوَّن في الكتب لأنه - حسب قوله: «**من أسرار الكنيسة غير المكتوبة**»[١] ويذكر أن المعارضين الذين يردُّ عليهم يحتجون بعدم جواز الاعتراف بالروح لأنه -حسب ما يحكي عنهم: «**ليس في الأسفار المقدسة، وتعوزه الشهادة**»[٢]

---

(١) سر مريم : ص ١٤٠ .

(٢) نفسه: ص ١٤٠، وانظر جملة التفاصيل ص ١٣٩ - ١٤١ .

وهكذا يقدم باسيليوس إقرارين في غاية الأهمية عن عدم أصالة التثليث عن المسيح، وعدم تدوينه في الإنجيل:

الإقرار الأول: أنه من أسرار الكنيسة غير المكتوبة، ولا يقال إلا عند المعمودية.

الإقرار الثاني: أنه متفق مع معارضيه أنه ليس مدوَّنًا في الأسفار المقدسة.

ودلالة ذلك إذن أنه لو كان أصيلاً عن المسيح، ومدوَّنًا بالإنجيل، لما قامت مشكلة بسببه بين باسيليوس ومعارضيه.

الدليل الرابع:

جاء ذلك النص الذي ضمَّنوه صيغة التثليث عند أوسابيوس القيصري (المتوفى حوالي سنة ٣٤٠م) وصاحب تاريخ الكنيسة المشهور، خِلْواً من ذكر التعميد، وصيغة التثليث، حيث جاء هكذا: **«اذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم باسمي»** (١)

ولما كانت وفاة أوسابيوس هي حوالي سنة ٣٤٠، أي بعد مجمع نيقية الذي قال فقط بتأليه المسيح دون أية إشارة إلى احتمال ذلك للروح، ومن ثم قام هذا المؤرخ بنشرة جديدة للإنجيل تساوق التطور الذي حدث بشأن الاعتقاد من جهة المسيح ممتثلاً لأمر الإمبراطور قسطنطين بذلك: لذلك لم تكن بتلك النشرة صيغة التثليث، ولا يعقل أن تكون هنالك هذه الصيغة التي يقولون بها ثم يذكرها هو على هذا النحو الذي ذكره، ولا كان هنالك أيضًا مبرر لأي نزاع بعده بين القديس باسليوس الذي أدرك السنوات العشر الأخيرة من حياته، وعاش إلى ما قبل مجمع القسطنطينية بعامين وبين معارضيه على ما ذكرنا من قبل عنه.

الدليل الخامس:

شهادة أوريجانوس (١٨٥ - ٢٥٤م) بأن التثليث مجرد سُنَّة أو تقليد وليس بفريضة، أي ليس من أصول الاعتقاد الذي قال به المسيح، أو أمر به وكان هذا العالِم المسيحي العظيم يقترح عدم ذكر التثليث ليتحاشى قول الناس بأن النصارى يعبدون آلهة ثلاثة ويذكر شهادته بذلك سليمان الغزّى الذي عاش في القرنين العاشر والحادي عشر على هذا النحو: «عبد عبيد يسوع، وأصغر أولاد بيعته، يردُّ على مَن قال كمقالة أويجانس ومارون اللذين قالا: **«لا حاجة لمن وحَّد الإله إلى ذكر الأقانيم، إذْ كانت توهم الناس بأن النصارى يعبدون ثلاثة آلهة. وزعما بجهلهما: أن المعمودية «سُنَّة» وليست فريضة»**[1]

وليس من المعقول أن العالِم الذي حرص على جمع وتحقيق أصول الكتاب المقدس بشقيه القديم والجديد في زمنه، وقَرَن ذلك أيضًا بشروح وتعليقات على بعض أجزاء منه، وكان لسان الكنيسة الذي تشهره ضدَّ المنشقين أو المخالفين، ليس من المعقول أن مثل هذا الرجل مع كل هذا العلم والتحقيق يعلم أن للتثليث أصلاً صحيحًا عن المسيح على أي نحو من الأنحاء ثم يأتي فيدَّعي أنه ليس «فريضة» أي ليس تعليمًا أو أصيلاً أو أمرًا من المسيح، وأنه مجردً سُنَّة أو تسليم أو تقليد، بمعنى أنه شيء قال به بعض السابقين من عند أنفسهم، وليس بموثّق أو مؤصل عن المسيح؛ إلا أن يكون على بيِّنة صحيحة، ودليل قاطع، وشاهد قائم بين يديه لا يحتمل الشك والارتياب.

وهكذا تتكاتف تلك الأدلة الخمسة التي قدّمناها، واستخرجنا شواهدها الصحيحة والصريحة من أوثق كتبهم ومصادرهم التي يقرُّون بها، ويرجعون إليها، ويتحاكمون إلى نصوصها وشواهدها، ليتم الإلزام عليهم ببطلان ما انتحلوه من تعميد، وتثليث، وتأليه للمسيح، وذلك الروح المزعوم.

---

(١) نفسه: ص ١٤٢ - ١٤٥ .

تعاليم بولس وراء إنكارهم لإنجيل مع المسيح

وخلاصة القول إذن أن السبب في هذه المخازي بشأن إنجيل متى وسائر الأناجيل إنما يرجع إلى ذلك العناد العقائدي عند فريق من أدعياء الإيمان بالمسيح من الأمم التي كانت تدين بالوثنية فالتمسوا في المسيح مجرَّد عنوان لبعض ميراثهم الوثني، وتزعم بولس هذا التيار لأنه يتفق مع تدبيره ضدً تعليم المسيح، ويحقق طموحه الشخصي في تقديم فكر خاص يتميَّز به، ومن ثمة مضى يصوغ لهم تهيؤاتهم الوثنية في صورة معتقد محدَّد المعالم، وتمَّ له تدبيره الذي صار به أول مَن جمع بين أصول جاءت في الديانة الكتابية التوحيدية الأولى، وهي اليهودية،وبين عناصر وأصول وثنية خلال عقيدته التي صاغها بشأن المسيح، والقول بالتجسّد للإله خلال هذا المسيح، لحلِّ مشكلة الشرّ، وافتداء الجنس البشري من الخطيئة التي ذكر موسى أن آدم قد ارتكبها في الجنة، فجاء على هذا النحو ليقدِّم نفسه ذبيحة كفًارة عن تلك الخطيئة، فيتبرَّر كل مَن يؤمن به. إنه توفيق عجيب بين أصول متناقضة لخطة تفتق عنها ذهن ذلك الداهية الجسور لسحق المسيح ودعوته. وإنك لتعجب أشد العجب أنه مع ما بلغته البشرية من تقدم في مجالات العلم والمعرفة والفكر الديني، يُصِرُّ هؤلاء المسيحيون ألاَّ ينظروا الصفحة الأخرى بشأن بولس؛ وهو أمر يوحي بالحذر المفرط، والخوف الشديد من جانبهم لو تجرَّدوا للحق، ونظروا جانبه الاخر. ومن ثمَّ يتمادون برعونة بالغة في الاستسلام لما جاءهم به هذا الشيطان اليهودي!

اختلاف صورة التعاليم في الأناجيل عما كان عليه تلامذة المسيح في العهد الرسولي

مـهـمـا يكن من شيء، فلنمض مـعـهـم هونًا في إنكارهـم القول بإنجيل جاء به المسيح، وأن الإنجيل يُراد به عندهم ما كتبه عنه بعض أتباعه - الذين يدَّعون زورًا أنهم كانوا من رسله وتلاميذه -بقصد إظهار ألوهيته التي يزعمونها له؛ فنسألهم : لقد كانت هنالك فترة بين رحيل المسيح وظهور الإنجيل بعد خراب الهيكل سنة ٧٠ م. تدعونها باسم «العهد الرسولي»، أي الفترة التي كان يتواجد فيها تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود الذين سمعوه، وآمنوا به، وتابعوه في مراحل دعوته وتعليمه؛ فكيف كانت العقائد والتعاليم في ذلك العهد الرسولي كما انعكست خلال هؤلاء التلاميذ والأتباع الأولين، وكانوا هم الأصل والوسيط الأمين في حمل تعاليمه إلى غيرهم، وإلى مَن جاءوا بعدهم، ومنهم كَتَبَة الأناجيل؟

يجيبنا على ذلك كاتب الكنيسة فيقول: «سيجرّنا الحديث إلى أن نقرَّ بأن الكتاب [يقصد الإنجيل]كان في بداية الأمر عبارة عن روايات شفاهية تداولتها الجماعات المسيحية الأولى، ودوَّنها الإنجيليون الأربعة كل بأسلوبه الخاص، وقصده اللاهوتي الخاص»[١]

ثم يشرح مراحل ذلك فيقول: «وإذا أردنا أن نلخص باختصار أهم مراحل تكوين الأناجيل بدا لنا أن ثمة ثلاث مراحل:

(١) الأب فاضل سداروس اليسوعي : تكوين الأناجيل - ص ٥ .

«١ - مرحلة يسوع الناصري.

«٢ - المرحلة الشفاهية: روايات شفاهية بحسب البيئات الحياتية على وجه خاص.

«٣ - المرحلة الكتابية: الأناجيل الأربعة المعروفة.

«إلا أن ما وصل إلينا، واعترفت به الكنيسة، واعتمد عليه الإيمان المسيحي هو المرحلة الثالثة..»[١]

معنى ذلك أن الكنيسة استبعدت تمامًا و بكل بساطة «مرحلة يسوع الناصري»، فلا يعنيها حقيقة الواقع الذي كان بشأن شخصه وسلوكه، وقوله وعمله؛ فهذا أمر في نظرها يجب أن يسقط من حساب العقيدة والتاريخ، لكي لا يكون عليها حرج أو كَدَر يشوش على رؤيتها التي تعتزم أن تتخذها بشأنه.

ولكي تستقيم لها الحال فيما تنتويه بشأن القول في يسوع والاعتقاد به كان ينبغي أيضًا أن تستبعد المرحلة الشفاهية التي أعقبت رحيل المعلِّم اليهودي، وتجلَّت في سلوكيات التلاميذ ومنقولاتهم الشفاهية لتعاليمه كما سمعوها منه؛ وبطبيعة الحال كان سبب ذلك مطابقة سلوكهم وتعليمهم للأتباع لما كان عليه يسوع، وكأن المرحلتين قد صارتا لذلك في نظر الكنيسة بمثابة مرحلة واحدة هي مرحلة يسوع الناصري؛ يقول كاتب الكنيسة: «ففي البيئات الحياتية المختلفة - مثلاً عندما كان الرسل يعلِّمون الشعب، أو يعلنون بشارة المسيح، أو يعدُّون للعماد، ويمارسون كسر الخبز- كان المؤمنون يسألون الرسل ما قاله يسوع أو فعله، فكان الرسل يتذكرون أقوال يسوع وأعماله التي عايشوها»[٢]

---

(١) نفسه: ص ٢٤ .

(٢) نفسه : ص ٢٥ .

الرسل إذن يتذكَّرون أقوال يسوع وأعماله، ويسلكون وفقًا لها، والشعب من ورائهم يقتفي خطاهم على نهج يسوع!

لكن .. هل كانت هنالك ضرورة ما في نظر الكنيسة تستوجب الاستبعاد للمرحلتين المذكورتين؟

نعم؛ ولسبب واحد دونه كل الأسباب، هو أن يسوع لم يدَّع الألوهية لنفسه، ولا ادَّعاها له التلاميذ من بعده في المرحلة الشفاهية، ولا إبَّان حياته، وهدف الكنيسة أن تقول له بالألوهية لأسباب تعنيها، ويعبر كاتب الكنيسة عن ذلك بقوله: «نشأت بين الجماعا المسيحية الأولى روايات شفاهية لأقوال يسوع وأعماله، والأحداث المرتبطة به . كما أن بعض الوحدات [يقصد مدوَّنات لتلك الروايات الشفاهية] تجمَّعت فيها، فتسلَّمها الإنجيليون، وجمعوا هذه المعطيات السابقة، فنظموها، و«أضافوا» إليها، كل واحد بحسب أسلوبه الشخصي، ومقصده اللاهوتي»، وميزات الجمهور الذي يكتب إليه».[١]

وفي هذه الفقرة من كاتب الكنيسة نرى ثلاث خطوات متعاقبة لتصل الكنيسة لغايتها في القول بألوهية المسيح:

الأولى: وجود الروايات الشفاهية لأقوال يسوع وأعماله، والأحداث المرتبطة به.

الخطوة الثانية: وجود بعض «الوحدات»، أي الكتابات والتدوينات لتلك الروايات الشفاهية قام بها التلاميذ في العهد الرسولي قبل تدوين الأناجيل المعروفة. وهو ما يمكن أن يسمح لنا باعتبار تلك التدوينات من التلاميذ لتلك الروايات الشفاهية لأقوال المسيح وأعماله هي نفسها إنجيل المسيح الحقيقي، أو على الأقلّ بمثابة ذلك. ذلك أن القرآن عندما كرر الإشارة إلى الإنجيل الذي آتاه الله المسيح عيسى ابن مريم لم يذكر قط قرينة واحدة على كون ذلك كان وَحْيًا

(١) تكون الأناجيل: ص ٢٤ .

مكتوبًا، أو كُلِّف المسيح بكتابته وتدوينه، كما ألمح إلى ألواح موسى بقوله ﴿وكتبنا له فيها تفصيل كل شيء﴾، أو كما بشأن محمد ﷺ إذْ يأمره بتدوين الوحي بقوله : ﴿واذكر في الكتاب..﴾ أي دوِّن هذا الذي نوحيه إليك في الصحف، يعززه قوله أيضًا : ﴿اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك..﴾ أي اقرأ من الوحي الذي دوَّنته ككتاب أُوحِي إليك من الله. ومن ثم فهذه قرائن قوية أن إنجيل المسيح حيث خلت الإشارة إليه في القرآن من مثل ذلك فيصح أنه كان شفاهيًا، ولم يستشعر المسيح ما يستوجب الكتابة والتدوين لما يعلِّم به منه، ثم بعد رحيله استشعر تلاميذه أهمية تدوين رواياتهم الشفاهية لأقواله وأفعاله فبدأوا تجميع ذلك في مدوَّنات كتابية كانوا يحتفظون بها، وربما سموها «الإنجيل» أو «إنجيل المسيح»، فلما جاء كَتَبة الأناجيل بعد العصر الرسولي استولوا على تلك الأصول، وتصرَّفوا فيها حسب توجيه الكنيسة، واغتصبوا لها اسم «الإنجيل» الذي كان المسيح أول مَن أطلقه، ونادى به، ودعا إليه، حسب ما ذكرناه من قبل من شواهد إنجيل مرقس.

الخطوة الثالثة:وهكذا تأتي الخطوة الثالثة بتسلّم كل ذلك الميراث من الروايات الشفاهية، والمدوَّنات التي كتبها التلاميذ لها في العهد الرسولي، ثم قام كتبة الآناجيل بوضع أناجيلهم «كل واحد بحسب أسلوبه الشخصي، وقصده اللاهوتي» كما يقول كاتب الكنيسة؛ أي حدث تعديل من كَتَبة الأناجيل لما دوَّنته الروايات الشفاهية ومدوَّناتها، وكان أهم صور هذا التعديل وقاعدته وأصله: «أضْفاء» صفة الألوهية على يسوع؛ ذلك أن إضفاء صفة ما، على شيء ما، أو شخص ما، يعني أن الذي تُضْفَى عليه تلك الصفة، لم يكن متَّصفًا بها من قبل، أو لم يكن مستحوذًا عليها في واقع الحال. وهذا ما يؤكده كاتب الكنيسة حيث يقول: «وأخيرًا – وهذه النقطة هي إضافة استقيناها من المفسر (موسنر Muss-ner) – إن الأناجيل «تصرَّفت» في بعض أقوال يسوع وأعماله، حيث إنها «أَضفَت» عليها القصد «اللاهوتي» الذي كان يقصده كل إنجيلي. كما أنها

تصرَّفت في ترتيبها وعرضها. وهذا ما لم تجرؤ أن تفعله الجماعات المسيحية الأولى في رواياتها الشفاهية لشدة أمانتها لحرفية ما قاله يسوع وعمله».[1]

إذن يريد الكاتب بذلك، وهو صوت الكنيسة، أن يؤكد أن عمل كتبة الإنجيل إنما كان بقصد الاستدراك على ما فات الجماعات المسيحية الأولى، وهو حسب رؤية الكنيسة، أن تلك الجماعات لم تدرك الجانب اللاهوتي ليسوع، قاصرة نظرها إليه في حدود الصورة البشرية التي كان عليها في حياته على الأرض. ولذلك تبدو لهجة الضيق واضحة في موقف الكنيسة من تلك الجماعات: **«لشدة أمانتها لحرفية ما قاله يسوع وعمله»!** إذن كان ينبغي لتلك الجماعات لكي لا تدينها الكنيسة الا تكون أمينة لا فيما تنقله من أقوال يسوع ولا فيما تذكر من أعماله، بل كان عليها أن تتفنّن وتختلق، وتزوّر، في سبيل أن تقول له بالألوهية التي هي الغاية المقدسة لدى كنيسة أصحاب الأناجيل!!

(١) نفسه: ص ٤٧ .

إقرار الكنيسة بتغيير وتعديل أقوال المسيح وأعماله لتقول له بالألوهية

هكذا فعلت الكنيسة، وهكذا يقول كاتبها أيضاً إن: «الإنجيلي يروي أقوال يسوع وأعماله وأحداثه مرتبطة بالقصد «اللاهوتي». وهذا يعني أن حقيقة قراءة الإنجيل لا تكمن في استيعاب الحادث الذي جرى - من قول أو فعل أو حدث - بل في ربطه بالقصد «اللاهوتي»! [١].

ما دلالة هذا؟

دلالته أن الكاتب الإنجيلي لو التزم الحقيقة التاريخية بشأن يسوع، وحسب الواقع الذي كان من أقواله وأفعاله، وانفعاله بالأحداث، فلن يكون هنالك سبيل لادّعاء الألوهية له؛ فلا هو ادّعى ذلك، ولا كانت مواقفه وإلهامات ذاته شخصيته يمكن أن توهم بهذا التصور. ومن ثم لبلوغ تلك الغاية يجب القيام بلعبة «التزوير المقدس» ، فيكون التعديل في أقواله، أو وضع أقوال على لسانه، تعطي مدلولاً يوحي بادّعائه للألوهية، وكذلك نفس المنهج في سائر ما يُنسب إليه من مدهشات ومواقف، حقيقية أو مختلقة. ومن ثم ليس من حقك - أيّاً كانت ديانتك - عندما تقرأ الإنجيل أن تسأل عن الحقائق التاريخية، أو مدى الصحة والأمانة فيما يذكر فيه على لسان يسوع أو التلاميذ، وإلا كنت ساذجاً، ولا تستحق نعمة الإيمان! ومن ثم يخبرك كاتب الكنيسة بالخبر اليقين في ذلك فيقول: «.. ولكن النتيجة في نهاية الأمر ضئيلة لمعرفة «الكلمات نفسها» لتي تلفّظ بها يسوع.

(٢) نفسه: ص ٤٢ .

ولكن ليست هذه المعرفة هي الأهم، فلن نعرف أبداً ما قاله يسوع بالحرف الواحد - إلا في حالات نادرة - بسبب تعدّد الروايات الشفاهية التي استند إليها الإنجيليون، وبسبب قصدهم «اللاهوتي» الخاص في ضوء القيامة. فهناك ما هو الأهم، وهو مبدأ لاهوتي يختص بالإيمان أكثر مما يختص بالنقد التاريخي.

«إن صحة كلمة توردها الأناجيل لا تعتمد أساساً على كون يسوع قد قالها حرفيّاً - كأن الأناجيل تسجّل كتابياً صوته في مثل آلاتنا التسجيلية - بل صحة كلماتها تعتمد أساساً على الروح القدس الذي هو ضمان صحة ما ورد في الأناجيل..»[١].

والواقع أن المقصود بالروح القدس في كلامهم وكتاباتهم أنه مجرّد قناع تتقنّع به الكنيسة في اتخاذ قرارتها

على أني ألفت النظر إلى تناقض الكاتب الكنسي إذْ ذكر في سياق تبريره لفقدان الأصل الصحيح لأقوال يسوع أن ذلك كان بسبب الروايات الشفاهية وتعدّدها، رغم إقراره فيما أوردناه من كلامه من قبل بأمانة ودقّة تلك الجماعات المسيحية في رواياتها الشفاهية بقوله: «.. وهذا مالم تجرؤ أن تفعله الجماعات المسيحية الأولى في رواياتها الشفاهية: لشدة أمانتها الحرفية ما قاله يسوع وعمله»! [٢]وإذن فافتقاد الأصل من كلام يسوع وأخباره ليس راجعاً إلى الجماعات المسيحية الأولى ورواياتها الشفاهية ، كما يدعي هذا الرجل بل هو من جانب الإنجيليين أنفسهم بما أملته الكنيسة عليهم للقول بلاهوت المسيح استناداً إلى واقعة «القيامة» التي يعتقدون بها بعد موته على الصليب؛ فهذا هو السبب الأوحد والرئيس لافتقاد اي أصل صحيح لأقوال المسيح وأعماله؛ ومن ثم أطلقت

(١) نفسه: ص ٥٢ - ٥٣ .

(١) تكوين الأناجيل: ص ٤٧ .

الكنيسة أيدي الإنجيليين لتحقيق تلك الغاية كيف شاؤوا من «تصـرّف» ، ومـن تغيير وتعديل في كلام المسيح وأعماله، وفي «عـرض» و«ترتيب» كل مـا يدّعون بشأنه حسب ما يتراءى لهم محققاً للغاية. وفي مقابل ذلك قامت بإبادة كل ما يختص بسيرة المسيح التاريخية والحقيقية، ومعها أبادت أيضاً كل الروايات الشفاهية، والوحدات الكتابية التي تجمعت منها.

لكن.. لماذا تبيد الكنيسة سيرة المسيح، ولماذا تبيد تلك الأصول الحرفية الدقيقة التي نقلها تلاميذه الأمناء في العهد الرسولي، ولا تحتفظ بذلك الميراث المقدس، ربما تحتاج أن ترجع إليه في وقت ما، أو يحتاج جمهور المؤمنين في بعض مراحل تاريخهم أن يتعرّفوا عليه، ويتبركوا، أو يستأنسوا به؟

والجواب أن الكنيسة فعلت ذلك لكي لا ينكشف حجم الجريمة الكبرى التي ارتكبتها، ثم فعلت ذلك لأنها أعطت نفسها الحق المطلق، بلا قيد أو شرط بالتصرّف في كل شيء، حتى في المسيح نفسه، وازدرت بشعب الكنيسة، واتخذت الاستبداد نهجاً لها، ولم تعبأ قط إلا برؤيتها الخاصة والمحدودة في مرحلة معيّنة من مراحل التاريخ، دون مبالاة بالحقيقة، أو وديعة الإيمان، التي تحمّلت بها، أو حمّلها بها المسيح حسب ما تدّعيه. وهكذا ضاعت كل أصول الحقيقة في أمر المسيح، وملامح دعوته وتعاليمه كما جاء بها!

اعتراف الكنيسة بأن تلاميذ المسيح لم يقولوا بألوهيته ولا خاطبوه بها

إن حرص الكنيسة على ألا ينكشف مدى جريمتها العظمى بشأن يسوع وسيرته، وبما ذكره التلاميذ من أخباره وتعاليمه يتجلّى جانب منه على نحو مثير، بل ومذهل، عندما تبحث عن مدى «تصرّف» الإنجيليين فيما ذكروه من تعاليم يسوع، ومن حال تلاميذه ومواقفهم الحقيقية، بإذن من الكنيسة لهم بالتصرف فيما يكتبونه عنه وعنهم، مراغمة للواقع، وتحدّياً للحقيقة والتاريخ، فإذا بالجواب يأتيك على هذا النحو من كاتب الكنيسة:

«وهناك أيضاً «الاعترافات الإيمانية» (Confession de foi) في الأناجيل إذ **أن الإنجيليين «يضعون» على لسان مَن عايشوا يسوع اعتراف الجماعة المسيحية بعد الفصح** [أي بعد قيامة المصلوب من موته]. فلقد رأينا في معجزة تسكين العاصفة أن متّى استبدل كلمة «**يا معلِّم**» التي أوردها مرقس ولوقا باللقب الإيماني: «**ربّنا**» . وهو اللقب الذي عبّر به المسيحيون الأولون بعد القيامة عن إيمانهم بيسوع المسيح الممجّد .. فليس من المتوقع أن يكون التلاميذ عند العاصفة قد سمّوا يسوع: «**الربّ**»؛ لأن إيمانهم به كربّ، وسيد، ومسيح، وإله، تدرّج تدرّجاً. ولم يَعُوا في بداية الأمر مَن هو يسوع بالضبط.

«وكذلك قول نثنائيل ليسوع: أنت «**ابن الله**»، أنت ملك إسرائيل» (يو ١:٤٩).

«وفي إعلان بطرس حقيقة يسوع: «**أنت المسيح» «ابن الله الحيّ**». (متى ١٦: ١٦)، «**أنت «ابن الله» حقاً**» . (متى ١٤ :٣٣)....

«فـمن الواضح أن الرسل [يقصد الكنيسة وكتبة الأناجيل، ويستعمل لفظ «الرسل» للتمويه على القارئ بأنهم كتبوا هذه الأناجيل] عندما كانوا يعلّمون المؤمنين الجدد، كانوا يحثّونهم على أن يعترفوا بإيمانهم بألوهية يسوع، فوضعوا على لسان معاصري يسوع إيمان الجماعة المسيحية بعد الفصح..»[(١)].

أنت إذن أيها القارئ الكريم قد صرت أمام إشكال ضخم عندما تقرأ هذه الأناجيل، حيث صارت اللغة في كل منها لغة المسيحيين بعد المسيح بأجيال عديدة، وبعد تأليهه، وليس حسب اللغة الحقيقية في وقته وزمنه، ووفق منطوقه هو، أو منطوق تلاميذه الأولين. وعليك إذن عندما تقرأ الإنجيل، وتلتقي على لسان الرسل والتلاميذ بألفاظ: «الربّ»، «ابن الله»، ملك إسرائيل، أن تعلم أن الأصل هو: «يا معلّم»!!

وهذا وجه واحد فقط من وجوه تصرفهم في الإنجيل، فكيف يكون الحال، وما مدى الجريمة فيما أخفوا مما لا يأذنون بذكره؟!!

وهل رأيت إذن كيف كُتب الإنجيل، وكيف تمت صياغته، وكيف كان التخطيط والتدبير لفرض معتقد معيّن بشأن المسيح، ولماذا ينكرون بشراسة أن يكون له إنجيل، بل يذكرون أنه كان له فقط مجرّد **«أقوال»** (!!) وكأنها لا تساوي أن تحمل تلك التسمية الشريفة **«الإنجيل»**، والتي قال بها المسيح نفسه حسب أقواله في

---

(١) نفسه: ص ٢٧ - ٢٨ . وقد أشار هذا الكاتب الكنسي الأب فاضل سيداروس اليسوعي في آخر المقدمة التي كتبها لكتابه هذا «تكوين الأناجيل» أنه قد أسسه على كتاب الأب «إكزافييه ليون دوفور» بقوله: «استندت في تأليف هذه الدراسة إلى كتاب

Xavier Leon Dufour. S. J: “Formation des svangiles

وواضح أنه أخذ منه نفس العنوان.

ومن أعمال الأب سيداروس الإشراف العام على تعريب «معجم اللاهوت الكتابي» الصادر عن دار المشرق - بيروت، وإسهامه في تعريبه؛ وهو معجم ضخم بالغ الأهمية.

إنجيل مرقس، فانتزعوها منه انتزاعاً، وجرّدوا أقواله الحقيقية من استحقاقها، ليجعلوها فيما زوّروه من بعدُ بشأنه، ولكي لا يكون هنالك شك فيما يقولون **مما تخرّصوه من تأليهه، وما نحلوه** عليه من تعاليم ومدهشات حسب أهوائهم الوثنية؟!!

المسيح يلتزم بشريعة موسى وتلاميذه يلتزمون بها من بعده

لكن.. هل يمكن لنا أن نعرف شيئا عن سلوك المسيح وتلاميذه بشأن الدين وفرائضه قبل كل تلك الأمور التي حدثت من بعده وبعدهم بشأن الإنجيل، وقضايا الاعتقاد؟

يخبرنا كاتب الكنيسة عن ذلك فيقول: «... في الأناجيل لا تتميز الديانة المسيحية عن الديانة اليهودية. «فكان يسوع وتلاميذه يصلّون في المجامع، وكان يسوع يعلّم فيها. وبهذا المعنى قال يسوع: «لا تظنوا أني جئت لأبطل كلام الشريعة والأنبياء. ما جئت لأبطل بل لأكمل» [متى ٥ : ١٧)»[١]

ويقول أيضًا عن التلاميذ بعد رحيل يسوع: «ومما لا شكّ فيه أن التلاميذ الرسل كانوا يوقّرون تقليد يسوع في تعليمهم وعبادتهم (رسل ٥ : ٤٢) وإعلانهم له. فليس من الغريب أن يكونوا قد جمعوا في روايات شفاهية، ثم في الأناجيل الأربعة [حذار أيها القارئ من صيغة التمويه هذه] ما سمعوه منه، وما رأوه يفعله».[٢]

فنحن نرى من ذلك أنه في وقت يسوع لم تكن هنالك ديانتان: يهودية ومسيحية، أو أي احتمال لذلك، بل هي ديانة واحدة يدين بها يسوع وتلاميذه معًا، هي الديانة اليهودية، حيث يعظ بها يسوع في المجامع، ويعلن على سمع

---

(١) نفسه : ص ٧١ .

(٢) نفسه : ٤٦ .

الناس جميعًا: أنه ما جاء لينسخ شيئًا من شريعة موسى، أو تعاليم خلفائه من أنبياء التوراة السالكين على نهجه، بل يمضي هو أيضًا على نفس الخطى، ملتزمًا نفس الحدود.

كذلك التزم بذلك سائر الرسل والتلاميذ بعد رحيل يسوع في تعليمهم وعبادتهم وإعلانهم له، وجمعوا الروايات الشفاهية في مدوّنات لما سمعوه منه، وما رأوه يفعله.

ويقول كاتب آخر هو أيضًا من كتّاب الكنيسة ومخالبها لتنصير المسلمين في حديثه عن تلاميذ المسيح بعد رحيله: «كان أتباع المسيح في أورشليم وفلسطين كلهم من اليهود في بدء الدعوة. وكما كان المسيح مع دعوته **بالإنجيل** [لاحظ فلتة لسان هذا الكاتب القدير عن دعوة المسيح بالإنجيل] يمارس الشريعة الموسوية، كان الرسل صحابته في دعوتهم للمسيحية يمارسون الشريعة الموسوية، فتيردّدون على الهيكل، ويحفظون الأعياد اليهودية، ويحافظون على الختان والسبت والصوم، وسائر أحكام التوراة، لأنها أمست جزءًا من قوميتهم. [!!]

«فكانوا كل يوم يلازمون الهيكل بنفس واحدة (أع ٢ : ٤٦)؛ ويصعدون إلى الهيكل للصلاة في أوقاتها (أ ع ٣ : ١)؛ وخارج أورشليم يقيمون الصلاة الإسرائيلية في أوقاتها (أع ١٠ : ٩)؛ وكان المتحررون منهم مثل بولس يحافظون على عوائدهم كالنذر التوراتي (أ ع ١٨ : ١٨) وكانوا يعيّدون مع اليهود أعياد الفصح (أ ع ٢٠ : ٦)، والعنصرة (أع ٢ : ١ ، ٢٠ : ١٦)» [(١)]

---

(١) الأب يوسف دُرَّة الحداد: القرآن دعوة «نصرانية» - ص ٤٨ - ٤٩ - ط ٢ - ١٩٨٦م - منشورات المكتبة البولسية.

أمر يسوع لتلاميذه بالالتزام من بعده بشريعة موسى يناقض الادعاء بالقيامة والألوهية للمصلوب

وهذا الإقرار بالتزام يسوع ثم تلاميذه معه ومن بعده بكل فرائض الديانة اليهودية وشعائرها ملزم لهم مرتين: الواحدة بشأن يسوع، والأخرى بشأن تلاميذه من بعده:

فأما بشأن يسوع فالتزامه بعبادة اليهود وطقوسهم لا يستقيم بحال مع دعوى ألوهيته سواء من جانبه، أو جانب أتباعه، لأن الدعوى على هذا النحو بها خَلَل شديد:

فالمفترض بشأن الإله حتى وإن تجسَّد في صورة بشر، مجاراة لمزاعمهم بشأن صاحبهم، أنه لا يكذب، ولا يضلِّل، ولا ينافق، ولا يكون جبانًا، وإنما يكون فوق الخضوع والانقياد لتلك العبادات والطقوس المفترضة من الإله على خلقه، ويكون بوسعه أن ينحاز بنفسه وأتباعه إلى نهج آخر يتوافق مع حكمته ومشيئته، كي يستبقي لنفسه فيها نوعًا من التميّز كعلامة لجلالة شأنه كإله، وما هو مزمع من فعله من بعدُ، ولا يسلك على هذا النحو من التبعية والخضوع لناموس موسى. لأنه لو كان إلهًا، حتى ولو جاء متجسدًا كما ذكرنا عنهم في صورة بشر، فإنه بسلوكه على هذا النحو من التبعية يضلِّل الناس بشأنه، ويكذب عليهم، بما يتظاهر به أنه مجرد واحد منهم، لا يزيد عنهم شيئًا في أصله وجوهره. ويتّسم من ثمة بالجبن وسائر النقائص البشرية، والتي لا تجوز من إنسان قويم، فضلاً عن إله حسب دعواهم تقتضي الحكمة أن يتخذ نهجًا يتدرج بهم نحو إدراك أصله وحقيقته، لا أن يغوص بهم في الحيرة والضلال، سواء أعلن ألوهيته

آنذاك، أو كان مزمعًا أن يعلنها في وقت آخر. وهذا خلل أول.

أما الخلل الثاني: ومن جهة يسوع نفسه أيضًا، فإنهم يزعمون أنه منذ أتى كان عالمًا بما يعتزمه من إعلان إلهيته في وقت معيّن، خاصة بحدَث القيامة بعد الموت على الصليب، وحيث من خلال ذلك الحدَث الرهيب ينكشف للناس السر الذي كان مستترًا خلال هذا الشخص يسوع الناصري أيام حياته معهم، وتعليمه إيَّاهم، وتقلبه بينهم. أي أنه يعلم منذ البداية بقيامته من الموت، وكشف ألوهيته صريحة بغير خفاء؛ ومن ثمة لابدَّ أن ينقلب كل شيء في الديانة والعبادة والفرائض والطقوس، وأن ديانة موسى وناموسه القائم لابدّ أن يتغيّرا ويختلفا تمامًا منذ لحظة الإعلان الصريح لإلهيته بذلك الحدَث الذي يزلزل أركان الكون بأسره. فلو كان ذلك الذي يزعمون جائزًا، لو سلمنا به جدلاً من الوجهة النظرية، وهذا الإله عالم هكذا من قبل بتدبيره ذاك لإعلان سرِّه ، وكشف الحجاب عن حقيقته، فلابدّ إذن في هذه الحال، ولو في أقل القليل، حتى لو افترضنا رغبته لسبب ما في الحيطة من مواجهة الناموس ومهاجمته، ولذلك ساير اليهود كأنه على ناموسهم وديانتهم، لاستوجب ذلك عليه أن يصمت عن التعرض للناموس، بما ييسر لأتباعه السلوك عندئذ بخلاف الناموس، أو الذكر له بشيء يناقض ما هو مزمع أن يعلنه من بعدُ بشأن نفسه في حدَث القيامة، بما ييسر لأتباعه عندئذ بخلاف الناموس حسب مقتضيات الحدث الهائل المتمثل في قيامة الإله الذي مات على الصليب، ولا يكونوا تحت ضغوط تعاليمه لهم من قبل فيما شدَّد عليهم من الاستمساك الشديد بالناموس وفرائضه؛ لكننا نرى الأمر قد جرئ من يسوع بخلاف ذلك كله:

فهو يأمر أتباعه بالالتزام التام بناموس موسى ، والعمل بمقتضاه، ويحذِّرهم من الإخلال به كما أخلَّ الكتبة والفريسيون؛ يقول متى: «حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: **على كرسي موسى جلس الكَتَبة والفرّيسيون، فكلُ ما**

قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون». [ص ٢٣ : ١ - ٣] . فهذا إلزام لا ينمُّ بحال عن كون قائله يمكن أن يكون مزمعًا أن ينقضه، وليس ذلك لمجرد حفظ ناموس موسى فقط، بل لأكثر من ذلك، وهو الأشق، أعني أمره إياهم بالالتزام العملي بطقوسه وفرائضه التي كانت تشقُّ على الكَتَبة والفريسيين الذين يهاجمهم ويتهمهم بأنهم يكتفون فقط بمجرد التعليم والترديد، وعند العمل يخورون ويتقاعسون.

لكن الأشدّ من ذلك جبروتًا وقوة هو ما جاء في تعليمه لهم في نفس الأمر ألاَّ يتخلّوا عن الناموس مهما حدث، إن عاجلاً أو آجلاً، وضرورة الالتزام بإقامته حتى يوم الدينونة. فيقول: «**لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء؛ ما جئت لأنقض، بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلَّم الناس، هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات. وأما مَن عمل وعلَّم فهذا يُدعى عظيمًا في ملكوت السموات. فإني أقول لكم: إنكم إن لم يزد برُّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات.**» [متى: ص ٥ : ١٧ - ٢٠] .

ولن يكون هنالك تعليم من أشدَّ الناس استمساكًا بالناموس، وتعصُّبًا له، وتزمتًا فيه، أكثر من هذا التعليم، وما يتَّسم به من غاية القوة والصرامة، ونستبين ذلك من أمور خمسة في هذا النص التيِّم:

الأول: أنه بدأ بضرب أي ظن أو حسبان من جانب أتباعه أو سامعيه بأي احتمال لأن ينسخ شريعة موسى أو خلفائه؛ فأكد أنه لن ينسخ شيئًا قط، بل هو يؤكد ويثبِّت.

الثاني: أنه ينص نصًا صريحًا، وعلى نحو رهيب، على أبدية ناموس موسى، ويحذر من التغاضي عن المبالاة بشيء منه مهمًا بدا هيِّنًا، أو غير ذي شأن.

الثالث: أنه يطلق التحذير الشديد لمن يخالف إحدى هذه الوصايا التي أمر بها بشأن الناموس.

الرابع: أنه يعطي البشارة والحافز للالتزام بالناموس وحفظه، والعمل به، وتعليمه، وأن مَن يفعل ذلك سيكون عظيمًا في ملكوت السموات.

الخامس: أنه يطلق التحذير الرهيب لأتباعه إن لم يلتزموا بالحفاظ على الناموس، والعمل به، بحيث يتفوقون في ذلك على الكتبة والفريسيين، بأنهم لن يكونوا مستحقين لملكوت السموات، حتى وإن تساووا بهم في حفظه وتعليمه، دون التفوق عليهم بالعمل والبرّ.

هذا التشديد الذي لا مزيد عليه للعمل بالناموس، والحفاظ عليه، يمتنع بحال من الأحوال أن يصدر من إنسان يعقل،، فضلاً عن إله مزمع أن يكشف بعد حين لمن يخاطبهم عن سر أو أمر يضرب هذا الناموس وينقضه. ذلك أن يسوع لو كان قد اعتزم أو شاء أن يكشف عن إلهيته التي يزعمونها له من خلال القيامة، وهو الأمر الذي يضرب الناموس في مقتل، لما نطق من ذلك حرفًا واحدًا، وكان يسعه الصمت والتجاهل لأي شيء يلمس هذا الجانب، كما فعل مثلاً عندما قذفه اليهود بأنه مولود من زنا، وأنه من أب غير الذي ينتسب إليه، فلم يعلق على ذلك بحرف واحد، رغم الرغبة الملحة عند أتباعه قبل خصومه أن يسمعوا قوله في هذا الأمر البالغ الحرج بالنسبة له، فكيف ونحن لا نجد في المناسبات أو المواطن التي أدلى فيها بهذه الوصايا أي مواقف أو أحداث تضغط عليه لافتعال ذلك؛ بل تأتي عفوًا وبمطلق إرادته الخاصة. وقد كان صاحب تصرّف واحتيال للأمور، فلو افترضنا جدلاً أنه ربما كان هنالك موقف أو مواقف اقتضته أن يتكلم بشأن الناموس، لوجد لذلك أكثر من سبيل للتخلّص، أو القول بما هو أخف وأيسر بكثير من هذه الإلزامات القاسية على أتباعه، وفي نفس الوقت يخلو من التناقض مع أمر سيكون من بعدُ يطمس هذا الناموس وينسخه.

هذا أمـر مناقض تمامًـا لإله يزمع أن يكشف عن ذاته في حدَث رهيب يذهب بذلك النامـوس والآخـذين به. ومن ثم لا يجـوز منه قط هذا التـشـديد بشـأن الناموس، والذي يضع أتباعه وقت ذلك الحدث وبعده في حيرة وضياع: إن كانوا يلتزمون بالناموس كما أمرهم بذلك من قبل، أم لا يلتزمون! وإن التزموا فكيف يكون ذلك مع ما انكشف من أمره وألوهيته؛ وإن كانوا لا يلتزمون فما المبرِّر الذي بسببه كان يشدِّد عليهم في ذلك بما يجعلهم في دوامة الحيرة، ويصيبهم بالعجز عن التوفيق بين الأمرين؟!

ليس الأمر إذن باليسير كما يتصور المسيحيون، ولا كان يسوع سفيهًا، أو محدود العقل والذكاء ليقع في مثل هذا التناقض الصارخ أمام كل ذي عقل ووعي.

هنالك إذن فجوة كبرى لا تُعبر بين قائل هذه التعاليم، وبين القائلين بالقيامة والأناجيل، وتأليه المسيح ابن مريم!!

التزام تلاميذ المسيح من بعده بشريعة موسى يؤكد أنهم لم يقولوا له بالألوهية ولم يعترفوا بالقيامة

يبقى بعد ذلك فجوة أخرى مثلها بشأن التلاميذ، فهؤلاء أيضاً من جانبهم، وطوال فترة العهد الرسولي الذي امتدّ بعد رحيل المسيح لحوالي أربعين سنة، قد ظلوا، وحسب اعتراف كُتّاب الكنيسة كما ذكرناه من قبل، يسلكون على نهج يسوع، وتعليمه الحرفي، وتمسكه بأداء الشعائر والعوائد اليهودية، والحفاظ على الناموس، والتعليم في المجامع كما كان يعلّم هو من قبل. وهذا يعني أنه لم يحدث شيء قط يترتب عليه أي تغيير أو تعديل في العقائد والطقوس اليهودية بسبب صلب يسوع وموته وقيامته التي يقول بها المسيحيون. ونحن لو جاريناهم في زعمهم أن تلاميذه لم يكونوا يدركون إلهيته إبّان حياته، وكانوا يتعاملون معه كنبي فحسب، فلما مات على الصليب، ثم قام بعد ذلك حيّاً، انكشفت لهم إلهيته التي كانت مستترة عن إدراكهم من قبل، فإن الحال عندئذ، أي عند وقوع هذا الحدث، والاعتقاد هنالك حقّاً بإلهيته، لابدّ أن يتخذ بُعْدًا خطيراً؛ إذْ هاهم يعاينون ربهم وخالقهم، ومنزل الناموس على موسى والأنبياء، فكيف يكون سبيلهم إذن لعبادته، ونشر هذا الأمر وإذاعته بين سائر التلاميذ وكل البشر، وما الذي يعلّمهم بشأنه هذا الإله القائم من الموت ويمليه عليهم في هذا الأمر. وعندئذ سيرجعون إلى إخوانهم ويخبرونهم بهذا الأمر الجلل، ومنذ تلك اللحظة يلتزم الجميع بالإقرار له بالألوهية والعبادة!!

لكن الذي حدث، وكما كشفت عنه الشواهد والقرائن وحقائق التاريخ، كما ذكرنا بعضها من قبل، أن الرسل والتلاميذ، وبما حملوه في العهد الرسولي من روايات شفاهية حرفية ودقيقة لتعاليم يسوع قبل نهايته، ثم بعدما ظهر لهم بعد

أحداث الصلب والقيامة المزعومة لم يغيّروا شيئاً قط في العقائد والطقوس، ولا فيما علّمهم يسوع من ذلك. ولم يقع تمايز قط بين أتباع موسى وأتباع يسوع يوحي بوجود، أو احتمال وجود، ديانة أخرى بجانب الديانة اليهودية القائمة. إلا ما كان من شيطان المسيحية بولس، وهذا لم يكن من تلاميذ المسيح، ولا شهد أحداث القبض والصلب، ولا الإله القائم من الموت، حسب الزعم المذكور؛ ومع ذلك كان عندما يرجع إلى أورشليم من طوافه بالشعوب الوثنية يخضع لكل متطلبات الناموس، وهو أمر واضح وجلي في سفر أعمال الرسل [ص ٢١ : ١٨ - ٢٦]. وهكذا استمر العهد الرسولي لم تشبه شائبة قط بدعوى تأليه يسوع من جانب رسله وتلاميذه الحقيقيين. وهذا إذن حجة على الكنيسة التي زعمت أنه منذ مشهد القيامة آمنوا جميعاً بألوهيته؛ فلو صح ذلك لانعكس بدوره على الروايات الشفاهية الدقيقة لهؤلاء التلاميذ في العهد الرسولي، ولما ضاقت بهم الكنيسة لشدّة أمانتهم لحرفية ما قاله يسوع وعمله؛ فهل حادث القيامة وتعليمه لهم صيغة التثليث المزعومة ليست أيضاً من قوله وعمله الذي كان يلزم تلاميذه الأمناء هؤلاء - لو كان ما قيل بشأن القيامة والتثليث حقّاً - أن يقولوه وينقلوه بأمانة وبحرفية ألفاظه في تعليمه إياهم بذلك؟! فلماذا لم يحكوا ذلك، ولا نقلوه عنه أتراهم ضاقوا به بعد القيامة وارتدّوا كافرين؟!! وأين كان يكون دور الكنيسة إذن وهي التي تفخر وتزهو بأن ذلك فاتهم، فاستدركت هي عليهم في هذا الأمر، وقامت به من خلال الأناجيل التي تولّت إعدادها وكتابتها حسب رؤيتها لذلك اللاهوت العجيب الذي عميت عنه أبصار أقرب المقربين إلى يسوع، واقتنصته عين الكنيسة وحدها فقط لا غير؟!

يمتنع تماماً أن يكون يسوع قد صُلب ومات، ثم قام حيّاً، وادّعى الألوهية، وأسقط الناموس، وعلّم بشيء جديد، ثم يعود كل تلاميذه جميعاً مطبقين على الصمت والإخفاء لهذا السرّ الرهيب، والحدث العجاب!!

نحن نلزمهم من مصادرهم الموثقة

بدسّ نص التثليث

وقد قامت الكنيسة بتقديم شهادة الكذب على نفسها وعلى المؤمنين بما فعلته بذلك النص الذي وضعته على لسان يسوع بعد القيامة «اذهبوا، **وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس**» [متى ص ٢٨ : ١٩]، فلو أن ذلك قد حدث حقّاً من يسوع وأمرهم به، لالتزموا به جميعاً. لكننا كما رأينا من قبل كان كل من بطرس وبولس يعّمدان باسم يسوع فقط، وليس بصيغة التثليث المذكورة؛ فهل اتفقا على العمل ضدّ يسوع وتعليمه وهو الإله الذي قهر الموت، وقام حيّاً، ويقدر أن يفعل بهم الأفاعيل؟!

كذلك وجدنا نص أوسابيوس القيصري صاحب تاريخ الكنيسة قد خلا تماماً من الإشارة إلى المعمودية والتثليث، وأتى به هكذا: «**اذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم باسمي**»[1]، فكيف يتسنى لمؤرخ الكنيسة أن يبتر الشطر الخاص بالمعمودية والتثليث لو كان لذلك أصل عن المسيح، مع أن الذي ذكره هو أيضاً لا أصل له عنه، وهو الذي قام بإعداد نشرة الإنجيل بعد مجمع نيقية بناء على أمر الإمبراطور ليضمّنه القول بإلهية يسوع؟!

ثم كيف يختلف إخوان بطرس معه بسبب الأممي «كرنيليوس»، وقد كان رفاق بطرس هؤلاء حسب إنجيل متى شهوداً معه للإله القائم من الموت، وسمعوا منه نفس التعليم بالمعمودية والتثليث، وقبلهما تبشير الأمم حسب تلك الصيغة العجيبة، فهل نسوا، وهل نسى بطرس أيضاً وأصيب بالبكم لنسيانه فلم يردّ عليهم بأنهم قد سمعوا ذلك بأنفسهم من الإله القائم من الموت كما سمع، بدلاً

---

(١) أوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة: ك ٣: ف ٥:٢ .

من أن ينسب الأمر إلى نفسه واجتهاده؟!

ثم كيف يكون ذلك وتحدث تلك المواجهة الحادّة بين بولس وبطرس في أنطاكية حيث انسحب بطرس من مؤاكلة الأممين عندما جاء وفد من كنيسة أورشليم المتمسكة بناموس موسى وإنجيل يسوع معاً في العهد الرسولي، وهلاّ كان أولى ببولس أن يذكّر بطرس بتلك الصيغة التي سمعها هو ورفاقه قبل بولس ومنهم عرف بها، ولا يلجأ إلى قذفه بالتلّون والجبن والتناقض؛ وقد كان ذلك يكفي بولس لسحق بطرس وكشفه متنكّراً للتعاليم التي سمعها من الإله القائم؟!

لكن واقع الأمر أن بولس لم يعرف قط شيئاً عن هذه الصيغة التثليثية، ومن ثم بدا الموقف بينه وبين بطرس كأنه صراع شخصي متعمّد من جانبه، سواء صح تبريره لذلك من واقع الحال أو لم يكن له تبرير كافٍ لذلك؟!

ثم كيف يفوت بولس الذكي الداهية استغلال هذه الصيغة في عتابه العنيف إلى أهل غلاطية الذين تأثروا بتعاليم النصارى المتهوّدين المستمسكين بالناموس، فاتهمهم بالاستجابة لقوم «يحوّلون» الإنجيل [غلاطية: ص ١ : ٦]، ولا يذكر هذه الصيغة التثليثية الواضحة التي تبطل الناموس، وتبطل موقف النصارى المتهوّدين، وتضربهم في مقتل، ويكشف تنكرهم لتعاليم يسوع فيحذرون منهم، ويعلمون أن الحق معه لو كان لها يومئذ وجود، أو أصل عن يسوع؟!

ثم كيف يفوت ذلك القديس باسيليوس في جدله الشاقّ مع المنكرين لتمجيد الروح القدس، وصيغة التثليث، ويعترف أنها مجرد تقليد يقال عند المعمودية، ومن أسرار الكنيسة غير المكتوبة، ولا يذكّرهم بأن ذلك تعليم من الإله القائم حسب أخبار الرسل والتلاميذ عنه أنه قال ذلك لهم في حدث القيامة وذكره الإنجيل، بما يلزم منه أن منكر ذلك خارج عن الإيمان؟!

ثم كيف يفوت ذلك علاّمة الكنيسة الأكبر أوريجانوس فيقول إن التثليث

والمعمودية مجرد سنة أو تقليد، وليس بفريضة، أي ليس له أساس من تعليم المسيح؟!

ثم كيف ينشقّ المسيحيون في تلك القرون الأولى بشأن المسيح، وينكر أكثرهم ألوهيته، حتى تستعين الكنيسة بالامبراطور الوثني قسطنطين، الذي خدعهم بادّعائه اعتناق ديانتهم رغم كونه في نفس الوقت كاهن الوثنيين، ليدعم قول الكنيسة بتأليه المسيح، لو كان تأليهه مسلّماً حقّاً من خلال الرسل والتلاميذ من قبل بعد تلك القيامة المزعومة، وعلى ما تمليه تلك الصيغة التثليثية، حيث لا يكون هنالك أي مبرّر لأي مسيحي أن يعترض على تلك الألوهية حسب معاييرهم أو يشكك فيها؟!

ونفس الحال يقال أيضاً في المعترضين على تأليه الروح القدس، إذْ يكون هنالك الكفاية حسب تلك الصيغة من الإله القائم، والدليل الحاسم الذي يرضيهم، حتى يصير تأليه الروح مقطوعاً به، ولا يكون هنالك سبيل للتشكيك بشأنه؛ أم لعل رؤساء كنائس المسيح قد بدا لهم أنهم رغم وجود هذه الصيغة المقدسة، ويقينهم القاطع بأنها من منطوق معبودهم القائم من الموت، لا يثقون بقوله ونظره في أمور الاعتقاد، وأنهم أولى منه ببحث ذلك، والقول فيه بما لهم من عقل راجح، وبصيرة ثاقبة، ورأي سديد لم يكن مثله لمعبودهم، الأمر الذي اقتضاهم عقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م لتأليه المسيح، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م لتأليه الروح القدس؟!!!

على أية حال، فإنه حيث التزم الرسل والتلاميذ في العصر الرسولي بالناموس، وسائر الفرائض والشعائر اليهودية حسب تعليم يسوع لهم بذلك، وما كان عليه قبل أحداث القبض والصلب والقيامة التي يقولون بها، ولم يعرفوا تلك الصيغة التثليثية، كما ذكرنا ذلك من قبل، والتي وُضعت في نهاية إنجيل متى في أواخر القرن الرابع، فإنه يصير بوسعنا أن نقول إن قصة القيامة لا أصل لها

بشأن المسيح ابن مريم، بل هي أسطورة مخترعة بشأنه على غرار آلهة الوثنيين، والتي كانت شائعة في الشرق القديم، وأن صيغة التثليث هي أيضاً لا أصل لها بحال في العهد الرسولي الذي امتدّ بعد رحيل يسوع لمدة أربعين سنة، ومن ثم هي مختلَقة بعوامل التأثير الوثني في أتباع مسيح الناصرة على امتداد ثلاثة قرون بعد المسيح وتلاميذه.

السياق الذي وردت به صيغة التثليث يناقض القول بالقيامة وألوهية المسيح

إن حلم القيامة حلم جميل وممتع، ولكنه فاسد ومعطوب:

فالإله القائم من الموت بدلاً من أن يظهر للذين صلبوه وقتلوه فيجذبهم للإيمان به مأخوذين بذلك الحدث الفذّ الفائق العظمة والرهبة في تاريخ البشر، ويريهم سلطانه القاهر لهم وللموت معاً، إذا بنا نراه لا يظهر إلا لفئة هزيلة ومحدودة جداً، هم هؤلاء الأحد عشر تلميذاً، أي رسله فقط لا غير، أي لعدد قليل كل القلة من شيعته يمكن أن يتواطأوا على الكذب لأسباب تعنيهم بشأن صاحبهم. ورغم ذلك فإن بعض هؤلاء الأحد عشر لم يقتنعوا بهذا الذي رأوه، وسجدوا له، بل شكّوا فيه!!

وفضلاً عن ذلك فإن هذا التعليم الذي يأمرهم به آنذاك واضح التناقض؛ يقول كاتب متى: «وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل، إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا»، «ولكن بعضهم شكّوا»! فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا «جميع» ما «أوصيتكم» به». [ص ٢٨ : ١٩ - ٢٠].

فكاتب متى الذي دسّ صيغة التثليث هذه، وجعلها على لسان المسيح بعد القيامة، قد أعطى دليل كذبه واختلاقه لتلك الصيغة في موضعين من نفس النص:

الأول: انه صرح بشكّ «بعض» الأحد عشر المقرّبين إلى يسوع، وأدرى الناس به، سواء في شكله وصورته، أو صوته، أو تعليمه، أو تصرّفه، أو سائر سمات شخصيته، شكّوا في كون هذا الذي رأوه إن كان هو يسوع، أو هو غيره؛

ومن ثم نصبح أمام أمرين:

إما أن الذي رأوه آنذاك هو يسوع الحقيقي فيتعلّق الشك عندئذ بأنهم لم يتبيّنوا من حاله قط أنه كان هو المصلوب، فتنهار دعوى القيامة من أصولها، حيث يوقنون آنذاك أن المصلوب كان شخصاً آخر، ومن ثم لم يحدث ليسوع موت ولا قيامة.

وأما أن الذي رأوه قائماً، أو يدّعي القيامة من الموت ليس هو يسوع الذي عرفوه عن قرب، وعايشوه وسمعوا منه، وتعاملوا معه، فتنهار القصة أيضاً من أصولها؛ إذّ هو دسيس أو دخيل يقوم بدور يسوع وليس بيسوع ذاته، فلا إلزام عليهم بأمر فيه خديعة واحتيال!

أما الموضع الثاني من كذب كاتب متى، فيتمثل في تلك العبارة التي وضعها على لسان هذا الذي رأوه، مدّعياً أنه يسوع، وأنطقه بصيغة التثليث، حيث أعقب تلك الصيغة مباشرة بقوله على لسانه: **«وعلّموهم أن يحفظوا «جميع» ما «اوصيتكم» به»**؛ فهذه العبارة تذكرّنا بما أوردناه من قبل من تعاليم يسوع بالالتزام بالناموس، والاستمساك به، أي بما كان يأمرهم به ألا يخرجوا قط عن الديانة اليهودية!

فكيف يتفق هذا، وهو كإله قائم من الموت، قد أمرهم في تلك الصيغة التثليثية بتبشير «جميع» الأمم، أي لا يقتصرون على شعب إسرائيل حسب ناموس موسى الذي يأمرهم بالتزامه، والحفاظ عليه، وهو بذلك يضرب هذا الناموس في الصميم؟!!

ثم كيف يتفق هذا، وناموس موسى مؤسس على الاعتقاد بإله واحد، وها هو يسوع حسب زعمهم يقول لهم: «عمدوهم باسم: الآب، والابن، والروح القدس»، فصار للألوهية هنالك وجوه ثلاثة، بدلاً من إله واحد، ووقع التعارض بين

التصورين في العقيدة الإلهية، بين توحيد موسى وتثليث أصحاب الإنجيل؟!!

إن الأمر في الحالين أن هذا التعليم مناقض تماماً لشريعةموسى التي أمرهم الا يتخلّوا عنها بحال، لأنها أبدية إلى يوم الدينونة:

أليس هو القائل في الوصية العظمى في مرقس: «إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الربّ إلهنا ربّ واحد»؟! [ص ١٢ : ٢٩].

أليس هو القائل للرسل الاثنى عشر: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحريّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»؟! [متى ص ١٠ : ٥ – ٦].

أليس هو القائل: «لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قُدّام الخنازير، لئلاّ تدوسها بأرجلها، وتلتفت فتمزقكم»؟!! [متى ص ٧ : ٦].

أليس هو الذي راحت المرأة الكنعانية تستغيث به من أجل ابنتها: «فلم يجبها بكلمة. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها، لأنها تصيح وراءنا! فأجاب وقال: **لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة!** فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد، أعنّي! فأجاب وقال: **ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب**»؟!! [متى ص ١٥ : ٢٣ – ٢٦، وانظر معه مرقس ص ٧ : ٢٦ – ٢٧].

فكيف يستقيم ذلك كله مع صيغة التثليث المناقضة لكل ما ذكرنا من ذلك؟!.

كيف يستقيم مع الوصية العظمى بأن الربّ إلهنا ربّ واحد؟!

كيف يستقيم مع كونه لم يُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة؟!

كيف يستقيم مع ازدرائه لكل مَن عدا الإسرائيليين بأنهم كلاب وخنازير؟!

إن النقيضين لا يجتمعان بحال.

وقد كان بوسع كاتب متى الا يذكر تلك العبارة: «وعلموهم أن يحفظوا

«جميع ما أوصيتكم به»، حتى يتحاشى هذا التناقض الشنيع لكن غباءه وحمقه الذي أملى عليه أن يذكر ذلك، كما ذكر شكّهم فيمن ادّعى أنه يسوع القائم من الموت، كان قرينة قاتلة تماماً لأي احتمال بصدور هذه الصيغة عن يسوع، أو عن رسول ليسوع، قام بتبليغ رسالته للأحد عشر التلاميذ الرسل!

خلاصة المقال

لا علاقة للقيامة والتثليث بالمسيح وتلاميذه

واضح إذن أن نص التثليث دخيل مدسوس، ومن نتاج أزمنة متأخرة كثيراً عن عصر التلاميذ، ورواياتهم الشفاهية الدقيقة لتعاليم يسوع وأعماله. وأن دعوى القيامة تفتقر إلى بيّنة صحيحة، أو قرائن راجحة بأن الذي صُلب وأُنزل من الصليب على أنه ميت، ثم أفاق من غيبوبته، كان هو يسوع؛ وليس الأمر بذاك، بل هو آخر؛ ولكن الخطب جَلَل، وليس هذا موضع بيانه!!

وبالتالي فكل ما يقال عن كون يسوع مات على الصليب، وقُبر، ثم قام حيّاً، فيما يسمونه «**القيامة**» التي ادّعوا تأليهه استناداً إليها، لا أصل له ولا أساس.

إن شيئاً من حال التلاميذ لم يتغيّر قط طوال العهد الرسولي بعد يسوع عما كان عليه أيام يسوع. ولا يكون ذلك إلا لامتناع وقوع شيء يقتضي التغيير والتبديل عما كانوا عليه معه. ولو كان للقيامة المزعومة علاقة بيسوع الحقيقي لاختلفت الحال بالكلية عما كان من قبل.

إن حال التلاميذ في العهد الرسولي يؤكد صواب الرأي القديم القائل بشك الناس منذ ليلة القبض، ووقت الصلب، في شخص المقبوض والمصلوب، حتى إن كاتب إنجيل متى هو نفسه لم يستطع إخفاء قوة هذا التيار واستمراره قويّاً ظاهراً حتى لحظة كتابته تلك الصيغة في آخر القرن الرابع، إذْ ألمح إليه خلال إشارته الغامضة بقوله: «**ولكن بعضهم شكّوا**»!

نعم؛ هذه الإشارة هي ومضة الحقيقة الوحيدة في ذلك النص المدسوس!

وكم كان بطرس صادقاً كل الصدق عندما أقسم أنه لا يعرف ذلك الرجل الذي قبضوا عليه ظانّين أنه يسوع. وكم كان يسوع شديد الحذر من كشف بطرس للسرّ عندما تنبأ أنه سينكره، ويعني أنه يخشى أن يكشف بطرس ذلك

السرّ بشأن المقبوض، فيصدّقوه، وينطلقوا للبحث عن يسوع الهارب؛ ومن ثم كان بودّه أن يتستّر بطرس، حتى يتوفر الأمن ليسوع في رحلة هروبه؛ ولكن يسوع لم يكن مستطيعاً أن يفصح، وكان بطرس طيّب القلب، سليم النيّة، فلم يفطن إلى دهاء معلمه!!

شهادة التاريخ إذن بأن تلاميذ المسيح في العهد الرسولي قد ظلوا على تعليمه بالتزام شريعة موسى، والتعميد باسم يسوع فقط، كما رأينا عند كل من بطرس وبولس، والشكوك التي أثيرت بقوة حول تأليه يسوع، وتأليه الروح القدس، وصيغة التثليث، وشهادة بطرس أن المقبوض ليس يسوع، كلها قرائن قاطعة بأن حدث القيامة المزعوم لم يقع قط بشأن يسوع، وأن الحقيقة بخلاف ذلك تماماً؛ حتى وإن أقررنا بوجود مصلوب قيل إنه يسوع، وقيل بموته على الصليب، وقيل بقيامته بعد ذلك، أو بمعنى أدق إفاقته وانتعاشه من غيبوبته بعد إنزاله من الصليب حتى يُدفن حسب قول الذين قاموا بذلك.

لقد نُسب الصلب والموت والقيامة إلى يسوع اختلاقاً لقصة تُستسقى من التراث الوثني لتبرير القول بخرافة الإله المتجسّد الذي جاء لخلاص البشر، والتي تبنّاها جاحد شرّير لتضليل الناس عن الأصل الصحيح لدعوة يسوع وتعاليمه!

نهاية مؤلمة لأحلام وثنية!!

ولكن الباحث الأمين يجب أن يكون حاسماً كالسيف القاطع حتى مع نفسه، ليستطيع أن يتلمّس الحقيقة مجردة من غلالات الخداع والتزوير. إنها دائماً قاسية مريرة. ولكن هكذا قُدّر لها أن تكون، ليتميز الصادق في البحث عنها، المتحمّل بأثقالها، من المخادع الكاذب الذي يتاجر باسمها، ويتنكّر لصورتها وواقعها، بما يحوطها من أشواك وآلام!

إن المشكلة ليست من جانبنا نحن المسلمين؛ إنها من جانب هؤلاء المسيحيين؛ إنهم «حائرون ومعاندون»؛ وإذا وقع التمادي في الصفتين معاً من فرد أو أمة، فلا جدوى هنالك من نصح الناصحين!!

ثانياً: قضية «الدياطسرون» وصاحبه «طاطيان»

في أواخر القرن الأول لميلاد المسيح وُلد رجل يُدعَى «مرقيون Marcion»، يقال إنه من بلدة تُدعى «سينوب» على البحر الأسود، وكان من أسرة وثنية فاعتنق المسيحية، ثم إنه سافر إلى روما سنة ١٤٠م، وتأثر هنالك بالنزعة الغنوسية Gnosticism، أي مذهب أهل «العرفان». وتحت تأثير هذا المذهب رفض كتاب العهد القديم، وما ورد به عن الإله خالق العالم، والذي يتّسم في نظره بالعدل والصرامة والقسوة بسبب ما كان بشأن آدم الذي كسر الوصية، فطُرد من الجنة، وجاء الداعي إليه المسمى موسى بناموس صارم، وقصاص شديد ممن يخالفه. فضلاً عما يتخلّل العالم الذي خلقه ذلك الإله من شرّ وفساد. ومن ثم تراءى له استحالة التوفيق بين ديانة أو شريعة تدعو إلى هذا الإله، وبين ما يدعو إليه المسيح، والذي كان يعتقد مرقيون أنه لم يكن ذا جسد بشري حقيقي، بل كان روحاً خالصاً، لأن الجسد هو من الهيولي التي هي شرّ وفساد، وتتلوث به الروح، ومن ثم لم يكن للمسيح ابن الإله الصالح أن يتلوث بها عن طريق جسد بشري حقيقي، وإن بدا في صورة رجل من الناس، لكنه كان بذلك مجرد طيف أو صورة على هذا النحو ليأنس الناس إليه، ويسمعوا منه. وأنه قد جاء من أبيه الصالح بشريعة العفو والفضل في مقابل شريعة العدل والقصاص التي جاء بها موسى من الإله العادل خالق هذا العالم الشرير. لذلك علّم مرقيون باستحالة التوفيق بين العهد القديم والعهد الجديد. وزعم أن تلامذة المسيح الذين استمسكوا بالعهد القديم قد أفسدوا إنجيل المسيح

وانحرفوا عنه.

وقد أدى ذلك الموقف إلى الصدام بين مرقيون والكنيسة سنة ١٤٤م في روما، الأمر الذي أدى إلى طرده من الكنيسة، وإدانة مذهبه، واتهامه بالهرطقة، ومقاومة تعاليمه. فغادر روما، وترحّل يدعو إلى مذهبه، حتى توفي أواخر القرن الثاني دون تحديد.

وقد كوّن مرقيون لنفسه إنجيلاً خاصّاً به، أسسه من إنجيل لوقا، بعد استبعاد الإصحاحات الثلاثة الأولى وأغلب الإصحاح الرابع، مع عشر من رسائل بولس، وبعد أن أعاد صوغ هذا الإنجيل وتلك الرسائل، وبعد أن أسقط ما يراه متعارضاً مع تعليمه.

وقد كان إنجيل مرقيون هذا هو أول إنجيل يحمل صفة «**الاعتماد**» و«**الشرعية**» عند صاحبه وأتباعه، دون سائر الأناجيل المنتشرة في ذلك الوقت في العالم المسيحي. الأمر الذي حرّك الكنيسة التي لم تكن قد اعتمدت بعدُ إنجيلاً خاصّاً بها من تلك الأناجيل الكثيرة والمتنوعة حسب المذاهب والآراء المختلفة بشأن المسيح ورسالته، إلي أن تختار إنجيلاً أو عدة أناجيل، تعتمدها من جانبها ،وتضفي عليها صفة «الشرعية»، وتستبعد كل ما يخالفها.

وهكذا اختارت الكنيسة أربعة أناجيل هي أناجيل : **متى**، **مرقس**، **لوقا**، **يوحنا**؛ أو بالأدق الأصول البدائية لهذه الأناجيل الحالية. وكان ذلك بعد منتصف القرن الثاني.

لكن يبدو أن اختيار الكنيسة لتلك الأناجيل لم يلق القبول الكافي عند الجمهور، وأن الأصوات قدارتفعت متسائلة عما يبدو من تعارض واضح بين الروايات الأربع للإنجيل؛ وهنالك ظهر فيلسوف مسيحي يُدعى «طاطيان -Ta tian» فكّر في عمل يقوم به لاستدراك الموقف بصوغ تلك الأناجيل الأربعة في

نسق واحد ينساب منتظماً خالياً قدر الإمكان من عثرات التعارض، أو على الأقل مجرّداً من السمات الواضحة التي توحي بذلك.

وقد نوّه أوسابيوس القيصري المتوفي سنة ٣٤٠م، صاحب تاريخ الكنيسة، بعلم طاطيان هذا، وما ظفر به من تقدير وشهرة، وقوته في الردّ على بعض الفلاسفة اليونايين من المعارضين للمسيحية، فقال عنه في سياق حديثه عن يوستينوس الشهيد معلّم طاطيان: «... فهذا ما رواه طاطيان الذي ألقى عدة محاضرات في أوائل أيام حياته عن علوم اليونايين، ونال شهرة عظيمة فيها، والذي ترك ذكريات كثيرة جداً عن نفسه في كتاباته. وقد سجّل هذه الحقيقة في مؤلَّفه **ضد اليونانيين** حيث كتب ما يلي: «وقد صرح بحق ذلك الرجلُ العظيم يوستينوس أن الأشخاص السابق ذكرهم كانوا كاللصوص»[١].

كما يتضح ذلك أيضاً من قوله عنه - رغم اعتراضه على كتاب طاطيان لتسيق الأناجيل أنه:

«... جمع مجموعة من الأناجيل - لست أدري بأية كيفية - وأطلق عليها اسم: «دياتيسرون»، وهي لاتزال في أيدي البعض ولكن يقال إنه تجاسر على تحليل بعض كلمات الرسول [يعني بولس] لتحسين أسلوبها.

«وقد ترك كثيراً من الكتب، أكثرها استعمالاً بين أشخاص كثيرين كتابه المشهور: **«خطاب إلى اليونايين». وهو أفضل كتبه وأنفعها**. فيه يتحدث عن الأزمنة الغابرة، وبيّن أن موسى والأنبياء العبرانيين كانوا أسبق من جميع من اشتهر بين اليونانيين»[٢].

وارجو الاّ تندّ عن فطنة القارئ الكريم عبارة أوسابيوس: **«جمع مجموعة من**

---

(١) أوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة: ك ٤، ف ١٦: ٧ .

(٢) نفسه: ك ٤، ف ٢٩: ٦ -٧ .

الأناجيل، لست أدري بأية كيفية، وأطلق عليها اسم «دياتيسرون»: فهذا التجاهل المتعمد من أكبر مؤرخي الكنيسة لتسمية تلك الأناجيل، والكلام عنها بهذه اللهجة من الاستخفاف، لا يخلو من دلالة، وهي أنه يضنّ بتسميتها، لأنها على النحو الذي كانت عليه في زمنه، وكما انعكست خلال **«الدياطيسرون» لا** تستحق أن تحمل أسماء الأناجيل الأربعة المعروفة. وهذا ما سنوضح دلالته في هذا السياق عما كانت عليه الأناجيل في القرن الثاني الذي كان فيه طاطيان، والقرن الثالث من بعده، من مسخ وتشويه.

كذلك يشير أوسابيوس إلى طاطيان كأحد المدافعين الكبار عن ألوهية المسيح، ضدّ مذهب «أرتيمون» الذي كان من النصارى الموحّدين، **ويعتبر المسيح مجرد إنسان**، فيقول: « ... وهنالك كتابات لبعض الإخوة... كتبوها دفاعاً عن الحق، وضدّ الوثنيين، وضدّ الهرطقات التي كانت في أيامها. وإنني أشير إلى: يوستينوس، وملتيادس، و**«تاتيان»**، واكليمنضس، وآخرين **عن المسيح في كل مؤلفاتهم - كإله»** [1].

وكل ما نقلناه من أوسابيوس بشأن طاطيان يكشف عما ظفر به هذا الرجل من مكانة علمية ومقدرة فلسفية، وغيرة على عقيدة الكنيسة بشأن المسيح. وبالتالي نتعرّف من ذلك على وعيه العميق بخطورة المشكلة الإنجيلية المتمثلة في وجود أربع روايات للإنجيل لا تخلو من سمات التعارض الصريح، والتي لا يتيسر تبريرها، وتستوجب عملاً جاداً لتلافي تلك السلبيات.

---

(١) نفسه: ك ٥، ف ٢٨ : ٤ .

موقف الكنيسة من الدياطسرون

على أن عمل طاطيان لخلق التوافق بين الروايات الأربع للإنجيل، وتيسير قراءته للمسيحيين، وتعريفهم بأخبار المسيح وتعاليمه في نسق منتظم، لم يظفر بقبول من الكنيسة، ولا بتقدير يستحقه من معاصريه؛ فثارت العواصف ضد «الدياطسرون» ومصنّفه، وقالوا: إنه قداقتبس فيه من مصادر **«ابو كريفية»، خاصة من «الإنجيل بحسب العبرانيين»**؛ ويعنون به ذلك الإنجيل الذي كان بأيدي النصارى المتهوّدين المنكرين لألوهية المسيح من: **«ابيونيين»، و«ناصريين»، و«كيرنثيين»، و«كسائيين»**، والذين كانوا يزعمون أنه الأصل العبراني الذي كتبه متى، تلميذ المسيح، وأحد الرسل الاثنى عشر، وكانت الكنيسة ترفضه في صورته عند تلك الفرق التي ذكرناها، وادّعت أنهم قدحرّفوه عن أصله.

على أن بعض كُتَّاب الكنيسة المتشدّدين ضدّ التراث «الأبوكريفي» يعترفون رغماً عنهم بقيمة وأهمية هذا الإنجيل في القرون الأولى، وتأثر كثير من آباء الكنيسة القدامى به. يقول أحدهم في ذلك:

«من هنا نتبيّن أن الكنيسة لا تشجب بالضرورة كل ما ورد في أدب الأبوكريفا؛ **فعند الآباء ما يقارب الأربعين استشهاداً او تنويهاً بإنجيل «العبرانيين» الذي كان قسم من المسيحيين العبرانيين يستعمله في أواخر القرن الأول...»**[(١)].

وفضلاً عن ذلك لا ننسى أيضاً أن «الإنجيل بحسب العبرانيين» هذا كان واسع التأثير والانتشار في البلاد السورية آنذاك، وهو من أسباب ذيوع كتاب طاطيان هنالك في تلك المرحلة.

كذلك قالوا - وكما ذكر أوسابيوس من قبل - أنه قد استعان بعبارات من

---

(١) كتاب «الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله - لمجموعة من المؤلفين - ص ٢٩ - سلسلة: تعرّف إلى كنيستك - منشورات النور ١٩٨٢ - بيروت.

رسائل القديس بولس، أو حلّل بعض كلماته، للربط بين بعض النصوص في كتابه؛ أي أنه قد أدخل في نصوص الأناجيل المعتمدة من الكنيسة نصوصاً، أو تحليلات لكلمات بولس وردت في بعض رسائله، دون تحديد من جانبهم إن كانت من رسائله المعتمدة أو غير المعتمدة، وأنها حتى لو كانت من رسائله المعتمدة، إلا أنها خارج النصوص التي اعتمدها آباء الكنيسة لتلك الأناجيل.

كذلك قالوا إنه استعان بموادّ أبوكريفية أخرى استقاها من معلّمه يوستينوس الشهيد؛ تقول بعض المصادر: «.. ويسجّل يوستينوس أن **«ذكريات الرسل» التي كانت تسمى «الأناجيل»** كانت تُتلى في العبادة المسيحية..». ثم يعلق ذلك المصدر على ذلك بقوله:

«.. **إلا أننا نجد أن اقتباساته وإشاراته لا تتطابق مع ما ورد في الأناجيل الأربعة، وإنما تتضمّن موادّ أبوكريفية، وهذه المواد هي نفسها التي أفاد منها طاطيان في توليفته للأناجيل، والتي أسماها: الدياطسرون** Diatessaron..»[١].

كما ادعى بعض آخر أنه قد حذف من الأناجيل في كتابه: «مالم يناسب بدعته؛ إذْ كان صاحب بدعة تقاوم الزواج، واستخدام النبيذ في «الأفخارستيا». فأهميته تعود إلى أنه يعترف بالأناجيل الأربعة، وإن استخدمها لصالحه»[٢].

---

(١) The New Bible Dic. P. 195

وانظر معه كتابنا: «البدايات الأولى للإسرائيليات» ص ١٠٣ - ط ٢ - مكتبة النافذة ٢٠٠٤ م .

(٢) الأب فاضل سيداروس اليسوعي: تكوين الأناجيل - ص ٦٤ .

اعتراف علماء المسيحية بالتشويه والإفساد للأناجيل في القرون الثلاثة الأولى

والواقع أن ثورة الكنيسة في القرنين الثاني والثالث على كتاب طاطيان كان فيه تجاوز كبير، ربما مع حق قليل:

فالكنيسة قد أقرَّت على لسان كُتَّابها كما رأينا من قبل في الشطر الأول من دراستنا هذه عن نشأة الأناجيل، أنها قد أعطت كُتَّاب الأناجيل حرية واسعة في «**التصرُّف**»، و«**التعبير**»، و«**إعادة العرض والترتيب**»، و«**الإضافة**»، **في كلام المسيح وأعماله، في سبيل «إضفاء» صفة الألوهية عليه**؛ فلِمَ التزمّت والتضييق والتجاوز في ذلك مع هذا الرجل الذي كل غايته إعادة تنسيق وتحسين ما كتبه أولئك الإنجيليون، وصوغه في سياق منتظم يتلافى عثراتهم، ويتيسَّر معه قبول واستيعاب أخبار المسيح وتعاليمه، وهو في ذلك يمكن اعتباره أيضًا من كُتَّاب الأناجيل برؤية أفضل، ومقدرة أكبر وأدق؟!

وهلى تنسي الكنيسة أنها : «كانت تدين في البداية بالأناجيل التي تسميها الآن «أناجيل أبو كريفية»، وأنها كانت بطيئة جدًا ، ومتردّدة بشكل ظاهر، في قبول هذه الأناجيل الحالية المعتبرة قانونية ومعتمدة»؟![1]

ثم إن علماء المسيحية «**يقرُّون باختلاف النص في نسخ الإنجيل الواحد في القرون الثلاثة الأولى**. وقد استشهدوا على ذلك بأن كُلاً من أوريجانوس Ori-gen.. المتوفى سنة ٢٥٤، وترتوليان Tertullian المتوفى سنة ٢٢٠، قد شهدا

---

(١) The New Bible Dic . p. 881.

كلاهما بأن النص (الإنجيلي) كان يتغير بتعدد النسخ، واختلاف الترجمات في عصرهما، أي في القرن الثالث، وما قبله»[1]

«كما أقَرُّوا أيضًا بأن الآباء في القرون الأولى قد أكثروا من النقل مما يسمونه الآن بالأسفار المنحولة - أو الأبوكريفية Apocryphal للإنجيل بنفس الثقة التي نقلوا بها من الأسفار المعتمدة حاليًا؛ وذلك على اعتبار أن كل تلك الأسفار كانت جميعًا في نظرهم صحيحة أصيلة؛ إذْ لم تكن تلك الاالأسفار التي يسمونها الآن منحولة Apocryphal قد اكتسبت بعدُ في زمنهم تلك الصفة. وقد استدلوا على ذلك بما جاء عند كل من «بوستينوس الشهيد Justin Martyr»، المتوفى حوالي سنة ١٦٥، وطاطيان Tatian تلميذه المتوفى بعد سنة ١٧٥، حيث دوَّن بوستينوس أن **«ذكريات الرسل** Memoirs of the Apostles» **التي تسمى «الأناجيل» كانت تُتلى في الطقوس المسيحية».** ومع ذلك فقد تبيَّنوا من الشواهد والاقتباسات التي ذكرها أن **فيها مواضع متعدِّدة لا توجد في الأناجيل الحالية، أو لا تتوافق مع مضامينها؛** وإنما تحتوي أصولاً نجدها في الأسفار الأبوكريفية. كما تبيَّنوا أيضًا **أن هذه المضامين قد أفاد منها طاطيان في تنسيقه للأناجيل في كتاب واحد،** هو الذي عُرف فيما بعدُ باسم «الرباعي Di-atessaron»، الذي وفق فيه روايات الأناجيل الأربعة في رواية واحدة.

«ونفس الذي فعلوه في النقل من الأسفار المنحولة في المسيحية فعلوه أيضًا في النقل من الأسفار المنحولة من قبل في اليهودية ، فاقتبسوا منها على الثقة بصحتها وأصالتها، دونما علم بانتحالها.

«والحاصل إذن أن القرون الثلاثة الأولى للمسيحية لم تشهد استقرارًا على صيغة واحدة، لإنجيل واحد. ومن ثمة ينتج أن الاستقرار على صيغة

---

(١) Fauesset,s Bible Dic. Art N. T., p. 507. وانظر معه كتابنا «البدايات» ص ١٠٢ .

نهائية لكل إنجيل من الأربعة المتعمدة كان بعد تلك الثلاثة القرون الأولى..»[١]

كذلك «يقرُّ علماء المسيحية الباحثون في الأصولي الإنجيلية بأن **كتبة أسفار ورسائل العهد الجديد كانوا كثيرًا ما ينقلون، أو يقرنون النص بالتفسير، دون أن يذكروا ذلك، أو يشيروا إلى مصادرهم**؛ ومن ثمة نقلوا عن كثير من الأسفار الأبوكريفية في اليهودية والمسيحية، دون إشارة إلى تلك الأسفار، أو تعيينها. **ونقلوا أيضًا من كتابات الوثنيين**»[٢]

«وقد ذكر علماؤهم أن الدسَّ والتحريف وتغيير النصوص ... بلغت درجة من السوء يتعذَّر معها تمييز الأصيل من الدخيل. وأقرُّوا بأن الشواهد الإنجيلية التي جاءت عند يوستينوس الشهيد المتوفى حوالي سنة ١٦٥، ومن قبله عند الآباء الرسوليين، تظهر أن **تدوين الإنجيل لم يحل دون تسلّل التقاليد الشفاهية إلى ذاكرتهم عند روايته**. بل إن ذلك قد حدث أيضًا في عملية النسخ ذاتها لتلك النصوص. ففي التنسيقات أو التوليفات Harmonies التي كانوا يضعونها لتوحيد الأناجيل الأربعة في نسق أدبي واحد، أو ما يسمى «الرباعي Di-atesaron» **كان يحدث أن يسقط نص من رواية إنجيل معين، ويضاف هذا النص ذاته في رواية إنجيل آخر**. «ومن هؤلاء أمونيوس Ammonins في القرن الثالث، الذي صنع أحد هذه التنسيقات، وانعكست عنده هذه الظاهرة».

«كذلك أدرجت الحواشي والتعليقات الهامشية في صلب النص

«وكان الاختلاف يزداد ويتعاظم كلما بعد المكان أو الإقليم.

«وكل ذلك أدى إلى ظهور نسخ مختلفة، في أماكن مختلفة.

---

(١) The NewBible Dic. Art Canon of the N. T. p. 195. ومعه «البدايات» ص ١٠٣ .

(٢) Ibid : p . 195، مع «البدايات» ص ١١٠ .

«ويذكر أوريجانوس أن : «**الأخطاء التي كانت تنشأ من غفلة بعض النساخ، وتصحيحاتها من آخرين، قد أُدرجت جميعًا في صلب بعض النصوص**، وفي بعضها كانت تؤخذ حسب الاجتهاد»[1]

«بل إنهم قد قالوا أكثر من ذلك تحت ضغط الحقائق التي واجهتهم في فحص نصوص العهد الجديد. **فأقرُّوا بنقل كتبة العهد الجديد من مصادر «وثنية»، وتقاليد شفاهية «غير مسيحية»**. فقالوا بشأن الآيتين «١٤- ١٥» من رسالة يهوذا المنقولتين من سفر أخنوخ: «... إنه من المحتمل أن يكون يهوذا مقتبسًا من أخنوخ الأول ص ١ : ٩؛ وهذا لا ينبغي أن يستدعي الدهشة. **إذْ رأينا العهد الجديد يقتبس أيضًا من المؤلفين «الوثنيين»**، (كما في الأعمال ص ١٧ : ٢٨، وكورنثوس الأولى ص ١٥ : ٣٣). وأنه لا يخلو من مغزى كون يهوذا لا يذكر أنه ينقل من الكتاب المقدس. وأنه لا ينبغي استبعاد الاحتمال الآخر، وهو أن يكون كل من يهوذا في الآيتين «١٤ - ١٥»، وكاتب أخنوخ الأول في ص ٩ : ١، ناظرين في نقلهما إلى تقليد شفاهي».[2] يريد أنه تقليد وثني غير يهودي أو مسيحي!!

فإذا أضفنا إلى ذلك كله ما أقرَّ به أوسابيوس القيصري عما ارتكبه بعض مَن أسماهم «**الهراطقة**» لإفساد الكتب الإلهية، ولم يذكر طاطيان من بينهم، بل يذكره ضمن الذين يردُّون عليهم، فقد تتضح الصورة أكثر، ومدى صعوبتها بالنسبة لطاطيان وهو يقوم بهذا العمل البالغ الخطر والمشقَّة، وسط ما تموج به نسخ الأناجيل الأربعة من تحريفات وإضافات.

يقول أوسابيوس نقلاً عن كاتب مجهول الاسم عنده في الردّ على مَن يتهمهم بإفساد الإنجيل:

---

(١) Fausset,s Bible Dic Art the N. T. p. 507 مع «البدايات» ص ١١٦ .

(٢) The New Bible Dic Canon of the N. T. p. 190 - 191، مع «البدايات» ص ١١٩ .

(١٣) «ولنقتبس من نفس الكاتب فقرات أخرى عنهم، هاك نصها:

«**وقد عاملوا الأسفار الإلهية بعدم اكتراث، وبدون خوف.** وطرحوا جانبًا قاعدة الإيمان القديم، ولم يعرفوا المسيح. وهم لا يحاولون معرفة ما نقلته الأسفار الإلهية، بل يبذلون أقصى الجهد للبحث عن بعض الألفاظ المنطقية التي يمكن إحكامها لتدعيم آرائهم الكفرية. وإن قدّم أي واحد فقرة من الأسفار الإلهية إليهم، اجتهدوا أن يستخلصوا منها أيّ رأي منطقي، سلبي أو إيجابي.

(١٤) «ولأنهم من الأرض، ومن الأرض يتكلمون، ولأنهم يجهلون الآتي من فوق، فقد تركوا كتابات الله المقدسة ليتفرغوا لعلم الهندسة. فبعضهم أجهد نفسه ليقيس إقليدس، والبعض أُعجب بأرسطوطاليس وثيوفراستوس، بل لعل البعض قد عبد جالن.[1]

(١٥) «فإن كان الذين يستعينون بفنون غير المؤمنين في آرائهم الهرطوقية، وفي تحريف بساطة الإيمان بالأسفار الإلهية، قد ابتعدوا عن الإيمان، فماذا يلزمنا أن نقول؟ **لذلك وضعوا أيديهم بجراة على الأسفار الإلهية، زاعمين بأنهم قد صحّحوها.**

(١٦) «وليعلم كل مَن يريد بأنني لا أفتري عليهم في هذا الأمر؛ **لأنه إن جمع أحد نسخهم المختلفة، وقارنها ببعضها، وجدها تختلف عن بعضها اختلافًا بيّنًا.**

(١٧) «فمثلاً نسخ اسكالبيادس لا تتفق مع نسخ ثيودتس. ومن الممكن

---

(١) جالن: هو جالينوس أعظم أطباء اليونان. والثابت من شأنه أنه وُلد بعد المسيح لكن هناك خلافًا حول تاريخ مولده، أما وفاته فكانت حوالي ٢٠٠، أو ٢١٨ بعد الميلاد . ولا أدري سب تجاهل المترجم المسيحي لاستعمال اسمه كما هو مشهور عند المؤلفين العرب، وكان المترجمون العرب المسيحيون هم الذين استخدموا اسمه «جالينوس»، وليس المسلمون!!

الحصول على كثير من هذه، لأن تلاميذهم بذلوا جهدهم ليكتبوا على كل منها التصحيحات اللازمة كما يسمونها؛ أو بالأحرى الإفسادات. كذلك لا تتفق نسخ هرموفيلس مع هذه . ونسخ أبولونيدس لا تتفق مع نفسها. فإن قارنت تلك التي أعدوها في تاريخ متقدم مع التي أفسدوها أخيرًا، وجدتها تختلف مع بعضها تمام الاختلاف»

(١٨) «ولا أظن أنهم هم أنفسهم يجهلون شناعة هذه الجريمة، لأنهم إما أنهم لا يعتقدون أن الأسفار الإلهية نطق بها الروح القدس، وفي هذه الحالة يكونون غير مؤمنين، أو أنهم يزعمون أنهم أحكم من الروح القدس، وفي هذه الحالة لا يكونون إلا شياطين. وهم لا يمكنهم إنكار ارتكاب الجريمة طالما كانت النسخ قد كُتبت بأيديهم؛ إذ انهم لم يستلموا أسفارًا كهذه من معلميهم. كذلك لا يستطيعون إبراز نسخ نقلوا منها.

(١٩) «وبعضهم ظنوا بأن إفسادها لا يستحق كل هذا العناء؛ إنما أنكروا الناموس والأنبياء. وهكذا بتعاليمهم الخليعة الشريرة -تحت ستار النعمة- سقطوا إلى أحط درجات الهلاك».[١]

---

(١) أوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة - ك ٥ ف ٢٨ : ١٣ ١٩ . ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة.

ما كان يحدث من إفساد للأناجيل يوجب التماس العذر لطاطيان

إذا اعتبرنا كل تلك الحقائق التاريخية، والشواهد الصريحة من كتبهم الموثّقة، وإقرارات علمائهم وباحثيهم عن كيفية كتابة الأناجيل، ، وما ألمّ بها من تغييرات وتعديلات وتحريفات وإضافات وإفسادات حسب تعبيرهم في تلك القرون الثلاثة الأولى من تاريخ المسيحية، إذا اعتبرنا ذلك كله، وتمعّنّا فيه جيدًا، خاصة في القرنين الثاني والثالث، حيث كثرت الأناجيل وبلغت عددًا مهولاً إذ يدَّعي بعضهم أنها قد بلغت السبعين أو يزيد، رأينا أن اليقين بصحة إنجيل ما، أو أي نص إنجيلي، أمر متعذّر تمامًا، وأن ما يدَّعونه من ذلك اليقين بشيء منها لا يتجاوز مجرد زعم أو احتمال لا أكثر على سبيل التمني والرجاء، يفتقر إلى شهادة الواقع الذي كان واجتهدوا في إخفائه، وعمدوا إلى افتراء صورة مخالفة لما كان عليه، حيث تفتقر إلى المستند الوثيق الذي يستعصي على الشك، وكل ذلك من ضروب المحال. وبالتالي فإن ذلك كله يشفع لطاطيان في ذلك القدر المحدود من التصرّف الذي اضطر فيه أن يستعين بعناصر محدودة من وثائق وأناجيل أبوكريفية، استشهد بها من قبله بعض آباء الكنيسة، وبعض كبار معلميها، ومنهم معلّمه يوستينوس الشهيد. ومن المؤكد أن ما استعان به من ذلك لا يساوي شيئًا يستحق ضجيج تلك الكنيسة ضدّه بجانب تلك المصائب الكبرى التي حاقت بالأناجيل في تلك القرون، والتلاعب في نسخها بتلك الصورة البشعة والمخجلة التي ذكرنا أقوال علمائهم بشأنها. وكان بوسعهم ووسع كنيستهم أن يقدروا له حسن نيّته، والمشقّة البالغة التي كان يعانيها لإنجاز عمله خلال ذلك الخضمّ

الهائل من الإفساد والتشويه لأسفار الإنجيل، كما كان بوسعهم ووسعها أيضًا أن ينظروا إلى الفائدة الأكبر والأعمّ من وراء عمله، خاصة وهو من رجالها المدافعين عن لاهوت المسيح الذي تعتقد به!

لكن ضيق أفق الكنيسة أجهض قيمة هذا العمل بالرفض والمقاومة، وضاع أو أُبيد كتاب طاطيان الذي قذفوه بالهرطقة. ثم جاء القرن الرابع الذي شهد المجامع المقدسة، وأهمها مجمع نيقية سنة ٣٢٥، لتأليه المسيح، ومجمع القسنططينية سنة ٣٨١ لتأليه الروح القدس. وعقب كل منهما كان يُعاد مراجعة الإنجيل في النسخ الأربع، وكتابته بما يتساوق مع ما انتهت إليه تلك المجامع في شؤون الاعتقاد.

كتاب طاطيان كان خاليًا من صيغة التثليث

وبطبيعة الحال، وحيث أثبتنا في مناقشتنا لقضية الأناجيل، وصيغة التثليث، أن صيغة التثليث هذه لم تدوَّن قبل أواخر القرن الرابع، أي بعد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١، وأنها ليس لها قط أي أصل عن المسيح، وأنها حسب إقرار علمائهم في تلك القرون الأولى كانت مجرد تقليد شفاهي يقال عند المعمودية، ومن أسرار الكنيسة غير المكتوبة حسب إقرار القديس باسيليوس في كتابه عن «الروح القدس»؛ فإنه يترتب على ذلك بالتالي أنها لم تكن قط بأي إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة، ومنها إنجيل متى، الذي أضيفت إليه في أواخر القرن الرابع. **وبالتالي لا يمكن أن تكون تلك الصيغة التثليثية بنسخة إنجيل متى التي نقل منها طاطيان في الدياطسرون، ولا بأي نسخة من نسخ الأناجيل الثلاثة الأخرى!** ومن ثم فلو وصلتنا النسخة الأصلية لكتاب طاطيان فلابدّ أن تكون مجرَّدة تمامًا من هذه الصيغة، رغم علمنا بأن طاطيان كان يقول بألوهية المسيح، سواء عن يقين بذلك، أو مجاراة للآخرين، حسبما تقتضيه حكمة الفيلسوف في بعض الأحيان! يعزِّز ذلك أن القديس باسيليوس كما ذكرنا، وأوسابيوس القيصري كانا يقولان أيضًا بتأليه المسيح، لكنهما لم يذكرا قط أن هذه الصيغة كانت مدوَّنة بأيٍّ من الأناجيل الأربعة، كما أن نص أوسابيوس خالٍ منها تمامًا ومن التعميد، وأوريجانوس العظيم اعتبرها مجرد تقليد Tradition لا أصل له عن المسيح، كما كان يرفض النطق بصيغة التثليث؛ ولمجاراة الكنيسة قال بالثالوث، لكنه جعله ثالوثًا متدرِّجًا، بما يعني أن المسيح ليس بإله حقيقي!

عودة الدياطسرون من القرن الخامس ووصف النسخة العربية

فماذا حدث؟

فجأة، وبعد انقضاء القرن الرابع الذي تشكلت فيه القسمات النهائية للعقيدة المسيحية، بأن للاهوت وجوهًا ثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس، وما طرأ على نسخ الأناجيل من تعديلات وتهذيبات تتساوق مع الصورة النهائية للمسيحية آنذاك؛ نقول فجأة استيقظ الناس في القرن الخامس على عودة «الدياطسرون»، وشيوعه بينهم؛ ماذا حدث؟ هل انقلبت الدنيا، أم لعلَّ الزمان قد تقهقر إلى الوراء، إلى آخر القرن الثاني، وطوال الثالث من بعده؟! هل استردَّ هذا الكتاب اعتباره مرة أخرى، وكيف: أظلَّ على نصه الأصلي الذي أدانوه فيه بأنه قد استعان بأصول أبوكريفية، أم حدث جديد لا نعلمه؟!

واتسع انتشار الدياطسرون حتى القرنين التاسع والعاشر للميلاد، أي عاصر القرون الأربعة الأولى للدولة الإسلامية، وقرأه المسيحيون العرب!

وكان يجب البحث بشأن هذه «المعجزة» الكبرى، وذلك السر العجيب، أو السرّ «الباتع» كما يقول العامة في مصر، لذلك الرجل طاطيان، أو «القديس» طاطيان، لو جاز لنا هذا التعبير على سبيل التمني(!!) لتكون صلواته معنا، وتدركنا النعمة، كما يقولون عن «القديسين» عندهم، وحتى عن أصحاب «القداسة» رؤساء ديانتهم!!

ووقعت بيدنا نسخة عربية لهذا «الدياطسرون» كان عنوانها هو ذلك الاسم.

ووجدنا تحت ذلك العنوان هذا التعريف:

«هو الإنجيل الذي جمعه «طيطانوس» من البشائر الأربع في القرن الثاني بعد المسيح. ونقله من السريانية إلى العربية العالم العربي الدكتور أبو الفرج عبد الله بن الطيّب في القرن الحادي عشر».

أما جهة النشر فجاءت هكذا: «صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية. بولاق (مصر) القدس». وفي نهاية الكتاب: «طبع في مطبعة النيل المسيحية».

ولم نقع قط على تاريخ هذه النشرة، ولعلها كانت في الأربعينيات من القرن العشرين.

زعمهم أن النسخة العربية من الدياطسرون هي نفس النص الذي كتبه طاطيان

وأرجوا أن تلحظ أيها القارئ الكريم نسبة هذا «الدياطسرون» العربي إلى طاطيان نفسه في تلك العبارة التي ذكروها في التعريف به: **«وهو الإنجيل الذي جمعه «طيطيانوس» من البشائر الأربع»**.

وكذلك في قولهم عن الأصل الذي نقله عنه مترجمه: **«ونقله من «السريانية» إلى العربية العالم العربي..»** ؛ ليؤكد أنه عين الكتاب الذي وضعه طاطيان حيث قيل إنه وضعه في الأصل باللغة «السريانية» ثم ترجم إلى اليونانية، وقيل بل وضعه باليونانية ثم نقل إلى السريانية!

ثم يضيفون توكيدًا آخر في تقديم الكتاب بقولهم: **«أما الرجل الذي جمعه فقد عاش في القرن الثاني بعد المسيح، وكان اسمه «طيطانوس»**. ويقول عن نفسه إنه أشوري، أي إنه عاش فيما بين النهرين، على مقربة من نهر دجلة، في الجزء «الشمالي من بلاد العراق».

وفي حديثهم عن دوافعه لوضع هذا الكتاب، ومنهجه فيه يقولون: «.. ولا ريب أن العالم طيطيانوس الذي شهدت عيناه مراكز العلم الكبرى كان من قادة الفكر بين زملائه المسيحيين في وطنه. ولكي يقدِّم لهم العون **كتب لهم هذا الكتاب باللغة السريانية، ولم يضمنه كلمة واحدة من تصنيفه**. ولكنه اتخذ بشائر الإنجيل الأربع التي سجَّلت قصة يسوع، وسجلها في إنجيل واحد، **من الفاظ البشائر ذاتها»**.

ثم يختمون بقولهم: **«وإن هذا الكتاب الذي كُتب نقلاً عن نصوص الإنجيل حوالي سنة ١٨٠ ب. م. لدليل على أن الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم هو «بعينه» الذي قرأه إخواننا منذ آلاف السنين»!!!**[1]

أرأيت إذن أيها القارئ الكريم مدى التوثيق لكون هذه النسخة العربية من كتاب «الدياطسرون» هي **«بعينها»** ما كتبه طاطيان أواخر القرن الثاني للأناجيل الأربعة في زمانه، دون أدنى إشارة حتى ولو بتعديل ضئيل أو سطحي عابر؟!

إنهم يعطونك اليقين التامّ بأنك تقرأ وثيقة بالغة الخطر والأهمية طبق نصها الأصلي الذي كُتب منذ قرابة الألفي عام!!

(١) هذه الاقتباسات من مقدمة للدياطسرون بعنوان: «ما هذا الكتاب»؟ دون ترقيم.

النسخة العربية من الدياطسرون مزوَّرة حسب الأناجيل الحالية

لكن.. ما هي الحقيقة؟

بفحص هذه النسخة العربية تكتشف أنك تعاين وثيقة «مـــزوَّرة» تمامًـــا من الألف إلى الياء، منذ أول لفظ فيها حتى آخر حرف من هذه النسخة العربية:

فكل النصوص في هذه الوثيقة المزورة هي طبق الأصل من النسخ الحالية للأناجيل الأربعة، لا يوجد بها سطر واحد، أو نصف سطر، يمتُّ بصلة إلى ما ذُكِر عن «الدياطسرون» الأصلي الذي كتبه طاطيان:

لا توجد بهذه النسخة العربية أية مواد أبوكريفية مما ذكرت الكنيسة وعلماء المسيحية أنها كانت بكتاب طاطيان.

لا توجد بها أي عبارات أو ألفاظ خاصة ببولس وردت في بعض رسائله يزعمون أنه قد استعان بها في بعض المواضع.

صيغة التثليث التي كشفنا من قبل أنها مقحمة على خاتمة إنجيل متى في عصر الكنائس من بعد المسيح بأجيال عديدة، وفي أواخر القرن الرابع بالتحديد، ولم تَرِد قط على لسان المسيح أو تلامذته في العصر الرسولي، وبما ذكرنا من شهادة الباحثين الغربيين، وما قدمناه نحن بخمسة أدلة قاطعة من أوثق كتبهم ومصادرهم بأنها قد ظلت حتى منتصف القرن الرابع، وبعد وفاة أوسابيوس

القيصري مؤرخ الكنيسة، مجرد تقليد شفاهي يقال عند المعمودية، ولم تكن مكتوبة قط بأي إنجيل أو رسالة. **هذه الصيغة قد وجدناها بحرفها وتمامها وحسب سياقها في إنجيل متى الحالي** (الإصحاح الخامس والخمسون من هذه النسخة العربية للدياطسرون الصفحة (١٦١) الفقرة الأولى).

الكنيسة اقتبست منهج طاطيان فقط
فلماذا تدَّعي أن نص الدياطسرون الحالي هو نفس كتابه؟!!

إذن ، ما الذي حدث؟

والجواب: أن الكنيسة الموقرة، أو المقدسة كما يقولون، لم تأخذ من كتاب طاطيان سطرًا واحدًا ، أو بعض سطر، وكل ما أخذته منه هو المنهج أو الطريقة والأسلوب في تنسيق رواية واحدة من روايات الأناجيل الأربعة؛ أما المضمون فلم تلتفت قط إلى شيء مما تميّز به كتاب طاطيان؛ ومن ثم **ليس لإنجيل طاطيان وجود بحال في هذه النسخة «المزوَّرة» التي تحمل اسم «الدياطسرون»**، والتي تعمّد صانعوها نسبتها إلى طاطيان الذي كان في القرن الثاني بعد المسيح!

لماذا هذا التزوير والتلاعب بالتراث المسيحي، وهو قبل ذلك وبعده، تراث بشري يجب صونه واحترامه، وعدم تزويره، أو التفريط في أصوله، مهما كانت بغيضة أو مرفوضة؟!

ما هي تلك الحاجة الماسّة التي تدفع بمؤسسة دينية إلى هذا التزوير وهو خطيئة كبرى، وقد كان بوسعها أن تتجنب ذلك،وإن اقتبست اسم الكتاب، واقتبست المنهج،ولكن لا تنسب النص إلى طاطيان، حيث إنها قد أسقطت نهائيًا النص الذي كان بكتابه، ووضعت مكانه النص الذي تعتقد به حسب النسخ الحالية؟!

ماذا كان يضير تلك المؤسسة أن تذكر أن هذا «الدياطسرون» هو حسب النص المعتمد والنهائي للأناجيل منذ أواخر القرن الرابع ، وحسب النسخ القائمة، وأنها

قد فعلت ذلك عن رغبة في نفع شعبها المسيحي، وتيسير اطلاعه على مجمل الأناجيل الأربعة، وأن على الدارس والباحث الرجوع إلى النسخ الكاملة للأناجيل الأربعة في سياقاتها التامة والمفصّلة؟!

المؤسسات الدينية تزدري أتباع ديانتها!!

ومن ثم نتساءل: هل تحترم المؤسسات الدينية من إسلامية، ومسيحية، ويهودية، وغيرها، الشعب الذي تتولى المسئولية في شئون ديانته، وهل تقيم وزناً لمثقفيه ومفكّريه وكُتّابه وقادة الفكر فيه؟

يخامرني الشك في ذلك!

إن منهج العصور الوسطى، عصور الظلام، في سيادة واستبداد المؤسسة الدينية، واعتبار الشعب مجرد رعاع لا يقام لهم وزن أو اعتبار، لازال قائماً وغالباً على قادة هذه المؤسسات في الأديان الثلاثة المذكورة.

إنهم يعيشون في أوهام السيادة والتسلط أيام التخلّف والهمجية التي فرضوها على شعوبهم، ويجب مواجهة هؤلاء بثورة عارمة من أهل الوعي والرأي، وعمل حاسم للتنقية والتطهير تطيح بكل تلك الفصائل المتخلّفة والخائنة من هؤلاء الذين يستخفون بأتباع ديانتهم، ويموّهون عليهم، ويستبيحون الكذب والتزوير، وهو للأسف البالغ أمر قائم في مؤسسات الأديان الثلاثة بلا استثناء كأنه فرض لازم، وإرث لا فكاك منه، مع أنه مصطنع في أزمنة التخلّف والاستبداد، وفق أهواء بعض الحكام، والقادة الدينيين!!

نحن ننتظر ميلاداً جديداً لفكر ديني مستنير، يحترم الإنسان، ويحترم عقله ووعيه، ويحترم حقه في التعرّف على التراث الأصلي والحقيقي على صورته الحقيقية، مهما كانت دميمة، ومهما ترتب عليها من آثار!

نسأل الكنيسة: من زور هذا الكتاب، ولماذا؟!

وإذن فهذا الدافع لنا لنشر هذا «الدياطسرون» العربي المزوّر كوثيقة تدين الذين اصطنعوها من مئات السنين،، والذين أذاعوها على أنها الأصل الذي كتبه طاطيان، لنطرح من خلالها سؤالاً واحداً: لماذا كان هذا يا كنيسة المسيح، لو كنت حقاً تنتمين إلى المسيح؟!

خطتنا في نشر النص العربي للدياطسرون

إننا ننشر تلك النسخة العربية من «الدياطسرون» مصوّرة بدقة عن أصلها كاملة منذ العنوان حتى آخر حرف منها لم نضع يدنا فيها بحال من الأحوال، ولو بحرف واحد، لنؤدي الأمانة على وجهها كما وصلت إلينا، ولكي نقطع سبيل الشكّ من أصله على محترفي الكذب والتضليل في اتهامنا بشيء يمسّ النص!

إنه كتاب للمسيحي ليرى شيئاً عملياً من ميراث ديانته، وما فعله قادته الدينيون، وما يستبيحون في سبيل غايتهم من خداع لأتباعهم.

وهو كتاب إلى المسلم أيضاً ليعلم مدى أمانة الذين يعملون على تنصيره، وكيف يكذبون ويزوّرون على أتباعهم قبل أن يكذبوا عليه، ويزوّروا شتى الحقائق بلا تأثم أو حرج!!

حسني يوسف الأطير

القاهرة ٢٨ ذو القعدة ١٤٢٧ هـ

١٩ ديسمبر ٢٠٠٦م

كلمة ختام

لعلك أيها الحصيف الأريب بعد أن نظرت في هذا الكتاب قد تأكدت لديك حقيقة ساطعة لا يجوز لك إنكارها، هي تلك السرعة المذهلة من جانب الوثنيين في روما، ممثلة في شخص الامبراطور الوثني طيباريوس قيصر، إلى تبنّي واحتضان تلك الدعوة المسيحية منذ رحيل المسيح، لكن من خلال منظوره الخاص، وهو القول بتأليه المسيح، وإحصائه ضمن آلهة روما الوثنيين، وتهديده بالموت كل من يقاوم هذا التعليم المسيحي على ذلك النحو الذي صاغه به؛ وحيث توافق ذلك أيضًا، وفي نفس الآونة، مع ظهور بولس الذي كان يضطهد تلاميذ المسيح، فإذا به يدَّعي فجأة أن المسيح قد ظهر له، وكلَّفه بتبشير الأمم. وبعد أن كان إيذاؤه للمسيح ودعوته وأتباعه موقوتًا بفترة زمنية معيَّنة تمضي بحلوها ومرّها على السواء، لتسلك الدعوة من بعده في طريقها السويّ، إذا به يجعل هذا الإيذاء أبديًا من خلال ادعائه التعليم بدعوة المسيح وفق رؤيا تراءت له، وهنالك قام بمسخها تمامًا، وتحويلها عن كل أصولها الصحيحة، وصاغها -حسب فكره الخاص- وشكّلها وفق التصور الوثني بكل قبحه ودمامته، وخرج يعلن تأليه المسيح، ويبطل ناموس موسى، ويرمي أتباع المسيح الحقيقيين بأنهم كَذَبة، محرِّفون لدعوته وتعاليمه!!

وكان من موافقات القدر العجيبة أن تنتهي أيضًا رحلة المسيحية في القرن الرابع على يدي امبراطور روماني آخر كان وثنيًا داهية، هو قسطنطين الكبير صاحب مجمع نيقية سنة ٣٢٥ والذي حسم القول بتأليه المسيح، وصاغ الإنجيل على ذلك، واضطهد أنصار التوحيد الصحيح، خاصة آريوس وأتباعه، وراح يقتل

اليهود المتنصّرين الذين كانوا لا يرون المسيح إلا مجرد نبي مرسل على سنة موسى وشريعته، ويؤمنون بالتوراة والإنجيل على السواء.

ولعلك قد رأيت خلال الفترة ما بين طيباريوس وقسطنطين بعض ما ألَمَّ بالدعوة المسيحية والأناجيل من تشويه وإفسادوإنكار لإنجيل المسيح، وكيف استباحت الكنيسة كل السبل لتحريف تعاليم المسيح وتبديلها، والتقوُّل عليه وعلى تلاميذه بما لم يكن، لإضفاء صفة الألوهية عليه، مهما كلفها ذلك من كذب وتزوير وبإقرار علمائها أنفسهم!!

وقد كان مرادنا من هذا العمل الوجيز أن نلقي شعاعًا من نور للبحث عن إنجيل المسيح الذي أكده القرآن، وأكده من قبله إنجيل مرقس، وشواهد أخرى من رسائل بولس وإنجيل متى.

ومع ذلك عرضنا لك كيف كُتبت الأناجيل التي بين أيديهم، وكيف نرى نحن حلّ المعضلات المزعومة التي اصطنعوها عمدًا في الدراسات الإنجيلية لمحاصرة أتباعهم وسائر الدارسين بألغاز يتعمدون طرحها لصرف أنظارهم عن التحقيق الصحيح، وإغراقهم في دوَّامة الحيرة، حتى تتقطع بهم السبل قبل أن يصلوا إلى يقين يكذب كل ما هم عليه من فكر واعتقاد، وينشغلوا بتلك الأباطيل عن تسديد النظر الفاحص الدقيق الذي ينبغي أن يتجه رأسًا إلى كشف الحقيقة الفاجعة التي زوَّروها، وأخفوها عن أعين الناس، وهي أنهم قد جعلوا اسم «المسيح» مجرد غطاء زائف لعقيدة وثنية جاحدة للوجود الإلهي، ولسائر القيم والفضائل التي تقتضيها العقائد التي توقن بالإله الواحد، ورعايته للبشر.

لقد صار العالم اليوم بسبب هذه الديانة التي اصطنعها الشيطان يموج بكفر جامح، وإلحاد صريح كأبشع ما يكون الكفر والإلحاد، وحيث صار الناس يضربون في ليل طويل مظلم لا يشقه شعاع من نور يؤذن بصباح، أو ساعة من نهار!!

نسأل الله أن يلطف بنا، ويجعل منا أمة مؤمنة به، داعية إليه، مجاهدة في سبيله، وألا يكون منهم أحد من أشياخ هذا الدهر، الذين صاروا أحذية للحاكم، وأربابًا للكذب والنفاق، لا يعنيهم إلا حظ أنفسهم من الشهرة الزائفة، والمنصب الذي يتسلَّلون إليه بأحط الوسائل وأقذرها، وإشباع البطن والفرج فسقًا وفجورًا، والطاعة العمياء لسادتهم فيما صح أو لم يصح، مقتدين بمقولة الجاحد القديم: «للبيت ربّ يحميه»؛ أما هو فلا يقول شيئًا، ولا يفعل شيئًا يغضب أحدًا من أعداء الله وأعداء دينه وكتابه، ليظفر بما شاء، ويأخذ ويربح ويمتصّ دماء الأبرياء؛ فلبئس القدوة كان، ولبئس التابعون!!

«ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين».

حسني يوسف الأطيَر

القاهرة

الأول من صفر ١٤٣٠هـ

الثلاثاء ٢٧ يناير ٢٠٠٩م

فهرس كتاب
«لماذا اختفى إنجيل المسيح»

الفصل	الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث:	معضلات القضية الإنجيلية: أولاً: مشكلة تدوين الأناجيل. [الأصل الأول لإنجيل متى. المصدر الأول المفقود هو مدوّنات التعاليم الشفاهية من إنجيل المسيح. الكنيسة تنفي الإنجيل مع المسيح لتقول بإلهيته. أساليب الكنيسة في تحريف كلام المسيح. ولاء الكنيسة لميراثها الوثني منعها من البحث عن حقيقة المصلوب. إبادة الكنيسة لأصول الأناجيل قبل القرن الرابع]. ثانيًا : مشكلة الأسبق في التدوين: إنجيل متى أم إنجيل مرقس [نظريتنا: توظيف ذكريات بطرس في مرقس ولوقا لتحويل «الأقوال» إلى «إنجيل متى»]. ترجمة الإنجيل تعني عندهم تأليفه في نسق روائي.	٥١-٧٩
الفصل الرابع:	شواهد من متى تكشف صورًا من التحريف والتشويه [شاهد أول: الناطق بالناموس في الأنبياء. شاهد ثان: في الموعظة على الجبل. شاهد ثالث: أنموذج أول لتمزيق نص قديم في	٨١-٩٥



مكتبة النافذة